الخمائل



من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي

دار كاتب وكتاب
بيروت

من أعمال
الشاعر إيليا أبي ماضي

الجداول

الخمائل

تبر وتراب

بيروت - لبنان
ص. ب : ٦٢٤

١٩٨٨

إيليا أبو ماضي

الجداول

شعر

كلمة عن الشاعر



● ولد شاعر المهجر الأكبر في قرية المحيدثة من لبنان سنة ١٨٩٠ وتوفي عام ١٩٥٧ في نيويورك .

● أحدث تجديداً في الكلمة الشعرية، جعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية من غير أن تخرج من إطار البساطة والوضوح .

● قال جبران: «تجد في شعر أبي ماضي كؤوساً تملأه بتلك الخمرة التي إن لم ترشفها تظل ظمآن. . .».

● نشر أبو ماضي في حياته عدّة دواوين هي «تذكار الماضي» و «ديوان إيليا أبو ماضي» و «الجداول» و «الخمائل» و «تبر وتراب» .

وها هي ذي دار كاتب وكتاب تقدّم شعر أبي ماضي في كؤوس تعكس صفاء الجداول وسحر الخمائل ووهج التبر. . . ليرشف منها جميع الظامئين. . . !

وبشاشات الزمــان الاول

والصبــا

★

يا ربيعاً من وفــاء وكرم

في بدن

من رأى قبلك دنيا في شيم

في كفـن

خلصت روحك من سجن الألم

والشجن

ومضى للبحر ماء الجـدول

طربــا

★

الفاتحة

يا رفيقي ... أنا لولا أنت ما وقّعت لحنا
كنتَ في سرّيَ لمّا كنتُ وحدي أتغنى
ألبسَ الروض حلاهُ أنه يوماً سيجنى
هذه أصداء روحي ، فلتكن روحك أذنا
ان تجد حسناً فخذه واطّرح ما ليس حُسنا
ان بعض القول فنٌّ فاجعل الاصغاء فنا

تلكُ كالحقل يردّ الكيل للزارع طنّـا
رُبَّ غيمٍ صـار لمـا لمستهُ الريـح مزنا
ربمـا كنتُ غنياً غير اني بك أغـنى
ما لصوت أُغلقت من دونه الاسماع معنى
كل نور غير نور مرّ بالأعين وسنى
يا رفيقي . أنت إن راعيت فجري صار اسنى
وإذا طفتَ بكرمي زدتهُ خصباً وأمنا
قد سكبتُ الخمر كي تشرب ، فاشرب مطمئنا
واسقِ من شئت كريماً لا تخفْ ان تتجنى
كلما افرغتَ كأسي زدت في كأسي دنّا
فهي بالانفاق تبقى وهي بالإمسـاك تفنى

★

لست مني ان حسبت الشعر ألفاظاً ووزنا
خالفتْ دربك دربي وانقضى ما كان منا
فانطلق عني لئلا تقتني همّاً وحزنا
واتخذ غيري رفيقاً وسوى دنياي مغنى

العَـنْقاء

أنا لستُ بالحسناء أولَ مولعٍ
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي

فاقصصْ عليّ إذا عرفت حديثها
واسكن إذا حدّثت عنها واخشعِ

ألمحتها في صورةٍ ؟ أشهدتَها
في حالةٍ ؟ أرأيتها في موضعٍ ؟

إني للنو نفس تهيمُ وإنها بجميلة فوق الجمال الأبدعِ
ويزيد في شوقي اليها انهـا كالصوت لم يُسْفِرْ ولم يتقنع
فتّشت جيبَ الفجر عنها والدجى
ومــددتُ حتى للكواكب اصبعي

فإذا هما متحيران كلاهما في عاشقٍ متحيرٍ متضعضع
وإذا النجوم لعِلْمها أوجهلها مترجرجات في الفضاء الأوسع
رقصت أشعتها على سطح الدجى
وعلى رجــاء فيّ غير مشعشعِ

★

والبحرُ.. كم ساءلته فتضاحكت أمواجهُ من صوتيَ المتقطّعِ
فرجعت مرتعشَ الخواطر والمنى
كحمامةٍ محمولةٍ في زعـزعِ

وكأن أشباح الدهور تـألبـت
في الشطّ تضحك كلها من مرجعي

★

ولكَم دخلتُ إلى القصور مفتشاً
عنها ، وعجتُ بدارسات الأربُعِ
ان لاح طيفٌ قلت : يا عين انظري
أو رنّ صوت قلت : يا أذن اسمعي
فإذا الذي في القصر مثلي حائرٌ
وإذا الذي في القصر مثلي لا يعي

★

قالوا : تورَّع ، انها محجوبةٌ الاّ عن المتزهّد المتورعِ

فوأدت أفراحي وطلّقت المنى
ونسختُ آياتِ الهوى من أضلعي

وحطمتُ أقداحي ولما ارتوِ وعففتُ عن زادي ولما أشبعِ

وحسبتني أدنو اليها مسرعاً فوجدتُ اني قد دنوت لمصرعي

ما كان أجهلَ نُصّحي وأضلّني لمّا أطعتهمُ ولم أتمنّعِ

اني صرفتُ عن الطاعة والهوى قلبي ، ولا ظفرٌ لمن لم يطمعِ

فكأنني البستان جرّد نفسه من زهره المتنوّع المتضوّع

ليحس نور الشمس في ذرّاته ويقابل النسمات غير مقنّعِ

فمشى عليه من الخريف سرادق
كالليل خيّمَ في المكان البلقعِ

وكأنني العصفورُ عرّى جسمهُ من ريشه المتناسق المتلمّعِ

ليخفّ محمله ، فخرّ إلى الثرى وسطا عليه النملُ غير مروّعِ

★

وهجمت احسب انها بنت الرؤى

فصحوتُ اسخرُ بالنيام المجّـع

ليست حبوراً كلها دنيا الكرى كم موئلٍ فيها بجانب مفـزع

تخفي أمانيّ الفتى كهمومـه عنه، وتحجبُ ذاته في برقـع

ولربما التبست حوادث يومه بالغابر المـاضي وبالمتوقّـع

يا حبذا شطط الخيال وانما تُمحى مشاهدهُ كأن لم تطبع

لما حملتُ بها حلمتُ بزهـرة لا تُجتنى ، وبنجمةٍ لم تطلع

ثم انتبهتُ فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي والفراش ومخدعي

من كان يشرب من جداول وهمه

قطع الحياة بغلّـةٍ لم تنقـع

★

ذهب الربيع فلم تكن في الجدول الشادي ، ولا الروض الأغن الممرع

وأتى الشتاء فلم تكن في غيمه الباكي، ولا في رعده المتضجع
ولمحتُ وامضةَ البروق فخلتُها
فيها فلم تكُ في البروق اللّمّعِ
صفِرت يدي منها وبي طيش الفتى
وأضلّني عنها ذكاء الألمعي
حتى إذا نشرَ القنوطُ ضبابهُ فوقي فغيّبني وغيّب موضعي
وتقطّعت أمراس آمالي بها وهي التي من قبل لم تتقطّع
عصر الأسى روحي فسالت أدمعاً فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمتُ حين العلم لا يجدي الفتى
أنّ التي ضيّعتها كانت معي !

السّجينة

لعمرك مـا حزني لمالٍ فقدتـهُ
ولا خان عهدي في الحياة حبيبُ
ولكنني أبكي وأندبُ زهرةً جناها ولوعٌ بالزهور لعوب
رآها يحلّ الفجر عقد جفونها ويُلقي عليها تبره فيذوبُ
وينفض عن أعطافها النور لؤلؤاً
من الطلّ ما ضُمت عليه جيوبُ

فعالجها حتى استوتْ في يمينه وعاد إلى مغناه وهو طروبُ
وشاه فأمست في الأثناء سجية ً لتشبع منها أعينٌ وقلـوبُ
ثوت بين جدران كقلب مضيمها
تلمّسُ فيها منفـذاً فتخيبُ
فليست تحيّي الشمس عند شروقهـا
وليست تحيي الشمس حين تغيبُ
ومن عُصبت عيناه فالوقت كله
لديه وإن لاح الصبـاح غروبُ

★

لها الحجرة الحسناء في القصر انما
أحبّ اليهـا روضـة ٌ وكثيبُ

وأجمل من نور المصابيح عندها
حباحبُ تمضي في الدجى وتؤوبُ
ومن فتيات القصر يرقصن حولها
على نغماتٍ كلهن عجيبُ
تراقصُ أغصانالحديقة بكرةً وللريح فيها جيئةٌ وذهوبُ
وأجمل منهن الفراشات في الضحى
لها كالأماني سكنةٌ ووثوبُ
وأبهى من الديباج والخزّ عندها
فراش من العشب الخضيل رطيبُ
وأحلى من السقف المزخرف بالدّمى
فضاءٌ تشعّ الشُّهب فيه رحيبُ
تحنّ إلى مرأى الغدير وصوته وتحرم منه ، والغدير قريبُ

وليس لها للبؤس في نسم الربى
نصيب ولم يسكن لهن هبوبُ
إذا سُقيتْ زادت ذبولاً كأنما يرش عليها في المياه لهيبُ
وكانت قليلُ الطلّ ينعش روحها
وكانت بميسور الشعاع تطيبُ
بها من أنوف الناشقين توعكٌ ومن نظرات الفاسقين ندوبُ
تمشّى الضنى فيها وأيار في الحمى
وجفّت وسربال الربيع قشيبُ
ففيها كمقطوع الوريدين صفرةٌ
وفيها كمصباح البخيل شحوبُ

★

أيا زهرة الوادي الكئيبة انني حزينٌ لما صرتِ اليه كئيبُ

وأكثر خوفي ان تظلني بني الورى
سواءٌ وهم مثل النبات ضروبُ
وأعظم حزني انّ خطبك بعده مصائب شتّى لم تقع وخطوبُ
سيطرحك الانسان خارج داره إذا لم يكن فيكِ العشيةَ طيبُ
فتمسين للاقذار فيك ملاعبُ وفي صفحتيك للنعالِ ضروبُ
إسارُكِ يا أخت الرياحين مفجع
وموتكِ ، يا بنت الربيع ، رهيبُ
ولكنها الدنيا ، ولكنه القضا وهذا لعمري مثل تلك غريبُ
فكم شقيَت في ذي الحياة فضائلٌ
وكم نعمتْ في ذي الحياة عيوبُ
وكم شيَمٍ حسناء عاشت كأنها مساوئ يُخشى شرها وذنوبُ

الضفادع والنجوم

صاحتِ الضّفدعُ لما شاهدت   حولها في الماء أظلال النجومْ
يا رفاقي ! يا جنودي ! احتشدوا   عبر الاعداء في الليل التخومْ
فاطردوهم واطردوا الليل معاً   انه مثلهمُ باغٍ أثيمْ
زعقةٌ سار صداها في الدجى   فاذا الشطّ شخوصٌ وجسوم
في أديم الماء من أصواتها   رعدة الحمّى ، وفي الليل وجوم

★

مزّق الفجرُ جلابيب الدّجى   ومحا من صفحةِ الأرض الرسوم

فمشت في سربها مختـالةً كمليكٍ ظافر بين قـروم
ثم قالت : لكمُ البشرى ولي قد نجونا الآن من كيدٍ عظيم
نحن لو لم نقهر الشهب الـتّي هاجمتنا لأذاقتنـا الحتـوم
وأقامت بعدنا من أرضنـا في نعيم لم تجده في الغيـوم !
أيها التاريخُ سجّلْ اننـا أمةٌ قد غلبت حتى النجوم !

السَّماء

لا تسلني عن السماء فما عنديَ   إلا النعوتُ   والاسماء
هي شيءٌ ، وبعض شيءٍ ، وحيناً
كل شيءٍ ، وعند قوم هبــاءُ

★

فسماء الراعي كما يتمناهـــا   مروجٌ فسيحةٌ خضراءُ
تلبس التّبر مئزراً ووشاحــاً   كلما اشرقت وغابت ذُكاءُ

أبداً في نضارةٍ ، لا يجفّ العشبُ فيها ، ولا يغيضُ الماءُ

★

وهي عند الأم التي اخترمَ الموتُ بنيها ، وضلّ عنها العزاء

موضعٌ لا ينالهم فيهِ ضيمٌ لا ولا يدرك الشبابَ الفناء

وكذا يُولد الرجاء من اليأس إذا ماتَ في القلوب الرجاء

★

وهي عند الفقيرِ أرضٌ وراءَ الافقِ ، فيها ما يشتهي الفقراء

لا يخاف المثري ، ولا كلبةُ الضاري ، ولا لامرئٍ به استهزاء

وهي عند المظلوم أرضٌ كهذي الأرض لكن قد شاع فيها الرخاء

يجمع العدلُ أهلها في نظام مثلما يجمع الخيوط الرداء

لا ضعيفٌ مستعبَدٌ ، لا قويٌّ

مستبِدٌ ، بل كلهم اكفاءُ

كل شيءٍ للكلّ ملكٌ حلالٌ
كل شيء فيها كما الكل شاءوا

★

وهي عند الخليع أرضٌ تميسُ الحور فيها ، وتدفق الصهباءُ
كل ما النفس تشتهيه مباحٌ
لا صدودٌ ، لا جفوة ، لا إباء
أكبر الاثم قولة المرء هذا الأمرُ إثم ، وهذه فحشاء
ليس بين الصلاح والشر حدٌ كالذي شاء وضعهُ الانبياء
وإذا لم يكن عفافٌ وفسقٌ لم تكن حشمةٌ ولا استحياء

★

كل قلب له السماء الذي يهوى ، وان شئتَ كل قلبٍ سماء

صورٌ في نفوسنا كائناتٌ ترتديها الافعال والاشياء

رُبَّ شيءٍ كالجوهر الفرد فذٍّ عدّدته الاغراض والاهواء

كلّ ما تقصر المدارك عنهُ كائنٌ مثلما الظنون تشــــاء

بَرِّدي يا سُحبُ

رضيتْ نفسي بقسمتهـــا فليراود غيريَ الشّهبـــا
كلّ نجم لا اهتداء بهِ لا أبالي لاح أو غرّبـــا
كلّ نهرٍ لا ارتواء بهِ لا أبالي سـال أو نضبا
ما غـدٌ يا من يصـوّرهُ ليَ شيئاً رائعـاً عجبـا
ما لهُ عـينٌ ولا أثـــرٌ هو كالأمس الذي ذهبـا
اسقني الصهباء ان حضرّت ثمّ صف لي الكأس والحببا

ليس يرويني مقـالكَ لي إنهـا العقيـان منسكبـا
ان صدقـاً لا احسُ بهِ هو شيءٌ يشبهُ الكذبـا
لا ينجّي الشـاة من سغَب انّ في أرضِ السّهى عشبا
ما على من لا يطيـق يرى نورّ الوادي أو اكتـأبـا
ما يفيد الطير في قفصٍ ضاق هذا الجو أو رحبا

★

بردّي يا سحبُ من ظمأي واهطلي من بعد ذا ذهبـا
أو فكوني غير راحمـةٍ حممـاً حمراء لا سحبا
ولأكن وحدي لهـا هدفـاً ولتكن نفسي لهـا حطبا
أنا من قوم إذا حزنـوا وجدوا في حزنهم طربـا
وإذا ما غايـةٌ صعبت هوّنوا بالترك ما صعبـا

العيرُ المُتَنكر

زعم المؤدّب ان عيراً ساءهُ ان لا يُسار بـه إلى الميـدانِ
فمضى فقصّرت القواطع ذيلهُ وسطت مواضيها على الآذانِ
حتى إذا جاء المروّض واعتلى متنيه راب الفارسَ الكشحانِ
لكنهُ ما زال غير مصـدّق حتى علا صوتٌ كصوت الجانِ
فاستل صارمه فطاح براســه ورمى بجثته إلى الغربـانِ
ما دام يصحب كلّ حيٍّ صوتهُ
هيهات يخفي العيرَ جلدُ حصانِ

تعالَيْ

تعـالَي نتعاطاها كلونِ التبرِ أو أسطعْ
ونسقي النرجس الواشي بقايا الراح في الكاسِ
فلا يعرف من نحنُ ولا يبصر مـا نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا إلى النـاسِ

★

تعالَي نسرق اللذّات مـا ساعفنا الدهرُ

وما دمنا وما دامت لنـــا في العيش آمـــال
فان مر بنـــا الفجر ومـــا أيقظنـــا الفجرُ
فما يوقظنـــا علمٌ ولا يوقظنـــا مـــال

★

تعالي نطلق الروحين من ســجن التقـــاليدِ
فهذي زهرة الوادي تذيع العطر في الوادي
وهـــذا الطير تيّـــاهٌ فخـــورٌ بالأغـاريدِ
فمن ذا عنّف الزهرة أو من وبّخ الشادي ؟

★

أراد الله أن نعشق لمّـــا أوجـدَ الحسنا
وألقى الحبَّ في قلبكِ إذ ألقاه في قلبي
مشيئته .. ومـــا كانت مشيئته بلا معنى

فان أحببتِ ما ذنبكِ أو أحببتُ ما ذنبي ؟

★

دعي اللاحي وما صنّف والقـابلي وبهتانَه
أللجدول ان يجري وللزهرة أن تعبقْ ،
وللأطيار أن تشـتاق أيـارآ وألوانـه ،
وما للقلب وهو القلب أن يهوى وأن يعشق ؟

★

تعالي ان رب الحب يدعونا إلى الغـابِ
لكي يمزجنـا كالماءِ والخمرة في كـاسِ
ويغدو النور جلبابكِ في الغـاب وجلبابي
فكم نصغي إلى الناس ونعصي خالق الناسِ

★

يريد الحب أن نضحك فلنضحكْ مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمري
فمن يعلمُ بعد اليوم ما يحدث أو يجري ؟

★

تعالي قبلما تسكت في الروض الشحاريرُ
ويذوي الحور والصفصاف والنرجس والآس
تعالي قبلما تطمر أحلامي الأعاصير
فنستيقظ لا فجرٌ ، ولا خمرٌ ، ولا كاس

ريح الشمال

سألتُ وقد مرّت الشمألُ تنوحُ وآونـةً تُعـولُ
إلى أيما غايةٍ تركضيـنَ ألا مستقرٌ ؟ ألا موئلُ ؟
وكم تعولين وكم تصرخين كعصفورةٍ راعها الأجدل
لقد طرح الغصن أوراقـهُ من الذعر واضطرب الجدول
وضلّ الطريق إلى عشّـه فهام على وجهه البلبـل
وغطى السُّهى وجهه بالغمام كما ينزوي الخائف الأعزل

وكادت تخرُّ لديكِ الهضـاب وتركع ، قدامكِ الأجبـل

★

أينتِ الفضاء أضاق الفضاءُ فأنتِ إلى غـيره اميـلُ
أغاظك ان الدجى لا يزول وان الكواكب لا تأفـلُ
أتبكين آمالكِ الضائعـات هل الريح مثل الورى تأملُ
أيعدو وراءكِ جيشٌ كثيف امثلكِ يرهبـه الجحفـلُ
وما فيكِ عضوٌ ولا مفصـل فتقطع اوصالكِ الانصُـلُ
فجاوبني هاتف في الظـلام: غلطتَ فما هذه الشـمألُ
ولكنها أنفُس الغـابرينَ تجوس الديار ولا تنـزلُ
فقلتُ : أينهض من في القبور وفوقهمُ التُّـرْب والجنـدلُ
أجاب الصدى ضاحكاً ساخراً إلى كم تحار وكم تسألُ ؟
وترفع عينيك نحو السماء وليست تبـالي ولا تحفـلُ

من البحر تصعد هذي الغيوثُ
وتهطل في البحر إذ تهطـلُ
وفي الجو ان خفّيت نسمـةٌ وفي الأرض ان نضب المنهلُ

★

لقد كان في امس ما قبلـه وفي غده يومكَ المقبـل
عجبتُ لبـاكٍ على أول وفي الآخر النـائح الأولُ

★

همْ في الشراب الذي نحتسي وهُمْ في الطعام الذي نأكلُ
وهم في الهواء الذي حولنا وفي ما نقول ومـا نفعـلُ
فمن حسِب العيش دنيا وأخرى
فذا رجـلٌ عقلـه أحـولُ

الحجر الصغير

سمعَ الليلُ ذو النجوم أنينـاً وهو يغشى المدينة البيضـاءَ

فانحنى فوقهـا كمسترق الهمـ ـسِ يطيل السكوت والاصغاء

فرأى أهلها نياماً كأهل الـ كهف لا جلبةٌ ولا ضوضاء

ورأى السدّ خلفها محكم البنـ يان والماءُ يشبه الصحـراء

كان ذاك الأنين من حجر في السـ

ـدِّ يشكو المقـادرَ العميـاءَ

أيّ شأن يقول في الكون شأني
لست شيئاً فيه ولست هباءَ
لا رخامٌ انا فأنحت تمثا لاً ولا صخرة تكون بناء
لست أرضاً فأرشف الماء أو ماءً فأروي الحدائق الغنّاء
لست دراً تنافس الغادة الحـ سناء فيه المليحة الحسناء
لا أنا دمعةٌ ولا أنا عينٌ لست خالاً أو وجنةً حمراء
حجر اغبرٌ انا وحقيرٌ لا جمالاً لا حكمة لا مضاء
فلأغادر هذا الوجود وأمضي
بسلام ، إنني كرهت البقاء
وهوى من مكانه ، وهو يشكو
الارض والشهب والدجى والسماء
فتح الفجرُ جفنه ... فاذا الطوفان يغشى « المدينة البيضاء »

الطِّين

نسيَ الطينُ ساعةً انـه طـينٌ   حقيرٌ فصال تيهاً ،وعربـدْ

وكسى الخزَّ جسمه فتباهى ،   وحوى المالَ كيسهُ فتمرّد

يا أخي لا تملْ بوجهك عني ،   ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقـد

أنت لم تصنع الحرير الذي تلبسُ واللؤلؤَ الذي تتقلّد

أنت لا تأكل النّضار إذا جعتَ ولا تشرب الجمال المنضّـد

أنت في البردة الموشّاة مثلي   في كسائي الرديم تشقى وتسعد

لك في عـالم النهار أمانٍ ،   ورؤى والظلام فوقك ممتـد
ولقلبي كما لقلبك احـلا   مٌ حِسان فانه غير جلمد

★

أأمانيّ كلها من تـراب   وأمانيك كلها من عسجد ؟
وأمانيّ كلهـا للتـلاشي   وأمانيك للخلود المؤكّد ! ؟
لا . فهذي وتلك تأتي وتمضي   كذويها . وأي شيء يؤبّد ؟
أيها المزدهي . إذا مسّك السقمُ الا تشتكي ؟ ألا تتنهد؟
وإذا راعكَ الحبيب بهجرٍ   ودّعتك الذكرى ألا تتوجّد؟
أنت مثلي يبشّ وجهك للنعمى   وفي حالة المصيبة يكمدْ
أدموعي خلٌّ ودمعك شهد ؟   وبكائي ذُلٌ ونوحك سؤدد ؟
وابتسامي السراب لا ريّ فيه ؟   وابتساماتك اللآلي الخرّد ؟
فلكٌ واحد يُظلّ كلينا   حار طرْفي به وطرفك ارمد

قمر واحد يُطلّ علينــــا وعلى الكوخ والبناءِ الموطّــد
إن يكن مشرقاً لعينيك اني لا أراه من كوّة الكوخ اسود
النجوم التي تراهــا أراهــا حين تخفى وعندما تتوقــد
لستَ أدنى على غناك اليها وأنا مع خصاصتي لست أبعد

★

أنت مثلي من الثرى وإليــه فلماذا يا صاحبي التيهُ والصدّ!
كنتَ طفلاً إذ كنتُ طفلاً وتغدو
حين أغدو شــيخاً كبيراً أدْرَد
لستُ أدري من أين جئتُ ولا ما
كنتُ ، أو ما أكون يا صاحِ في غد
أفتدري ؟ اذن فخبّــر وإلا فلماذا تظن أنك أوحــد ؟

★

ألك القصرُ دونه الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيّد

فامنع الليل ان يمدّ رواقـــاً فوقه ، والضبابَ ان يتلبّـد

وانظر النور كيف يدخل لا يطلب إذناً فما له ليس يطرد؟

مرقد واحد نصيبك منــه افتدري كم فيك للذرّ مرقد؟

ذُدتني عنه والعواصف تعدو في طِلابي والجو أقتم اربـد

بينما الكلب واجدٌ فيه مـأوى وطعاماً والهر كالكلب يُرقـد

فسمعت الحياة تضحك مني اترجّى ، ومنك تأبى وتجحد

★

ألك الروضة الجميلة فيهـا الماء والطير والازاهر والندّ؟

فازجرِ الريحَ ان تهز وتلـوي شجر الروض — انه يتأوّد

والجم الماء في الغدير ومُرْهُ لا يصفّق الا وانت بمشـهد

إن طيرِ الأراك ليس يبالي انت اصغيتَ أم انا إن غرّد

والازاهير ليس تسخر من فقري ولا فيك للغنى تتودّد

★

ألكَ النهر ؟ انه للنسيم الرطيب دربٌ وللعصافير مورد

وهو للشهب تستحم به في الصيف ليلاً كأنها تتبرّد

تدّعيه فهل بأمرك يجـري في عروق الاشجار أو يتجمّد ا

كان من قبل ان تجيء ، وتمضي

وهو باقٍ في الارض للجزر والمد

★

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجني الشهد من زهره ولا تتردد

وأرى للنمال ملكـاً كبيـراً قد بنته بالكدح فيه وبالكـد

أنت في شرعها دخيل على الحقل ولص جنى عليها فأفسد

لو ملكتَ الحقول في الأرض طراً
لم تكن من فراشة الحقل أسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور
دةِ ذات الشذى ولا أنت اجوَد
ام عزيز وللبعوضة من خدّيك قوتٌ وفي يديك المهند
ام غني ؟ هيهات تختال لولا دودة القزِ بالحباء المبجّد
ام قوي ؟ اذن مرِ النوم إذ يغشاكَ والليل عن جفونك يرتد
وامنعِ الشيب انّ يلمّ بفوديك ومرُ تلبث النضارة في الجد
اعليم ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلاً ؟ في أي دنيا يولد ؟
ما الحياة التي تبين وتخفى ؟ ماالزمان الذي يذَمّ ويحمد ؟
أيها الطين لست انقى واسمى من ترابٍ تدوس أو تتوسد
سدتَ أو لم تسد فما أنت إلا حيوانٌ مُسيَّر مستعبد

ان قصراً سمكتَه سوف يندك ّ وثوباً حبكته سوف ينقــد
لا يكن للخصام قلبك مأوى ان قلبي للحب أصبح معبد
انا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفــد

التينة الحمقاء

وتينةٍ غضةِ الأفنان باسقةٍ   قالت لأترابها والصيفُ يحتضر ،

« بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني

عندي الجمال وغيري عنده النظرُ »

« لأحبسنّ على نفسي عوارفها   فلا يبين لها في غيرها اثر »

« كم ذا اكلّف نفسي فوق طاقتها

وليس لي بل لغيري الفيْءُ والثمر »

« للني ابلجناح وذي الاظفار بي وطرٌ
وليس في العيش لي فيما أرى وطر »
« اني مفصّلةٌ ظلي على جسدي فلا يكون به طول ولا قصر »
« ولست مثمرة الا على ثقة أن ليس يطرقني طير ولا بشر »

★

عاد الربيـع إلى الدنيـا بموكبـه
فازّينت واكتست بالسندس الشجر
وظلت التينة الحمقاء عاريـةً كأنها وتد في الأرض أوحجر
ولم يُطِق صاحب البستان رؤيتها فاجتثّها فهوت في النار تستعر
من ليس يسخو بما تسخو الحياة بـه
فـإنه أحمـق بالحرص ينتحـر

في القفر

سئمتْ نفسيَ الحياة مع الناس ،

وملّت حتى من الأحبابِ

وتمشت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشراب

ومن الكذْب لابساً بُردة الصدق،

وهذا مسربلاً بالكِذاب

ومن القبيح في نقابٍ جميل ومن الحسن تحت ألف نقاب

ومن العابدين كلَّ إلـهٍ ومن الكافرين بالأرباب
ومن الواقفين كالأنصاب ومن الساجدينَ للانصاب
ومن الراكبين خيل المعـالي ومن الراكبين خيل التصابي
والألى يصمتون صمت الأفاعي والألى يهزجون هزج الذباب
صغُرت حكمة الشيوخ لديها واستخفّت بكل ما للشباب
قالت اخرجْ من المدينة للقفر ففيه النجـاة من أوصابـي
وَلْيَكُ الليـل راهبي ، وشموعي
الشهب ، والأرض كلها محرابي
وكتابي الفضاء اقرأ فيـه سُوَراً ما قرأتها في كتـاب
وصلاتي الذي تقول السواقي وغنائي صوت الصَّبا في الغاب
وكؤوسي الأوراق القت عليهـا
الشمس ذوب النضار عند الغياب

ورحيقي ما سال من مقلة الفجر على العشب كاللجين المذاب
ولتكحل يد المساء جفوني ولتعانق أحلامه أهدابي
وليقبل فم الصباح جبيني وليعطر أريجه جلبابي
ولأكن كالغراب رزقي في الحقـ
ـل وفي السفح بجثمي واضطرابي
ساعة في الخلاء خير من الأ
عوام تقضى في القصر والأحقاب

★

يا لنفسي فانها فتنتني بالحديث المنمق الخلاب
فاذا بي اقلي القصور وسكنا ها وأهل القصور ذات القباب
فهجرت العمران تنفض كفي عن ردائي غباره واهابي
وتركت الحمى وسرت واياها وقد ذهب الاصيل الروابي

نهتدي بالضحى فان عسعس اللّيـ

ـل جعلنا الدليـل ضوء الشـهاب

وقضينا في الغـاب وقتـاً جميـلاً

في جوار الغــدران والاعشابِ

تارة في ملاءة من شــــعاعٍ تارةً في ملاءةٍ من ضباب

تارة كالنسيم نمــرح في الوا

دي ، وطوراً كالجدول المنساب

في سفوح الهضـاب والظلّ فيهـا

ومع النور وهو فوق الهضابِ

إنما نفسيَ التي ملّت العمران ملت في الغاب صَمْت الغابِ

فانا فيـه مستقلٌ طليــق وكأني أدبّ في ســردابِ

★

علمتني الحياة في القفر أنـي أينما كنتُ ساكنٌ في التراب

وسأبقى ما دمت في قفص الصلصال عبدَ الثرى أسيرَ الرغابِ

خلت اني في القفر أصبحت وحدي

فإذا النـاس كلهم في ثيابي !

التمثال

من المرمر المسنون صاغوا مثـاله
وطافوا به من كل ناحيـة زُمَرْ
وقالوا ـ صنعناه لتخليد رســمه
فقلت ـ الا يفنى كما فني الأثرْ
وقالوا ـ نصبناه اعترافـاً بفضله
فقلت اذنْ من يعرف الفضل الحجر

وقالوا غنيٌّ كان يسخو بمـاله
فقلت لهم هل كان أسخى من المطر
وقالوا قويٌّ عاش يحمي ذمـارنا
فقلت لهم هل كان أقوى من القدَر
أكان غنيـاً أم قويـاً فـانـه
بمالِكمُ استغنى وقوّتكم ظفـر
فلم يتعشّقكم ولا همّهُ بـه
كما خلتمُ لكنه النفع والضرر
ولم ترفعوا التمثال للبأس والندى
ولكن لضعفٍ في نفوسكم استتر
فلستم تحبون الغنيّ إذا افتقـر
ولستم تحبون القويّ إذا انذحر

رأيتكمُ لا تعرجون بروضة

إذا لم يكن في الروض فيءٌ ولا ثمر

ولا تعلفون الشاة إلا لتَسمنوا

ولا تقتنون الخيل إلا على سفر

إذا كان حب الفضل للفضل شأنكم

ولم تخطئوا في الحسّ والسمع والبصر

فما بالكم لم تكرموا الليل والضحى

ولم تنصبوا التمثال للشمس والقمر !

المَسَاء

السحب تركضُ في الفضاء الرحب ركض الخائفينْ
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساجٍ صامتٌ فيه خشوع الزاهدين
لكنّما عيناكِ باهتتان في الأفق البعيدْ
سلمى ... بماذا تفكرين ؟
سلمى ... بماذا تحلُمين ؟

★

أرأيتِ أحلام الطفولة تختفـي خلف التخوم ؟
أم أبصرتْ عيناك أشباح الكهولة في الغيوم ؟
أم خفتِ أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما
أظلالها في ناظريكِ
تنمّ يا سلمى عليكِ

★

إني أراك كسائح في القفر ضلّ عن الطريقْ
يرجو صديقاً في الفلاة ، وأين في القفر الصديق!
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروقْ
بل أنتِ أعظم حيرةً من فارس تحت القتامْ

لا يستطيع الانتصارْ
ولا يطيق الانكسار

★

هذي الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيكِ
فلقد رأيتكِ في الضحى ورأيتُه في وجنتيك
لكن وجدتك في المساء وضَعتِ رأسك في يديك
وجلستِ في عينيك ألغازٌ وفي النفس اكتئابْ
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى ... بماذا تفكرين ؟

★

بالأرض كيف هوَتْ عروش النور عن هضباتها ؟
أم بالمروج الخضر ساد الصمت في جنباتها ؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى وكُنُناتها ؟
أم بالمسا ؟ إن المسا يخفي المدائن كالقرى
والكوخَ كالقصر المكينْ
والشوك مثل الياسمين

★

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقعِ
يخفي ابتسامات الطّروب كأدمع المتوجّع
إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى
أحلامُه ورغائبه
وسماؤه وكواكبه

★

إن كان قد ستّرَ البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهرَ الأريجَ ولا المياه خريرها
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها
ما زال في الورَق الحفيفُ وفي الصّبا أنفاسها

والعندليب صداحه
لا ظفرُه وجناحه

★

فاصغي إلى صوت الجداول جارياتٍ في السفوحْ
واستنشقي الأزهار في الجنّات ما دامت تفوحْ
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوحْ
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخانْ

لا تبصرين بـه الغدير
ولا يلذّ لكِ الحرير

★

لتكنْ حياتكِ كلها أملاً جميلاً طيّبا
ولتملأ الاحلام نفسكِ في الكهولة والصبى
مثل الكواكب في السماء وكالأزاهر في الربى
ليكن بأمر الحب قلبكِ عالمَاً في ذاتـهِ
أزهاره لا تذبلُ
ونجومه لا تأفلُ

★

مات النهارُ ابن الصباح فلا تقولي كيف ماتْ
إن التأمل في الحياة يزيد أوجاعَ الحياة

فدعي الكــآبة والأسى واســترجعي مرح الفتاة
قــد كان وجهكِ في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشــاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء

الكمنجة المعطّلة

شاهدتها كالميْت في أكفانـهِ فوجمتُ إلا عبرةً أذريـهـا
مهجورةً كسفينةٍ منبوذةٍ في الشطغاب وراءه ماضيها
نسجت عليها العنكبوت خيوطها
وكسا الغبـار غـلالة تكسوهـا
أقوت وباتت كالمسامع بعدها لا شيء يطربها ولا يشجيهـا
وكأنها في صمتها مشدوهةٌ ان لا ترى بهتافها مشدوهـا

لا حسّ في أوتارها لا شوق في　　اضلاعها، لا حسن في باقيها
فارزحْ بحزنك يا حزين فانها　　لا تنشر الشكوى ولا تطويها
وإذا انقضى عهد التعلّل بالمنى　　فالنفس يشقيها الذي يُرديها

★

لله عهدٌ مرّ لي في ظلها　　أبكي عليه وتارة أبكيها
كانت كأن ضلوعها موصولةٌ　　بأضالعي وسرائري في فيها
كم مرةٍ حامت غرابيب الاسى　　لتقيت من قلبي الجريح ِ بنيها
فإذا الاغاريد اللطيفة دونها　　سور يصون حشاشتي ويقيها
كم هزّني الشدو الرخيم فساقطت
نفسي　هموماً　أوشكت　تبليها
فاذا أنا مثل البنفسجة التي　　ذبلت فباكرها الندى يحييها
ولكم سمعت خفوق أجنحة المنى　　وحفيفها في نغمةٍ توحيها

فسكرتُ حتى ما أعي سُكْرَ امرئ
بالخمر اترعَ كأسه ساقيها

ورأيتني في جنةٍ سحريةٍ لا يرتوي من حسنها رائيها
ولمحت أحلام الشباب مواكباً تترى أمامي والهوى حاديها
سرّ السعادة في الرؤى أنّ الرؤى لا كفّ تثبتها ولا تمحوها
ولكم سمعت دبيب أشباح الأسى عند المسا في انةٍ تزجيها
فذكرتُ ثَمّ محاسناً تحت الثرى غابت وشوّهها البلى تشويها
فاذا أنا كالسنديانة شوّشت أغصانها الريحُ التي تلويها
أو كالسفينة في الضباب طريقها ضلت وغابت أنجم تهديها

شهد الدجى والفجر اني جازعٌ
لسكوتها جزع الغدير اخيها

ما ان سمعت أنينه ونشيجه الا ويعرو النفس ما يعروها

روّى الثرى يا ليت روحي في الثرى
أو في النبـات لعلّـه يرويهـا

★

يا صاحبيّ وفي حنايا أضلعي هم يكظّ الروح بل يُدميها
إن التي نقلت حكايات الهوى لم يبقَ غير حكايةٍ ترويهـا
كمدينةٍ دكّ القضاء صروحها دكّـاً وكفّن بالسكوت ذويها
نُعيَتْ فريعَ الفجر وارتعش الدجى
ما كان أهونَها على ناعيهـا !
لا تعجبا في الغاب من نوْح الصَّبا
وعويلهـا ، إن الصبـا ترثيهـا
لو تسمعان نحيبَهـا متمشّيـاً كالسحر في الأرواح يستهويها
لعلمتما انّ القضاء اغتالهـا كيلا تبوح بكل سرٍّ فيهـا

زهرة أقحوان

كان في صدريَ سرٌّ كامنٌ كالأفعوانِ
أتوقّاهُ وأخشى ان يراهُ من يراني
وإذا لاح أمامي عقّلَ الذعرُ لساني
فكأني عند بحرٍ هائج أو بُرُكانِ
لم اخفهُ غير اني خفتُ أبنـاء الزمانِ
ولكَمْ فانٍ نظيري خاف قبلي بطش فانِ

★

لم يسع سري فؤادي لم تسع نفسي المغاني
فقصدتُ الغاب وحدي والدجى ملقى الجِرانِ
ودفنت السرّ فيه مثلما يُدفنُ جانِ
ورأى الليلُ قتيلي فبكاه وبكاني
انّ للّيل دموعاً لا تراها مقلتانِ

★

كنتُ حتى مع ضميري امس في حربٍ عوانِ
فانقضى عهد التجافي وأتى عهد التداني
خدرتْ روحي فأمسى شأن جُل الخلق شاني
لا أرى في الخمر معنىً ولكم فيها معانِ
فكأني آلة العاصر أو إحدى الأواني
لم يعد قلبيَ كالبرق شديد الخفقانِ

لم تعد نفسيَ كالنجمة ذات اللمعانِ
بتّ لا أبكي لمظلوم ولا حرٍ مهانِ
لا ولا أحفلُ بالباكي ولو ذا صولجانِ
صرتُ كالصخر سواءٌ هادمٌ عندي وبانِ

★

يا لآمالي الغوالي ! يا لأحلامي الحسانِ
طوّت الغابةُ سري فانطوت معْه الأماني
ضاعَ لما ضاع شيءٌ من كياني بل كياني

★

في صباحٍ مستطيرٍ كصباح المهرجانِ
لبستْ فيه الروابي حلّةً من ارجوانِ

وتبدّى القابُ من أوراقه في طيلسانِ
ساقني روحٌ خفيٌّ نحو ذيّاك المكانِ
فاذا بالسرّ أضحى زهرةً من اقحوانِ

الأسرار

يا ليتني لصٌّ لأسرق في الضحى
سرَّ اللطـافة في النسيم الساري
واجسَّ مؤتلق الجمال باصبعي في زرقة الافُق الجميل العاري
ويبّينَ لي كنه المهابة في الربى والسرّ في جذل الغدير الجاري
والسحرُ في الالوان والانغام وا
لأنـداء والأشـذاء والازهـارِ

وبشاشـــة المرج الخصيب ووحشة الـ

وادي الكئيب وصولة التيّارِ

وإذا الدجى أرخى عليّ سدولهُ

أدركتُ ما في الليل من أسرارِ

فلكمْ نظرتُ إلى الجمال فخلتهُ أدنى إلى بصري من الاشفار

فطلبته فاذا المغالق دونـــه وإذا هنالك الفُ الف ســتار

بادٍ ويُعجز خاطري ادراكه وافتنّي بالظاهر المتواري !

العميان

كم خفضنا الجناح للجاهلينا
وعذرناهمُ فمــا عذرونــا
خبّروهم يا أيهــا العاقلونــا
انمــا نحن معشر الشــعراء يتجلى سر النبوّة فينـــا

★

ذكّروهم فربّ خيرٍ كبيرِ

فعلتْـه المداةُ بالتـذكير
انما الناسِ من ترابٍ ونور
فبنو النور يعبدون النـورا وبنو الطين يعبدون الطينـا

★

قيل عنا قصورنا من هبـاء
تتلاشى في ضحوة ومساء
أو سطورٌ بالمـاء فوق المـاء
لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنسيتم شهوركم والسنينـا

★

لو دخلتم هياكل الإلهـام
وسرحتم في عـالم الأحلام

واجتليتم سرّ الخيال السامي
وعرفتم كما عرفنا الله لخررتم أمامنا ساجدينا

★

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا
حسنتْ نكهةً ، وطابت مذاقا
وسقيْنا مما شربنا الرفاقا
فتركناهمُ حيارى سكارى يتمنَّون انهم لا يعونا

★

همُّكم في الكؤوس والأكوابِ
آهِ لو كان همكم في الشراب
لطرحتم عنكم قيود التّراب

وشعرتم بلذّةٍ أو عــذاب   هذه الخمر ليتكم تشربونـــا

★

اتقولونَ   انـــه   مجنونُ   !

اتقولونَ   انـــه   مفتـونُ   !

اتقولونَ   شاعرٌ   مسكينُ   !

كم مليكٍ كم قائدٍ كم وزيرٍ   ودّ لو كان شاعراً مســكينا

★

عاش « ملتن » فلم يكن مذكورا

وهوميروس « كالشيخ » كان ضريرا

ولقد مات « ابن بردٍ » فقيرا

أرأيتم كما رأى العميانُ ؟ أفلستُم بنورهم تهتدونـا

الزمان

يمشي الزمانُ بمن ترقّب حاجة متثاقلاً كالخائف المتردّدِ
حتى ليحسبه أسيراً موثقاً ويراه أبطأ من كسيحٍ مقعدِ
ويخال حاجتَه التي يصبو لها في دارةِ الجوزاء أو في الفرقد
ويكون ما يرجوه زورةَ صاحبٍ
ويكونُ أبعد ما يرجّي في غدِ

★

فاذا تولى النفسَ خوفٌ في الضحى
من واقبٍ تحتَ الدجى أو معتدِ
طارت بها خيل الزمان ونُوقُه نحو الزمان المظلمِ الاسودِ
فكأنها محمولةٌ في بارقٍ أو عارضٍ أو عاصفٍ في فدفد

★

ويكون أقصرَ ما يكون إذا الفتى
مدّت له الدنيا يد المتوددِ
فتوسطَ اللذّاتِ غيرَ منفّرٍ وتوسد الاحلام غير منكّدِ
فاذا لذيذ العيش نغبة طائرٍ وإذا طويل الدهر خطرة مِرودِ

★

وإذا الفتى لبسَ الأسى ومشى به
فكأنما قد قال للزمن اقعدِ

فإذا الثواني أشهرٌ ، وإذا الدقـا
ثقُ أعصرٌ ، والحزن شيءٌ سرمدي

وإذا صباح أخي الأسى أو ليله متجددٌ مع همه المتجددِ
قهر الورى وأذلّهم ان الورى متعللٌ أو طامعٌ أو مجتـدِ
جعلوا رغائبهم قياس زمانهم والدهر أكبر ان يقاس بمقصد
وقتلتُ في نفسي الرغائب والمنى فقهرته بتجرّدي وتزهّدي

يشكو الذي يشكو السهادَ جفونَهُ
لو لم يكن ذا ناظرٍ لم يسـهدِ

ان كان شيء للنّفاد أعـدّهُ فبما انقضى ومضى وان لم ينفد
ما إن رأيت الكحل في حدق المهى الاّ لمحتُ الدود خلف الأثمد

من ليس يضحك والصباح مورّدٌ
لم يكتئب والصبح غير مورّد

سيّان أحلامٌ أراها في الكرى
عندي ، وأشياءٌ بها اشتملت يدي
أنا في الزمان كموجةٍ في زاخرٍ   انا فيه لا يزبد وان لم يزبـدِ
مهما تلاطم فهو ليس بمغرقي   أو مخرجي منه ولا بمبدّدي
هيهات مـا أرجو ولا أخشى غداً
هل ارتجي وأخاف ما لم يوجدِ
والأمس فيّ فكيف أحسبهُ انتهى
أفما رأيتُ الأصل في الفرع الندي
قبـلٌ كبعدٍ حـالةٌ وهميّـةٌ
أمسي أنا ، يومي أنا ، وأنا غدي

اليتيم

خبّروني ماذا رأيتم ؟ أأطفالاً
يتامى أم موكباً علويا

كزهورِ الربيع عَرفاً زكيّا ونجوم الربيع نوراً سنيا
والفراشات وثبةً وسكونا والعصافير بل ألذّ نجيّا
انني كلما تأملتُ طفلاً خلت اني أرى ملاكاً سويّا
قل لمن يبصر الضباب كثيفاً إن تحت الضباب فجراً نقيا

اليتيم الـذي يلوح زريــــاً ليس شيئاً لو تعلمون زريّا
انه غرسـة سـتطلع يومـاً ثمراً طيباً وزهراً جنيـــا
ربما كان أودع الله فيـــه فيلسوفاً ، أو شاعراً ، أو نبيا
لم يكن كل عبقريّ يتيمـاً انما كان كاليتم صبيــــا
ليس يدري لكنهُ سوف يـدري
ان ربّ الايتام ما زال حيّـــا
عندما يصبح الصغير فتيـا عندما يلبس الشباب حليـا
كل نجم يكون من قبل أن يبدو سديماً عن العيون خفيا
ان يكُ الموتُ قد مضى بأبيـه ما مضى بالشعور فيك وفيـا
وشقاء يولّد الرفق فينــا لهو الخير بالشـقاء تزيّـا
لا تقولوا من أمه ؟ من أبوه؟ فـأبوه وأمّـــه سوريـــا
فأعينوهُ كي يعيش وينمـو ناعم البال في الحياة رضيا

ربَّ ذهن مثل النهار منــيرٍ صار بالبؤس كالظلام دجيــا
كم أثيم في السجن لو أدركته رحمة الله كان حراً سريا
حاربوا البؤس في الصغار صغيراً
قبــل أن يستبدّ فيهــم قويــا
كلهم ذلك الجريح الملقّــى فلنكن كلنا الفتى «السامريا»

المجنون

أطار عني النوم صوتٌ في الدجى
كأنه دمدمة الشلّال
يصرخُ ، والريحُ تردّد الصدى
في أذُنِ الفضاء والتلالِ
يا ليلُ قف هنيهةً قبالي
ترَ البرايا وأرَ الليالي

أنا الشادي ، أنا الباكي ، انا العـاري انا الكـاسي
أنا الخمـرةُ والـدنّ انا الساقي ، أنا الحـاسي

★

خلعتُ ثوباً لم تفصّلهُ يـدي وهمتُ في الوادي بلا سربال
وخلّتني انطلقتُ من سلاسلي وخلُصتْ ذاتي من الأوحالِ
فلم أزل ارسقُ في أغلالي
ولم أزل في حندسِ المحالِ
فما أبكي من الغربـةِ عن جارٍ وعن خدْنِ
فقـد يرجعُ جيراني وتبقـى غربتي عـني

★

عرفتُ في النهارِ كل مقبلٍ ومدبرٍ ، وما عرفتُ حـالي

واستترتْ عني السهول والربى
تحت الدجى والبحرُ ذو الأهوالِ
لكنما لم تستتر آمـــالي
عني ولا نقصي ولا كمالي
ولا ضعفي ولا عزمـــي ولا قبحي ولا حســـني
فكم أهربُ من نفســـي ومـــا لي مهربٌ مني

★

فقلتُ من هذا؟فقال صاحبي موسوسٌ يهذي من الخيـــالِ
يأوي إلى الادغال في نهـــارهِ كأنه جزءٌ من الادغـــالِ
وفي الدجى لهُ صراخٌ عالِ
كأنهُ والليلَ في نضـــالِ

كأنّ الليلَ يوثقهُ بأغلالٍ وأمراسِ
ويضرب جسمهُ العاري بسوطِ الظالم القاسي

★

ما ان رآهُ احدٌ الاّ رآهُ شاخص الطرف إلى الأعالي
كأنما يرقب ركباً صاعداً أو هابطاً وليس غير الآلِ
كأنما يخشى على الهلالِ
وسائر الشهب من الزوالِ
فصاح الصوت : ما ارجوهُ في نفسي وما أحذر
فمهما رحُبَ الافقُ فنفسي الأفُقُ الأكبر

★

ليس جلالُ الليلِ ما أدهشني وانما أدهشني جلالي
ولا جمالُ الشهبِ ما حيّرني وإنما حيّرني جمالي

ان كان بي شوقٌ إلى وصالِ
فإنمـــا شوقي إلى خيـــالي
توشّحتُ الضحى والليلَ في انسي وفي حُزنـي
فما زاد الدجى خـــوفي ولا زاد الضحى أمـــنَي

★

لم اهجر الناس فأصناف الورى من السلاطين إلى الموالي
إلى ذوي العلم إلى أهلِ الغنى من واصلٍ وهاجرٍ وســـالِ
وحـــاضرٍ وسابقٍ وتـــالِ
في قبضتي « اليمنى » بلا جدالِ
تلاقى الاحمقُ الجاهلُ والعالِمُ في كفّـــي
ومن كان له إلـــفٌ ومن كان بلا إلفِ

★

وفي يدي «الشمال» أشكال المنى   وصورُ اليقين والضلالِ
وكل ما لعاقل أو جاهلٍ   من لذةٍ أو ألمٍ قتّالِ
وسائر الامور والاحوالِ
وكل شيءٍ قال شخصٌ : ذا لي
وكان الليلُ قد ازمعَ ان يحدو مطاياهُ
فساد الصمتُ في الوادي كأن الموتَ يغشاهُ

★

فسرتُ والفجرُ دليلي باحثاً   في الغابِ والسفوح والتلالِ
فلم أحد غير صريعٍ هامدٍ   منطرحٍ في جانبِ الشلاّلِ
«لا شيء» في قبضتهِ الشمالِ
وليس في اليمنى سوى «صلصالِ»

قطرة الطّلّ

إن ترَ زهرة وردٍ فوقها للطلّ قطره
فتأمّلها كلغزٍ غامضٍ تجهلُ سرّه
ولتكن عينك كفّاً وليكن لمسك نظره
ليستِ الحمراء جمره ، لا ولا البيضاء درّه

★

ربّ روحٍ مثل روحي عافتِ الدنيا المضرّه

فارتقت في الجوّ تبغي منزلاً فوقَ المجرّه
علّها تحيا قليلاً في الفضاء الحرّ حره
ذرفتهـا مقلةُ الظلماء عند الفجرِ قطرَه

نار القرى

روحي التي بالامس كانت ترتعُ
في الغابِ مثلَ الظبية القمراءِ
تقتاتُ بالثمر الجنيّ فتشبعُ ويبلّ غلتها رشاش الماء
نظرتْ اليكِ فأصبحت لا تقنعُ
بالماء والأفياء في الغبراء
تصغي وتنصت ، والحمامة تسجع إصغاؤها لكِ : ليس للورقاء

ناديتِها فلها اليكِ تطَلُّــعُ هذا التطلّع كان أصل شقائي
جنّحتِني كيما أطير فلم أطرْ هيهات انك قد طويت سمائي

★

قد كان يسبيني الجمالُ الرائعُ حتى لمحتك فهو لا يســبيني
عصفت بصدري لليقين زوابع ثلّتْ عروش توهّمي وظنوني
فأنا على ما ضاع مني جــازعُ ان الذي قد ضاع جدّ ثمينِ
لولاكِ ما مات الخيال اليافــع أفتعجبينَ إذا كرهتُ يقيني
هذا صَنيعكِ بي ، فما أنا صانعُ ؟
قد شــاء بحركِ ان تضلّ سفيني
جرّدتِ هذا الطين من أوهامهِ
وكبرت عن قارورة من طينِ

★

كيف الوصول اليكِ يا نار القرى
انا في الحضيض وأنت في الجوزاء
لي الف باصرةٍ تحنّ كما ترى لكنّ دونكِ ألف ألف غطاء
لو من ثرى ، مزّقتها بيد الثرى ،
لكنها سجُفٌ من الأضواء
ساءلتُ قلبي إذ رأى فتحيّرا
ماذا شربتَ فميدتَ ؟ قال : دمائي
يا ليتهُ قد ظل أعمى كالورى فلقد نعمتُ، وكان في ظلماء
قد شوّشت كف النهار سَكينتي يا هذه : ردّي إليّ مسائي

★

أمسيتُ حين لمستني بيديكِ لي الف باصرةٍ والف جناحِ
ولمحتُ نار الوحي في عينيكِ والوحي كان سُلافة الارواحِ

فنشرتُ أجنحتي وحمتُ عليكِ   متوهماً اني وجدتُ صباحي
قد كان حتفي في الدنوّ اليكِ   حتف الفراشة في فم المصباحِ
فسقطتُ مرتعشاً على قدميكِ   النار مهدي والدخان وشاحي
يا ليت نوركِ حين احرقني انطوى
فعلى ضيائكِ قد لمست جراحي

ابن الليل

أشرفَ البدر على الغابة في إحدى الليالي
فرأى الثعلبَ يمشي خلسةً بين الدوالي
كلما لاح خيالٌ خافَ من ذاك الخيال
واقشعرا
ورأى ليثاً هصوراً واقفاً عند الغدير
كلما استشعر حِساً ملأ الوادي زئير

فاذا بالماء يجري صاخباً عند الصخور

مكفهرا

ورأى البدرَ ابنُ آوى يتهادى في الفضـاءْ

كمليكٍ حوله الشهب جنودٌ وإمـاءْ

قال : لو كنتُ رفيق البدر ، أو بدر السماءْ

أو خيالـهْ

عشت حراً جيرتي الشهب ولي الظلماء مركبْ

آمناً ، ألعب بالبرق وطوراً بيَ يلعب

لا أبالي سطوة الراعي ولا الكلب المجرّب

وصياله

غير ان الليث لمـا أبصر البدر الضحوكا

قال : يا ابن الليل مهما اشتهي لا أشتهيكا

أنت وضّاح ولكن قاحلٌ لا صيدَ فيكا
أو حبالكْ
لك هذا الأفق لكن هو أيضاً للكواكبْ
إنما لو كنتَ ليثاً ذا نيوب ومخالب
لم تعثْ في وجهك الوضاح ألحاظُ الثعالب
صُن جمالك

أنا

حرٌّ ومذهبُ كل حرّ مـذهبي
ما كنت بالغاوي ولا المتعصبِ

اني لأغضب للكريم ينوشـه
مَن دونهُ وألوم من لم يغضـبِ

وأحبّ كل مهـذّب ولو انهُ
خصمي وأرحم كل غير مهذبِ

يأبى فؤادي ان يميل إلى الأذى
حبّ الأذية من طباع العقربِ
لي أن أردّ مساءةً بمساءةٍ
لو انني أرضى ببرقٍ خلّبِ
حَسْبُ المسيء شعورُه ومقالهُ
في سرّهِ : يا ليتني لم أذنبِ

★

أنا لا تغشّيَ الطيالسُ والحلى
كم في الطيالس من سقيمٍ أجربِ
عيناكَ من أثوابه في جنةٍ
ويداك من أخلاقه في سبسبِ

وإذا بصُرتَ به بصرت بأشمطٍ
وإذا تحدثهُ تكشّفَ عن صبي

إني إذا نزل البـلاء بصـاحبي
دافعتُ عنـه بناجذي وبمخلبي

وشددتُ ساعده الضعيف بساعدي
وسترتُ منكبهُ العريّ بمنكبي

وأرى مسـاوئه كـأني لا أرى
وأرى محاسنهُ وان لم تُكتَبِ

وألوم نفسي قبلـه ان أخطـأتْ
وإذا أسـاء اليّ لم أتعتّـبِ

متقرّبٌ من صاحبي فاذا مشت
في عِطفه الغلـواء لم اتقربِ

أنا من ضميري ساكنٌ في معقلٍ
أنا من خلالي سـائرٌ في موكبٍ

فإذا رآني ذو الغبـاوة دونـه
فكما ترى في الماء ظلَّ الكوكبِ

الإله الثرثار

زعم المرء انمـــا هـــو ربٌّ   كم يلوكُ الكلامَ هذا الالهُ
يلفظ البحرُ وهو ملحٌ اجـاجٌ   لؤلؤاً يبهرُ العيونَ ســناهُ
ما ادعى الدرّ أنه صورة البحـ   ـرِ ولا قـال : إنني إيّـاهُ
لا، ولا قال كل شيء إلى المحـ   ـوِ وما خصّ بالخلود سواهُ
ان تكن للخلود ذاتُك في الـد   نيا فما ذا الأمرُ الـذي تهواهُ؟

وإذا صرت غير شخصك في الأ
خرى فهـذا الفنـا الذي تخشاهُ

في التراب الذي تدوس عليه   الف دنيا وعالمٍ لا تـراهُ
أنت جزءٌ من الكيان وفيه   كثراهُ ، كنبتِه ، كحصاهُ
كالورود التي تحبّ شذاها   والبعوض الذي تخافُ اذاهُ
ما لحيٍّ بالموت عنه انفصال   ان دنياهُ هـذه أخـراهُ

الأشباحُ الثلاثة

راودني النوم وما برحا حتى طأطأتُ له راسي
اطبقتُ جفوني فانفتحا باب الرؤيا والوسواسِ
أبصرت كأنيَ في موضعْ ما فيه غير الأرواح
فوقفتُ بعيداً أتطلّع فلمحت ثلاثة أشباح

ولدٌ يتهادى في العشرِ وفتى في بُردِ العشرينا

والثـالث شيخٌ في طِمر ذو جسمٍ يحكي العرجونـا
وإذا بالأوّل يقتـربُ مني كالطـائر في الوثبِ
فشعرتُ كـأنيَ أضطرب وكـأن خطاهُ على قلبــي
يا نفسي ما هذا الفرقُ ؟ لا رمحٌ معـه ولا نبْـل
ولماذا الخشـية والقلـقُ والخلـق أحبُّهم الطفل
وإذا بالطفـلِ يخاطبني بكـلامٍ لا يتكلّفـــهُ
ويمــازحـني ويداعبني فكـأني شخصٌ يعرفـهُ
ما بالك منكمشـاً كمِـداً قم نلعبْ في فيء الشجر
ونهـزّ الأغصنَ والعمدا ونـذود الطير عن الثمر
أو نصنع خيلاً من قصـبٍ أو طيّـاراتٍ مـن ورقِ

ومدىً وسيوفـاً من خشبٍ ونجولُ ونركض في الطرق
أو نـأتي بالفحم القـاتمْ ونصوّر فـوق الأبـوابِ

تنّينـاً في بحـرٍ عـائم أو ليثـاً يخطر في غـابِ
أو كلبـاً يعدو أو حـَملا يرعى أو نهـراً أو هضبهْ

أو ديكاً ينقـد أو رجـلا يمشي ، أو مهراً ، أو عربَهْ
أو نجبـلُ مـاءً وترابـا ونشـيد بيوتـاً وقبـابا

أو نجعل منـهُ أنصـابـا أو نصنع حلوى وكبابـا
مثّلتُ الطفـل ودنيـاهُ فـأحبّت نفسيَ دنيـاهُ

وودتُ لو أني ايـاه بل خلتُ كـأني ايـاه
فضحكتُ ولجّ بيَ الضحكُ حتّى استلقيتُ على ظهـري

فاستيقظ في الولـد الشكّ فتوقّف يعجب من أمـري
ويقول : ايا هـذا قدكا فوَحقّك ذا الطيش الاكبر
ما تضحك منّي بل منكـا ايّاك أنا لو تتـذكر !
وتوارى عـني واحتجبا كالموجة في عرض النهـر
فتضايق قلبي واضطربـا وارتجت روحي في صدري

٢

وإذا الشبح الثاني أقبـلْ يترنّـح مثل المخمـورِ
الليلُ على الدنيا مُسدل وعليه وشاحٌ من نـورِ
معصوب المقلة والدربُ وعرٌ وكثير الآفـاتِ
كسفينٍ ليس لهـا ربّ تجري في بحر الظلمـاتِ

ماذا في الأفق ؟ فقد وقفا يتسأملُ فيه ويبتسم
هل لاح له وجهٌ عرفا أم هزّ جوارحهُ نغمُ

أم أبصر آلهة الحبّ تدعوه اليها ايماءَ
لا شيءٌ في الأفق الرحب وكأن هنالك أشياءَ

الطيرُ تغني للزهرِ ويظنّ الطيرَ تساجلهُ
والزهر ترحّب بالفجر ويظن الزهر تغازلهُ

ونظرتُ اليه في البرّ يتمنى لو خاض البحرا
ونظرت اليه في البحرِ يتمنى لو بلغ البرّا

يتأفّفُ من بطء الدهر والدهرُ يسير به وثبا
وينام ليحلمَ بالفجر والفجر يضيء له الدربا

ويسائل عن كأس الخمرِ ويسائله عنها الناس
في الليل وفي وضح الفجرِ والخمرةُ فيه والكاس
فصبرتُ ولازمتُ الصمتا حتى دانى الظلّ الظلّ
فأشرتُ اليه : من أنتا ؟ فأجاب : أنا ذاك الطفلُ
ومضى كالظلِّ إذا انتقلا وأنا أرجو لو لم يمضِ
فأعدت لنفسي ما ارتجلا فتعجّب بعضي من بعضي

٣

الشمسُ تزلّ عن الأفق كالروح المحتضر الساجي
غمرتها أمواج الغسَقِ فتوارت خلف الأمواجِ
والغيم الأسود يحتشدُ طبَقاً في الجو على طبق

واللّيلُ يطول ويطّردُ والأرض كسارٍ في نفقِ
وإذا شيخٌ في صحراءٍ كالزورق في عرض البحرِ

أعياهُ الصلح مع المساءِ وأضاع الدرب إلى البرِّ
يمشي في الأرض على مهلٍ وعلى حذر لكن يمشي

كالشاة تساق إلى القتلِ بعصا جبارٍ ذي بطشٍ
يا شيخُ ... لماذا لا تقفُ دَمِيَتْ رجلاك من الركض

فأجاب بصوتٍ يرتجفُ الأرض تسير على الأرض!
يا شيخ ... رويداً فالبدرُ سيضيء الدربَ فتستهدي

فأجاب : ويتلوه الفجرُ لكن سيضيء لمن بعدي
أيلذّ لغصنٍ منكسرٍ عرّته الريحُ من الورقِ

ان يبصر في ضوء القمرِ ما كان عليه على الطرُق
ما لذّة ميت في الرمس بالزهر الفوّاح العطرِ
نورٌ لا يشرق في النفس كغناءٍ في أُذن الحجرِ
ما استخفّت عني الافلاكُ والشهب بل استخفى حبي
لم تملأ دربي الأشواكُ ان الاشواكَ لفي قلبي
يا شيخُ : شجاني ما قلتا وزرعت بنفسي آلامك
من أنت ؟ أجاب : أنا أنتا
أنا ذاتُك تمشي قدّامك

★

كم أبحث بين الاجرامِ عني وأنقّب في الأرضِ

أحلامي تطمـــر أحلامـــي   بعضي مدفونٌ في بعـــضي

لم أبصر ذاتـي بالأمـــسِ   في لوحِ زجاجٍ أو مـــاءِ

بل لاحت نفسي في نفسي   فهـــي المرئيّـــة والرائي

العلّيقَة

ذات شوكٍ كالحرابِ أو كأظفار العُقابِ
ربضت في الغاب كاللص ، لفتكٍ واستلاب
تقطعُ الدرب على الفلاح والمولى المهاب
صنتُ عنها حُرّ وجهي ، فتصدت لثيابي
كلما افلتُّ من نابٍ تلقتني بناب
فلها نهشُ الافاعي ، ولها لسعُ الذباب

وأذاها في سكوني ، كأذاها في اضطرابي
وهي كالقيد لساقي ، وبلجيدي كالسخاب
فكأني في عناقٍ ، لا نضالٍ ووثابِ

*

قلتُ : يا ساكنةَ الغاب ، ويا بنت التراب
لا تلجّي في اجتذابي ،أو فلجّي في اجتنابي
إنّ عوداً فيه ماءٌ ليس عوداً لاحتطاب
أنا في فجر حياتي ، أنا في شرخ شبابي
الهوى ملءُ فؤادي ، والصبى ملء اهابي
والمنى تنبتُ في دربي ، وتمشي في ركابي
أنا لم أضجر من العيش ولم أملل صحابي
لم أزل ألمحُ طيف المجد حتّى في السراب

لم أزل أستشعر اللذة حتى في العـــذاب
لم أزل أستشرف الحسن ولو تحت نقاب

★

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي
أنا للأرض ، وان طال عن الأرض اغترابي
غير اني لم يزل ضرعي لمريٍ واحتلابِ
لم أهب كل الذي عندي ، ولم يفرغ وِطابي

★

أنا نهرٌ لم أتمّم بعد في الأرض انسيابي
أنا روض لم أذع كلّ عبيري وملابي
أنا نجمٌ لم يمزق بعد جلبـــابَ الضبابِ
أنا فجرٌ لم تتوّج فضّتي كل الروابي

لي رغابٌ لم تلد بعدُ فتبلى بالتباب
وبنفسي الفُ معنى لم يضمّن في كتابِ

★

فاذا استنفدتُ ما في دنّ نفسي من شرابِ
وإذا أنجم آمالي توارت في الحجابِ
وإذا لم يبق في غيميَ ماءٌ لانسكابِ
وإذا ما صرتُ كالعلّيق تمثال اكتئاب
لا يُرجّينيَ محتاجٌ ، ولا يطمعُ ساب
فاجذبيني .. ان يكن منّيَ نفعٌ للترابِ

مَيّ

أروي لكم عن شاعرٍ ساحرٍ حكايةً يُحمد راويها
قال : دعا أصحابَهُ سيّدٌ في ليلة رقّت حواشيها
فانتظمت في قصره عصبةٌ كريمةٌ لا واغلٌ فيها
من نبلاء الشعب ساداتُها وخيرة الغِيد غوانيها
حتّى إذا ما جلسوا كلهم وطاف بالاكواب ساقيها
قام أميرُ القصر في كفّهِ كأسٌ أعارتهُ معانيها

وقال : يا صحبُ على ذكركم املأها حبّاً وأحسوها
وذكرِ مَن قلبيَ عبدٌ لها ومهجتي إحدى جواريها
حبيبتي « لمياء » سمّيتها ولم أكن قبلاً أسميها
فشربوا كلهمُ سرّها وهتفوا كلهمُ تيها
فأجزل الشكرَ لأصحابهِ الشكرُ للنعمةِ يُبقيها
وصاح بالساقي : علينا بها فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للاضياف : سمعاً ! فلي كلمةٌ ، ألعدلُ يمليها
ما أنا وحدي الصبّ فيكم ولا كلّ العذارى من أناجيها
فكلّ نفسٍ مثل نفسي لها في هذه الدنيا أمانيها
وكلّ قلبٍ مثل قلبي له حسناء ترجوهُ ويرجوها
يا صحبُ من كانت به صبوةٌ يعلنها الآنَ ويبديها
فنهضوا ثانيةً كلّهم ورفعوا الكاسات تنويها

كلهمُ يشربُ سرّ الـــتي   يهوى من الغيدِ ويُطريها

★

وكان في الشّربِ فتى باسلٌ   طلعتــهُ تســحرُ رائيهـا
شارك في أوّل أقداحهم   ولم يشاركهم بثانيهـا
وأنتَ ؟ قال الصحب واستضحكوا
هـل لك حسناءٌ تحبّيهـا ؟
قال أجل : اشرب سرّ الـتي   بالروح تفديني وأفديها
صورتها في القلب مطبوعةٌ   لا شيء حتى الموت يمحوها
لا ترضاني رياءً ولا   تلثمني كذباً وتمويهـا
يضيعُ مالي ويزول الصبى   وحبّها باقٍ وحبّيهـا
قد وهبتني روحها كلّها   ولم تخف اني اضحّيها
سرّ التي لا غادةٌ بينكم   مهما سمت في الحبّ تحكيها

فأجفلوا منهُ كمين حيّةٍ نهّاشة قد عزّ راقيها
وقالت الغادات : أفٍ له قد شوّه المجلس تشويها
لو ظل فيما بيننا صامتاً لم تسمع الآذانُ مكروها
وقلقل الفتيانُ أسيافهم فأوشكت تبدو حواشيها
وتعتع الشادي بألحانهِ وماجتِ الدارُ بمن فيها
وقال قومٌ : خبّلتهُ الطلا ! وقال قومٌ : صار معتوها !
فصاح ربّ الدار : يا سيّدي وصفتها ، لِمَ لا تسمّيها

أتخجلُ باسم من تهوى ؟
أحسناءٌ بغيرِ اسم ؟
فاطرقَ غير مكترثٍ
وتمتمَ خاشعاً ... أمّي !؟

لا أنت ولا أنا

قلتُ : السعادةُ في المنى فرددتَني
وزعمتَ أنّ المرء آفتُهُ المنى

ورأيتُ في ظلّ الغنى تمثالهـا
ورأيت أنت البؤس في ظل الغنى

ما لي أقول بأنهـا قد تُقتنى
فتقول أنتَ بأنهـا لا تُقتنى

وأقول ان خُلقت فقد خُلقت لنا
فتقول ان خُلقت فلم تُخلق لنـا

وأقول إني مؤمـنٌ بوجودهـا
فتقول مـا أحراكَ ان لا تؤمنا

وأقول سرٌّ سوف يُعلن في غد
فتقول لا سرٌّ هنـاك ولا هنـا

يا صـاحبي هذا حوارٌ باطـلٌ
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

الناسكة

أبصرتُ في الحقل قُبيل المغيبْ
سنبلةً في سفح ذاك الكثيب
حانيةً مطرقة الرأسِ كأنما تسجد للشمسِ
أو أنها تتلو صلاة المساءْ

★

فملت عن راهبة الحقلِ
وسرت لا ألوي على ظلّي
ألتقط الحبّ وأذريهِ وتارة في النار ألقيهِ
مستخرجاً منه لجسمي غذاء

★

قد غابت الشمس وراء القممْ
وسكتَ الطير الذي لم ينمْ
لكنّ ناري لم تزل ترعج ولم أزل آكل ما تُنْضج
يا حبّذا النارُ ونعم الشواءْ
وإنني في مرَحي والدَّدِ
إذ صاح بي صوتٌ بلاموعدِ
ما الحبّ يا هذا ولا السنبل ما تأكل النار وما تأكل

وإنمــا اسلافك الاصفيــاء

★

لا بشرٌ لا طــائرٌ مــاثـــلُ
يا عجباً ! نطقٌ ولا قــائل
من أين جاء الصوت؟لا أدري لكنّما ناســكة الـــبرّ
قد رفعت هامتها للســلاء

عيد النهى (1)

قل للحمائم في ضفاف الوادي   يا ليتكنّ على شغاف فؤادي

لترين كيف تبعثرت احلامهُ   وجرت به الآلام خيل طراد

كانت تشع على جوانبه المنى   فتخبّتْ وبُدّل جمرها برماد

أسعدنه فعسى يخفّ ولوعُهُ   ان الشجيّ أحق بالإسعاد

ذهب الصّبا وبقيت في حسراته   ليت الأسى مثل الصبا لِنفاد

---

(1) هو اليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف .

إن الشباب هو الغنى فإذامضى وأقمتَ لا ينفك فقرك بادِ
أمسيت انظر في الحياة فلا أرى إلا سواداً آخذاً بسوادِ
ألقى الصباحَ فلا يطول تأملي حتى يحول شعاعه لصعادِ
وإذا تقابلني النجوم تخاوصت فكأنما هي أعين الحسّادِ
ماثم من ذكرى إذا خطرت على قلبي استراح سوى خيال الوادي
أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه بالورس آونةً وبالفرصادِ
أفلا يزال يذوب في أمواجهِ ذهبُ الأصيل وفضة الآرادِ
لهفي إذا ورد الرفاق عشيّةً وذكرت اني لست في الروّاد
وإذا الحمام شدا وصفق موجهُ ان لا اصفق للحمام الشادي
وإذا النخيل تطاولت اظلاله ان لا يكون مظلتي ووسادي
وإذا الكواكب رصّعت آفاقه ان لا يكون لرعيهن سهادي
ذقتُ الهوى وعرفته في شطّهِ ان الهوى للمرء كالميلاد

لا تدرك الأكباد سر وجودها حتى يجول الحبّ في الاكباد
ماعشت لم يمسس جوانحك الهوى لم تدرِ ما في العيش من امجادِ
لا تبصر العين الرياض وحليها الا على ضوء الصباح المادي

★

وطنان أشوَقُ ما أكون اليهما مصر التي أحببتها وبلادي
ومواطن الارواح يعظم شأنها في النفس فوق مواطن الاجساد
حرصي على حب «الكنانة» دونه حرصُ السجين على بقايا الزادِ
بلد الجمال خفيّهِ وجليّهِ والفن من مستطرفٍ وتلادِ
عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد إلا بمصر نضارة الآبادِ
كم من دفينٍ في ثراها لم يزل كالحيّ ذا مِقَةٍ وذا احقادِ
ومشيّدٍ ، للناس إذ يغشونه من كل أرضٍ خشية العبّادِ
عاش الجدودُ وأثّلوا ما أثّلوا واليوم ينبعثون في الاحفادِ

المسبغين على النوابغ فضلهم   كالفجر منبسطاً على الاطواد
أبناء مصر الناهضين تحيــة   كودادكم ان لم أقل كودادي

★

من شاعرٍ كلفٍ بكم وبأرضكم   أبداً يوالي فيكمُ ويُعادي
ان تكرموا شيخ الصحافة تكرموا   أسنى الكواكب في سماء الضادِ
خلع الشباب على الكنانة مطرفاً   هو كالربيع على ربىً ووهاد
ما زال يقحم في الجهالة نورهُ   حتّى تقاصر ليلها المتمادي
بصحيفةٍ نورُ العيونِ سوادها   وبياضُها من ناصع الأجيادِ
ينبوع معرفةٍ وهيكل حكمةٍ   ووعاء آدابٍ وكنز رشادِ
اغلى المواهبِ والعقول رأيتها   سكنت قصور مهارقٍ ومداد
ذِكر المجاهد في الحقيقة خالدٌ   ويزول ربّ السيف والأجناد
لولا جبابرة القرائح لم يسر   في الارض ذكر جبابر القُوّاد

ما ذلّلت سبلَ المعـالي امّـةٌ
إلا بقوة مصلح أو هـــادِ

★

« صرّوف » يسألك الأنام فقل لهم
كم في حياتك سـاعة استشهادِ
طلعَ القنـوطُ عليـك من أغواره
فرددت طائره وجأشك هـادِ
ومضيت تستقصي الحياة وسرّهـا
في كل عاقـلةٍ وكـل جمادِ
حتى لكدت تحسّ هاجسـةَ المنى
وتبين كم في النفس من اضدادِ
أنت الذي أسْرتْ بـه عزمـاته
والدرب غامضـــة عـلى الروّادِ

والليل آفاتٌ على أغوارهـا والهولُ أنجاد على الانجـادِ
انّ الحقائق أنت ناشر بندهـا في حين كان العلم كالإلحادِ
والعقل في الشرقيّ من أوهـامـه
كالنسرِ في الأوهـاق والأصفـادِ
تشقى متى تشقى الشعوبُ بجهلها وتعزّ حين تعزّ بالافرادِ
الساهرين الليل مثل نجومـه فكأنهم للدهر بالمرصـادِ
الباذلين نفوسهم لم يسألوا وعلى النفوس مدارع الفولادِ
خفضوا جناحهمُ وتحت برودهم همم الملوك وصولة المـرّادِ
لهمُ الزمان قديمه وحديثـهُ ما الناس في الدنيا سوى الآحادِ
ان الانام على اختـلاف عصورهم
جعلوا لأهل العلم صدر النـادي
ما العيد للخمسين بل عيد النهى وفنونه والخـاطر الوقّادِ

عيد الحصافة والصحافة كلها

في مصر ، في بيروت ، في بغدادِ

ما العيش بالاعوام كم من حقبة

كالمحوِ في عمر السواد العادي

العمرُ — إلا بالمآثرِ — فارغٌ كالقَطر طال به عناء الحادي

وسوى حياة العبقري نقيسها فتقاس بالآجال والآمادِ

موت العبقري (1)

كل ميت مهما علا في حياته ۞ كلّ ثاوٍ تحت الثرى من لداته

لا حدودٌ ولا مقاييس في المـوتِ

تسـاوى الجميع في سـاحاتـه

حاصدٌ حقله الوجود ، وما الاحياء

الاّ كشـوكِـهِ ونبـاتـه

---

(1) قيلت في رثاء العلامة المرحوم سليمان البستاني .

من نجا منه وهو في روحاتـه إنما قد نجـا إلى غدواتــه
ليس زرع الغصّات منهُ لثأرٍ ليس حصد اللذات من لذّاته
انه يسلب الغوايةَ كالرشـد فليس التمييز من عـاداتـه
لا تقل : ما وراءه ؟ ذاك سرٌّ خبـّأتهُ الحياة في ظلماتـه
ربّ قبرٍ نمشي عليه وفيـه شهواتٌ تُربي على ذرّاتــه
كل ذي رغبة دنت أو تسامت سوف يمضي يوماً بلا رغباته
ليس عمر الفتى وان طال إلاّ ما حوتهُ الحياة من مكرماتـه
يعظ النابغُ الخلائقَ حيّــاً إنما موتهُ اجلّ عظــاتــه

★

ظهر الموت للعيون جديــداً امس في بطشه وفي فتكاته
وهو تربُ الانسان منذ استوى في الأرض حياً مشى على خطواته

ما الردى بالحديث في النـاس لكن

نكتـة العلم ضـاعفت روعـاته

فقد الخلق واحداً من بنيـه وأضاع القريضُ خيرَ حماته

شاعرٌ كان يرقص الدهرُ أحيـاناً

ويبكي حينـاً على نغمـاتـه

ذهب الساحرون والسحر باقٍ في عيون المهى وفي كلماتـه

منشيءٌ رقّ لفظه كسجاياهُ ورفّ الجمال في جنبـاتـه

توّج « الضاد » بالملاحم حتى خالها القوم بعض مختَرعاته

نقل الأعصر الخوالي إلينـا في كتابٍ ، لله من معجزاتـه

فرأينا « هومير » ينشد فينا شعرهُ مثل واحدٍ من رواتـه

كان في دولة السيوف وزيراً ألمعيـاً ودولةٌ في ذاتـه

ما بكينا الرفات لمّا بكينـا كم رفاتٍ في الأرض مثل رفاته

بل بكينا لأننا قد حُرمنـا بالمنون المزيدَ من آياتـه
راعنا ان يزول عنّا ، وانّـا لم نطِقْ ان نطيلَ حبل حياته
قد اردنا حمل البشائر للعلـم فكنّا لأهلهِ من نعـاتـه
إن في « مصر » و « الشآم » دويّـاً
ما سمعناهُ قبـل يـوم وفـاتـه
وأحسّ « العراق » حـين أتـاهُ
النعيُ طعمَ الردى بماء « فراته »
و « بلبنان » رجفةٌ تتمشى في ينابيعـه وفي نسَماتـه
فتّحَ الموتُ حين أغمض عينيهِ عيون الورى على حسـناته
فهو ماضٍ لهُ جلالة آتٍ من فتوحاته ومن غزواتـه
والفتى العبقريّ يولد إذ يولـدُ
في مهـدهِ ، ويـوم مماتـه

الغدير الطموح

قـال الغـديرُ لنفسـه يا ليتـني نهرٌ كبـيرْ
مثل الفراتِ العذب أو كالنيل ذي الفيض الغزير
تجري السفائنُ موقراتٍ فيـه بالرزقِ الوفـير
هيهـات يرضى بالحقيرِ من المنى إلاّ الحقـير
وانسابَ نحو النهرِ لا يلوي على المرج النضـير
حتى إذا ما جـاءهُ غلب الهديرُ على الخرير

الطلاسم

جئتُ ، لا أعلمُ من أين ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئتُ هذا أم أبيت
كيف جئتُ ؟ كيف أبصرتُ طريقي ؟
لست أدري

★

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجود
هل أنا حرٌ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
اتمنى انني أدري ولكن ..

لست أدري

★

وطريقي ما طريقي ؟ أطويلٌ أم قصير ؟
هل أنا أصعدُ أم أهبط فيهِ وأغور
أأنا السائرُ في الدرب أم الدربُ يسير
أم كلانا واقفٌ والدهر يجري ؟..

لستُ أدري

ليتَ شعري وأنا في عــالم الغيب الامين
أتراني كنتُ أدري انــني فيــه دفـين
وبأني ســوف أبــدو وبأني ســأكون
أم تراني كنتُ لا أدرك شيئاً ؟..

لستُ أدري

★

أتراني قبلما أصبحتُ إنســاناً ســويّـا
كنتُ محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شيّا
ألهــذا اللغز حــلٌ ؟ أم سيبقى أبديّــا
لستُ أدري .. ولماذا لستُ أدري ؟..

لستُ أدري

الجنس

قد سألتُ البحرَ يوماً هل أنا يا بحرُ منكا ؟
أصحيحٌ ما رواهُ بعضهم عنّي وعنكا ؟
أم ترى ما زعموا زوراً وبهتاناً وإفكا ؟
ضحكتْ أمواجه مني وقالت :

لستُ أدري

★

أيها البحرُ أتدري كم مضت ألفٌ عليكا
وهل الشاطئُ يدري انه جاثٍ لديكا
وهل الانهار تدري انها منك اليكا

ما الذي الامواج قالت حين ثارت ؟
لستُ أدري

★

أنتَ يا بحرُ أسيرٌ آه ما أعظم أسْرك
أنتَ مثلي أيها الجبّار لا تملكُ أمرك
أشْبهتْ حالك حالي وحكى عذريَ عذرك
فمتى أنجو من الأسرِ وتنجو ؟
لستُ أدري

★

ترسلُ السحبَ فتسقي أرضنا والشجرا
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا
وشربناكَ وقلنا قد شربنا المطرا

أصوابٌ ما زعمنا أم ضلالٌ ؟

لستُ أدري

★

قد سألتُ السحبَ في الآفاق هل تذكر رملك
وسألتُ الشجرَ المورق هل يعرف فضلك
وسألتُ الدرّ في الاعناق — هل تذكر أصلك ؟
وكأني خلتها قالت جميعاً :

لستُ أدري

★

يرقص الموجُ وفي قاعك حربٌ لن تزولا
تخلق الاسماكَ لكن تخلق الحوتَ الأكولا
قد جمعتَ الموتَ في صدرك والعيشَ الجميلا

ليت شعري أنت مهدٌ أم ضريحٌ ؟
لستُ أدري

★

كم فتاة مثل ليلى وفتىً كابن الملوّحْ
أنفقا السّاعات في الشاطئ تشكو وهو يشرح
كلما حدّث أصغت وإذا قالت ترنّح
أحفيفُ الموج سرٌّ ضيّعاه ؟
لستُ أدري

★

كم ملوكٍ ضربوا حولك في الليلِ القبابا
طلعَ الصبحُ ولكن لم يجد إلاّ ضبابا
ألهمْ يا بحرُ يوماً رجعةٌ أم لا مآبا

أهمٌ في الرملِ ؟ قال الرملُ إني
لستُ أدري

★

فيك مثلي أيها الجبّار أصدافٌ ورملُ
انما أنتَ بلا ظلٍ ولي في الأرضِ ظلّ
انما أنتَ بلا عقلٍ ولي يا بحرُ عقلُ
فلماذا يا ترى أمضي وتبقى ؟
لستُ أدري

★

يا كتابَ الدهرِ قل لي أله قبلٌ وبعدُ
أنا كالزورق فيه وهو بحرٌ لا يُحدّ
ليس لي قصدٌ ، فهل للدهرِ في سيريَ قصدُ ؟

حبّذا العلم ولكن كيف أدري ؟
لستُ أدري

★

إنّ في صدريَ يا بحرُ لأسراراً عجابا
نزلَ السترُ عليها وانا كنت الحجابا
ولذا أزدادُ بُعداً كلما ازددت اقترابا
وأراني كلّما أوشكت أدري
لستُ أدري

★

انني يا بحرُ بحرٌ شاطئاهُ شاطئاكا
الغدُ المجهولُ والأمس اللذانِ اكتنفاكا
وكلانا قطرةٌ يا بحرُ في هذا وذاكا

لا تسلني ما غدٌ ما امسِ ؟ انني
لستُ أدري

في الدَّير

قيل لي في الدير قومٌ أدركوا سرّ الحياة
غير اني لم أجــد غـير عقولٍ آسنات
وقلوب بَلِيَتْ فيها المنى فهيَ رُفــات
ما أنا أعمى فهل غيريَ أعمى ؟
لستُ أدري

قيل : أدرى الناس بالاسرار سكان الصوامع
قلت : ان صحّ الذي قالوا فإن السرّ شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيونٌ في براقع
والتي لم تتبرقع لا تراها ؟

لستُ أدري

★

ان تكُ العزلة نسكاً وتقى ، فالذئبُ راهبْ
وعرينُ الليث ديرٌ حبّهُ فرضٌ وواجب
ليت شعري أيميت النسكُ أم يحيي المواهب ؟
كيف يمحو النسك إثماً وهو إثمٌ ؟

لستُ أدري

انني أبصرتُ في الديرِ وروداً في سياجِ
قنِعتْ بعد الندى الطاهر بالماء الأجاجِ
حولها النورُ الذي يُحيي ، وترضى بالدياجي
أمن الحكمة قتلُ القلب صبراً ؟
لستُ أدري

★

قد دخلتُ الديرَ عند الفجر كالفجر الطروب
وتركتُ الديرَ عند الليل كالليل الغضوب
كان في نفسيَ كربٌ صار في نفسي كروب
أمن الدير أم الليل اكتئابي ؟
لستُ أدري

قد دخلتُ الديرَ استنطق فيه الناسكينا
فاذا القومُ من الحيْرة مثلي باهتونا
غلب اليأس عليهم فهمُ مستسلمونا
وإذا بالبابِ مكتوبٌ عليه :
لستُ أدري

★

عجباً للناسكِ القانت وهو اللوذعي
هجرَ الناس وفيهم كلّ حسْنٍ المبدع
ومضى يبحثُ عنه في المكان البلقع
أرأى في القفرِ ماءً أم سراباً ؟
لستُ أدري

كم تماري أيها الناسكُ في الحقّ الصريحْ
لو أراد الله أن لا تعشق الشيء المليح
كان إ- سوّاك سوّاكَ بلا قلبٍ وروح
فالذي تفعلُ إثمٌ .. قال اني ...
لستُ أدري

★

أيها الهاربُ إنّ العار في هذا الفرار
لا صلاحٌ في الذي تصنع حتى للقفار
أنت جانٍ أيّ جانٍ قاتلٌ في غير ثار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟
لستُ أدري

ولقد قلتُ لنفسي وأنا بين المقابرْ
هل رأيتِ الأمنَ والراحة إلا في الحفائر
فأشارت فإذا ، للدودِ عَيْثٌ في المحاجر
ثم قالت : أيها السائل إني
لستُ أدري

★

انظري كيف تساوى الكلّ في هذا المكانِ
وتلاشى في بقايا العبدِ ربّ الصولجانِ
والتقى العاشقُ والقالي فما يفترقانِ

أفهذا منتهى العدل ؟ فقالت :

لستُ أدري

★

إن يكُ الموت قصاصاً ، أيّ ذنب للطهاره
وإذا كان ثواباً ، أيّ فضلٍ للدعاره
وإذا كان وما فيه جزاءٌ أو خساره
فلِمَ الاسماء إثمٌ وصلاحٌ ؟

لستُ أدري

★

أيها القبر تكلم واخبرني يا رمامْ
هل طوى أحلامك الموتُ وهل مات الغرامْ ؟
من هو المائت من عام ومن مليون عام ؟

أيصير الوقت في الأرماس محواً ؟
لستُ أدري

★

إن يكُ الموتُ رقاداً بعدهُ صحوٌ طويلْ
فلماذا ليس يبقى صَحْوُنا هـذا الجميل ؟
ولمـاذا المرء لا يدري متى وقت الرحيل ؟
ومتى ينكشف السترُ فيدري ؟
لستُ أدري

★

ان يكُ الموتُ هجوعاً يملأ النفسَ سـلاما
وانعتاقـاً لا اعتقـالاً وابتداءً لا ختامـا
فلماذا أعشق النوم ولا أهوى الحِمـامـا

ولماذا تجزع الأرواح منه ؟

لستُ أدري

★

أوراءَ القبر بعد الموت بعثٌ ونشورُ
فحياةٌ فخلودٌ أم فناء فدثور
أكلامُ الناس صدق أم كلام الناس زور
أصحيحٌ ان بعض الناس يدري ؟

لستُ أدري

★

ان أكن أُبعثُ بعد الموت جثماناً وعقلا

أترى أُبْعَثُ بعضاً أم ترى أبعثُ كُلاّ
أترى أبعث طفــلاً أم ترى أبعث كهلا
ثم هل أعرفُ بعد البعث ذاتي ؟
لستُ أدري

★

يا صـــديقي لا تعلّلني بتمزيق الســتورِ
بعدما أقضى ، فعقلي لا يبـــالي بالقشـورِ
ان أكن في حالة الإدراك لا أدري مصــيري
كيف أدري بعدما أفقد رشدي ؟
لستُ أدري

ولقد أبصرتُ قصراً شاهقاً عالي القبابْ
قلتُ ما شادك من شادك الا للخراب
أنت جزءٌ منه لكن لستَ تدري كيف غاب
وهو لا يعلم ما تحوي . أيدري ؟
لستُ أدري

★

يا مثالاً كان وهماً قبلما شاء البناةُ
أنت فكرٌ من دماغٍ غيّبتْه الظلمات
أنت أمنيّة قلبٍ أكلته الحشَرات

أنت بانيك الذي شادك . لا . لا
لستُ أدري

★

كم قصورٍ خالهـا الباني ستبقى وتدومْ
ثابتـاتٍ كالرواسي ، خـالداتٍ كالنجوم
سحب الدهر عليها ذيلهُ فهي رسـوم
ما لنا نبني وما نبني لهدمٍ ؟
لستُ أدري

★

لم أجد في القصر شيئاً ليس في الكوخ المهينِ
أنا في هذا وهذا عبد شـكّي ويقيـني

وسجينُ الخالدينَ الليلِ والصبحِ المبينِ
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى ؟
لستُ أدري

★

ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسيَ مهرب
إنني أرجو وأخشى ، انني أرضى وأغضب
كان ثوبي من حريرٍ مذهبٍ أو كان قنّب
فلماذا يتمنى الثوب عارٍ ؟
لستُ أدري

★

سائلِ الفجرَ أعند الفجر طينٌ ورخامْ ؟

واسال القصر الا يخفيه كالكوخ الظلامْ ؟
واسأل الأنجم والريح وسل صوبَ الغمام
أترى الشيءَ كما نحن نراهُ ؟
لستُ أدري

الفِكر

رُبَّ فكرٍ بانَ في لوحة نفسي وتجلّى
خلتُهُ مني ولكن لم يقم حتى تولى
مثل طيفٍ لاح في بئر قليلاً واضمحلاّ

كيف وافى ولماذا فرّ مني ؟

لستُ أدري

★

أتراهُ سائحاً في الأرض من نفسٍ لأخرى
رابه منيَ أمرٌ فـأبى أن يستقـرّا
أم تراهُ مرّ في نفسي كمـا أعبرُ جسرا
هل رأتهُ قبل نفسي غيرُ نفسي ؟
لستُ أدري

★

أتراهُ بارقـاً أومضَ حينـاً وتـوارى
أم تراه كان مثـل الطير في سجنٍ فطارا

أم تراهُ انحلَّ كالموجة في نفسي وغارا
فأنا أبحث عنه وهو فيها ؟
لستُ أدري

صراعٌ وعراك

إنني أشهدُ في نفسي صراعاً وعراكا
وأرى ذاتيَ شيطاناً وأحياناً ملاكا
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا

آم تراني واهماً فيا أراه ؟

لستُ أدري

★

بينا قلبي يحكي في الضحى احدى الخمائل
فيه أزهارٌ ، وأطيار تغني ، وجداول
أقبل العصر فأمسى موحشاً كالقفر قاحل
كيف صار القلب روضاً ثم قفراً ؟

لستُ أدري

★

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرُ
أين جهلي ومراحي وأنا غضٌ غرير
أينَ احلامي وكانت كيفما سرت تسير

كلها ضاعت ولكن كيف ضاعت ؟
لستُ أدري

★

ليَ ايمانٌ ولكن لا كإيماني ونسكي
انني أبكي ولكن لا كما قد كنتُ أبكي
وأنا أضحك أحياناً ولكن أيّ ضحك !
ليت شعري ما الذي بدّل أمري ؟
لستُ أدري

★

كلّ يوم ليَ شأنٌ كلّ حين لي شعورْ
هل أنا اليوم انا منذُ ليالٍ وشهور
أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور

كلما ساءلت نفسي جاوبتني :
لستُ أدري

★

رُبّ أمرٍ كنت لمّا كان عندي أتقيهِ
بتُّ لما غاب عني وتوارى اشتهيهِ
ما الذي حبّبه عندي وما بغّضنيهِ
أأنا الشخص الذي أعرض عنه ؟
لستُ أدري

★

رُبّ شخصٍ عشتُ معْه زمْناً ألهو وأمزحْ
أو مكانٍ مرّ دهرٌ وهو لي مسرى ومسرح
لاح لي في البعد أجلى منه في القرب وأوضح

كيف يبقى رسم شيءٍ قد توارى ؟
لستُ أدري

★

رُبَّ بستانٍ قضيتُ العمر أحمي شجَرَه
ومنعتُ الناس أن تقطف منــه زَهرَه
جاءت الأطيــار في الفجر فناشت ثمرَه
ألأطيارِ السما البستانُ أم لي ؟
لستُ أدري

★

رُبَّ قبحٍ عند زيدٍ هو حُسْنٌ عند بكرِ
فهما ضدان فيه وهو وهمٌ عنــد عمروِ

فمن الصادق فيما يدّعيه ليت شعري
ولماذا ليس للحسن قياسٌ ؟
لستُ أدري

★

قد رأيتُ الحسنَ يُنسى مثلما تُنسى العيوبُ
وطلوع الشمس يرجى مثلما يرجى الغروب
ورأيت الشرّ مثل الخير يمضي ويؤوب
فلماذا أحسب الشر دخيلا ؟
لستُ أدري

★

إن هذا الغيث يهمي حين يهمي مكرَهاً

وزهور الروض تفشي مجبراتٍ عطرهــا
لا تطيق الارضُ تخفي شوكها أو زهرها
لا تسل أيهما أشهى وأبهى ؟
لستُ أدري

★

قد يصير الشوك اكليلاً لملْك أو نبيّ
ويصير الوردُ في عروة لصٍ أو بغــيّ
أيغــار الشوكُ في الحقل من الزهر الجنيّ
أم ترى يحسبه أحقرَ منه ؟
لستُ أدري

قد يقيني الخطرَ الشوكُ الذي يجرح كفّـي
ويكون السّم في العطر الذي يملأُ أنفـي
إنمـا الوردُ هو الأفضل في شرعي وعرفي
وهو شرع كله ظلمٌ ولكن ..

لستُ أدري

★

قـد رأيتُ الشهبَ لا تدري لمـاذا تشرقُ
ورأيت السـحب لا تدري لمـاذا تغـدق
ورأيتُ الغـاب لا تـدري لمـاذا تورق
فلماذا كلها في الجهل مثلي ؟

لستُ أدري

كلما أيقنتُ اني قد أمطتُ الستر عني
وبلغتُ السرّ سري ، ضحكت نفسيَ مني
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدني
فهل الجهل نعيمٌ أم جحيمٌ

لستُ أدري

★

لذّةٌ عنديَ أن أسمعَ تغريدَ البلابل
وحفيف الورق الاخضر أو همسَ الجداول
وأرى الانجم في الظلماء تبدو كالمشاعل
أترى منها أم اللذّة مني ؟

لستُ أدري

أتراني كنتُ يوماً نَغَماً في وتَرِ
أم تراني كنت قبلاً موجةً في نهرِ
أم تراني كنت في احدى النجوم الزُهُرِ
أم أريجاً أم حفيفاً أم نسيماً ؟
لستُ أدري

★

فيَّ مثلَ البحر أصدافٌ ورملٌ ولآلْ
فيَّ كالأرض مروج وسفوحٌ وجبال
فيَّ كالجوِّ نجومٌ وغيومٌ وظلال
هل أنا أرضٌ وبحرٌ وسماءٌ ؟
لستُ أدري

من شرابي الشهدُ والخمرةُ والماء الزلالْ
من طعامي البقلُ والأثمارُ واللحمُ الحلال
كم كيانٍ قد تلاشى في كياني واستحال
كم كيانٍ فيه شيءٌ من كياني ؟
لستُ أدري

★

أأنا أفصح من عصفورة الوادي وأعذبْ ؟
ومن الزهرة أشهى ؟ وشذى الزهرة أطيب ؟
ومن الحيّة أدهى ؟ ومن النملة أغرب ؟
أم أنا أوضع من هذي وأدنى ؟
لستُ أدري

كلهـا مثليَ تحيا . كلهـا مثلي تمـوت
ولهـا مثلي شرابٌ ، ولهـا مثليَ قـوتُ
ورقـادٌ وانتبـاهٌ وحـديثٌ وسـكوتُ
فبماذا أمتازُ عنها ليت شعري ؟
لستُ أدري

★

قد رأيتُ النمل يسـعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطـارٌ وحقٌّ مثـل حقي
قد تساوى صمتهُ في نظر الـدهر ونطقـي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما
لستُ أدري

أنا كالصهباء ، لكن أنا صهبائي ودنّي
أصلها خافٍ كأصلي ، سجنها طينٌ وسجني
ويُزاح الختم عنها مثلما ينشقّ عني
وهيَ لا تفقه معناها ، واني
لستُ أدري

★

غلطَ القائلُ ان الخمرَ بنتُ الخابيهْ
فهيَ قبل الزقّ كانت في عروق الداليهْ
وحواها قبلَ رحمِ الكرم رحمُ الغاديهْ
إنما من قبلِ هذا أينَ كانت ؟
لستُ أدري

هي في رأسيَ فكرة وهي في عينيَّ نورُ
وهيَ في صدريَ آمالٌ ، وفي قلبي شعورُ
وهي في جسمي دمٌ يسربُ فيه ويمورُ
إنما من قبل هذا كيف كانت ؟
لستُ أدري

★

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيه
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيه
ليَ ذاتٌ غير اني لستُ أدري ماهيه
فمتى تعرفُ ذاتي كنهَ ذاتي ؟
لستُ أدري

اني جئتُ وأمضي ، وأنا لا أعلمُ
أنا لغزٌ ، وذهابي كمجيئي طلسمُ
والذي أوجد هذا اللغزَ لغزٌ مبهمُ
لا تجادل .. ذو الحجى من قال اني
لستُ أدري

الدمعة الخرساء

سمعتُ عويل النائحات عشيةً في الحي يبتعث الاسى ويثير
يبكين في جنح الظلام صبيةً ان البكاء على الشباب مرير
فتجهمتْ وتلفتت مرتاعة كالظبي أيقن أنه مأسور
وتحيرت في مقلتيْها دمعةٌ خرساء لا تهمي وليس تغور
فكأنها بطل تكنّفه العدى بسيوفهم وحسامه مكسور
وجمت فأمسى كل شيءٍ واجماً النور والأظلال والديجور

الكون اجمعُ ذاهل لذهولها   حتى كأن الأرض ليس تدور
لا شيءَ مما حولنا وأمامنـا   حسنٌ لديها والجمال كثير
سكت الغـدير كأنمـا التحفَ الثر ى
وسـها النسـيم كـأنه مـدعور
وكأنما الفلك المنوّر بلقـــع   والانجم الزهراء فيه قبـور
كانت تمـازحني وتضحك فانتهى
دور المزاح فضحْكها تفكـير
قالت وقـد سلخ ابتسامتَها الأسى
صـــدق الذي قـال الحياةُ غرور
أكذا نموت وتنقضي أحلامنا   في لحظة وإلى التّراب نصـير
خيرٌ اذن منا الألى لم يولـدوا   ومن الانام جلامد وصخور
ومن العيون مكاحل ومـراود   ومن الشفاه مساحق وذرور

ومن القلوب الخافقات صبابةً قصبٌ لوقع الريح فيه صفير
وتوقفتْ فشعرتُ بعد حديثها ان الوجود مشوّش مبتـور
الصيف ينفث حرّه من حولنا وأنا أحس كأنني مقـرور
صارت إلى قلبي الشكوك فنغّصت
ليلي ، وليس مع الشكوك سرور
وخشيت أن يغدو مع الريب الهوى
كالرسم لا عطـر وفيـه زهور
وكدمية المثّال حسنٌ رائـــع ملأ العيون وليس ثم شـعور
فأجبتها لتكنْ لديدان الـثرى أجسامنا ! ان الجسوم قشور
لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا فلنا إياب بعده ونشـــور
إنا سنبقى بعد أن يمضي الورى ويزول هذا العالم المنظـور
فالحب نور خالد متجـرّد لا ينطوي إلا ليسطع نور

وبنو الهوى احلامهم ورؤاهم لا أعين ومراشف ونحور

فإذا طوتنا الارض عن أزهارها

وخلا الدجى منا وفيه بدور

فسترجعين خميلةً معطارة أنا في ذراها بلبل مسحور

يشدو لها ويطير في جنباتها فتهشّ إذ يشدو وحين يطير

أو جدولاً مترقرقاً مترنماً انا فيه موجٌ ضاحك وخرير

أو ترجعين فراشةً خطّارة انا في جناحيها الضحى الموشور

أو نسمة أنا همسها وحفيفها أبداً تطوّف في الربى وتدور

تغشى الخمائل في الصباح بَليلةً وتؤوب حين تؤوب وهي عبير

أو تلتقي عند الكئيب على رضى وقناعة صفصافة وغدير

تمتد فيه وفي ثراه عروقها ويسيل تحت فروعها ويسير

ويغوص فيه خيوطها فيلفّه ويشفّ فهو المنطوي المنشور

يأوي إذا اشتد الهجير اليهمـا ألناسكان الظبي والعصفور
لهما سكينتها ووارف ظلهـا والماء ان عطشا لديه وفـير
اعجوبتان زبرجد متهـدل نام ، تدفق تحته البلّور
لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى
فكلاهما بكليهما مغمـور
تتعاقب الايام وهي نضيرة مخضرّةٌ الاوراق وهو نمـير
فالدهر أجمعه لديها غبطـة والدهر أجمعه لديه حبـور
فتبسّمتْ وبدا الرضا في وجهها
إذ راقها التمثيـل والتصـوير
عابلختها بالرهم وهي قريرة ولكم أفاد الموجعَ التخـدير
ثم افترقنا ضاحكين إلى غـدٍ والشهب تهمس فوقنا وتشـير

هي كالمسافر آبَ بعد مشقة وأنا كأني قائـد منصور

★

لكنني لما أويت لمضجعي خَشُنَ الفراش عليّ وهو وثير
وإذا سراجي قد وهت وتلجلجت
أنفاســه لكــأنــه المصــدور
وانبعث طرفي في الكتاب فلاح لي
كالرسم مطموسـاً وفيـه سطور
وشربت بنت الكرم أحسب راحتي
فيها فطاش الظـــنّ والتقــدير
فكأنني فُلكٌ وهتْ أمراسها والبحر يطغى حولها ويثـور
سلب الفؤاد رواه والجفنّ الكرى
هم عرا فكلاهمـــا مـــوتور

حامتْ على روحي الشكوك كأنها

وكأنهن فريسة وصقور

ولقد لجأتُ إلى الرجاء فعقّني أما الرجاء فخائب مسحور

يا ليلُ أين النور ؟ إني تائه مِنْ ينبثقْ أم ليس عندك نور

أكذا نموت وتنقضي أحلامنا في لحظة وإلى التراب نصير

كم تشتكي

كم تشتكي وتقول إنك مُعْدِمٌ   والارض ملكك والسما والانجم
ولك الحقول وزهرها وأريجها   ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة   والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبني في السفوح وفي الذرى
دوراً مزخرفة وحيناً يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثاً   آياته قدام من يتعلم

وكـأنه لصفائه وســنائــه   بحر تعومُ به الطيور الحــوم
هشّت لك الدنيا فمالك واجماً   وتبسّمتْ فعلام لا تتبســم
ان كنت مكتئباً لعزٍ قد مضى   هيهات يرجعه إليك تنـدّم
أو كنت تشفق من حلول مصيبـة
هيهات يمنع ان تحلّ تجهـّـم
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شـاخ الزمان فإنه لا يهــرم
انظر فما زالت تطلّ من الثرى   صورَ تكاد لحسنها تتكلّم
ما بين أشجار كأن غصونها   ايدٍ تصفّق تـارة وتسلّم
وعيون ماء دافقات في الـثرى   تشفي السقيم كأنما هي زمزم
ومسارح فُتن النسيم بحسنها   فسرى يدندن تارة ويهمهـم
فكأنه صبٌّ بباب حبيبــه   متوسل مستعطف مسترحم

والجدول الجذلان يضحك لاهياً والنرجس الولهان مغفٍ يحلُم
وعلى الصعيد ملاءةٌ من سندس وعلى الهضاب لكل حسن مبسم
فهنا مكانٌ بالأريج معطر وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
فامشِ بعقلك فوقها متفهماً ان الملاحة ملك من يتفهم
أتزور روحكَ جنةٌ فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم
وترى الحقيقة هيكلاً متجسداً فتعافها لوساوسٍ تتوهم
يا من يحنّ إلى غد في يومه قد بعتَ ما تدري بما لا تعلم

★

قمْ بادر اللذّاتِ قبل فواتها ما كلّ يومٍ مثل هذا موسمُ
واشربْ بسرّ الحصن سرّ شبابه وارو أحاديثَ المروءةِ عنهمُ

المعرضين عن الخنا ، فإذا علا
صوتٌ يقول: « إلى المكارم » أقدَموا
الفاعلينَ الخيرَ لا لطماعـةٍ في مغنمٍ إنّ الجميلَ المغنمُ
أنتَ الغنيّ إذا ظفرتَ بصاحب منهم وعندك للعواطف منجم
رفعوا لدينهمِ لواءً عاليـاً ولهم لواءٌ في العروبةِ معلّمُ
إنْ حاز بعض الناس سهماً في العلى
فلهمْ ضروبٌ لا تُعَدّ وأسهمُ
لا فضلَ لي إن رحت أعلن فضلهم
بقصائدي . إنّ الضحى لا يُكتَمُ
لكنّني أخشى مقالةَ قـائلٍ هذا الذي يثني عليهم منهـم
أحبابنا ما أجملَ الدنيا بكم لا تقبحُ الدنيا وفيها أنـتم

متى يذكر الوطن النوم

جلستُ وقد هجع الغافلون   أفكّر في أمسنا والغدِ
وكيف استبد بنا الظالمون   وجاروا على الشيخ والأمرد
فخلت اللواعجَ بين الجفون   وانّ جهنم في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتم   فارسلتِ العين مدرارها

★

ذكرت الحروب وويلاتها   وما صنع السيف والمدفع

وكيف تجور على ذاتهـــا شعوب لها الرتبة الأرفـــع
وتخضب بالدم راياتهـا وكانت تذم الذي تصنـــع
فباتت بما شيّدت تهـدم صروح العلوم وأسرارها

★

نسـاء تجود بأولادهـ ـا على الموت والموتُ لا يرحـم
وجنـد تجود بأكيادهـا على الأرض والأرض لا تعلم
وتغدو الطيور بأجسادهـا فان عطشتْ فالشراب الدم
وفي كل منـزلة مـأتم تشق بها الغيد ازرارهـا

★

لقد شبع الذئب والأجـدلُ وأقفرت الـدور والأربُع
فكم يقتل الجحفل الجحفـل ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتّلوا ولن يستعيد الذي ضيعـوا

فبئس الألى بالوغى علّموا وبئس الألى أجّجوا نارهــا

★

أمن أجل أن يسلم الواحـد تُطل الدماء وتفنى الالوف
ويزرع أولادَه الوالــدُ لتحصدَهم شفرات السيوف
أمورٌ يحــار بهــا النــاقــد وتُدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فيا ليت شعري متى يفهــم معاني الحيــاة وأسرارهــا

★

وحوّلت طرفي إلى المشـرق فلم أر غير جبال الغيـومْ
تحوم على بــدره المشـــرق كما اجتمعت حول نفسي الغموم
فأسندت رأسي إلى مرفقي وقلت وقد غلبتني الهمــوم
بربّكِ أيتهــا الانجـــم متى تضع الحرب أوزارها

كما يقتل الطير في الجنـــة ويقتنص الظبي في السبسب
كذلك يجنى على أمـــتي بلا سبب وبلا موجـــب
فحـّـام تؤخــذ بالقوة ويقتصّ منها ولم تــذنــب
وكم تســتكين وتستسلم وقد بلغ السـيل زنّارهـا

★

وسيقت إلى النطع سَوْق الغنم مغاويرها ورجال الأدب
وكل امرئ لم يمت بالحـــذم فقد قتلوه بسيف الشّغب
فما حرّك الضيمُ فيها الشمم ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدّلت النـاس والأنجـم ولمـا تُبـدّل أطوارهـا

★

أرى الليث يدفع عن غيضته بأنيـــابه وبأظفــــاره
ويجتمع النمل في قريتـــه إذا خشي الغدر من جاره

ويخشى المزار على وكنته فيدفع عنهبا بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيغم ولا الشاة تمدح جزّارها

★

عجبت من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجل ناصب فان نصبوا أُلجئوا للكهوف
وممن يصفّق للضارب واحبابه يجرعون الحتوف
متى يذكر الوطنَ النوّمُ كما تذكر الطير أوكارها

عروس الجبال

إذا أطلّ البدر من خدره فانما يطلع كي تنظربه
و إن شدا البلبل في وكره فانما يشدو لكي تسمعيه
وإن يفُح عطر زهور الربى فانما يعبق كي تنشقيه
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين
يا ليتني البدر الذي تسمعين !
يا ليتني العطر الذي تنشقين !
أواه ! لو تصدق يا ليتني !

ابنة الفجر

أنا إن أغمض الحِمامُ جفوني
ودوى صوت مصرعي في المدينه
وتمشّى في الأرض داراً فداراً فسمعتِ دويّه ورنينه
لا تصيحي واحسرتاه لئلا يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتني وأبصرتِ وجهي قد محا الموت شكّه ويقينه
ورأيت الصحاب جاثين حولي يندبون الفتى الذي تعرفينه

وتعالى العويل حولك ممن مارسوه وأصبحوا يحسرنه
لا تشقّي عليّ ثوبكِ حزناً لا ولا تذرفي الدموع السخينه
غالبي اليأس واجلسي عندنعشي بسكونٍ ، إني أحب السكينه
إن للصمت في المـآتم معنى تتعزى به النفوس الحزينـه
ولَقولُ العذّال عنكِ (بخيله) هو خير من قولهم (مسكينه)
وإذا خفت ان يثور بك الوجد فتبدو أسرارنا المكنونـه
فارجعي واسكبي دموعك سراً وامسحي باليدين ما تسكبينـه

★

يا ابنة الفجر من أحبك ميت ولأنتِ بمثل هـذا مهينـه
زايلَ النور مقلتيه وغابت تحت أجفانه المعاني المبينـه
فأصيخي ! هل تسمعين خفوقاً كنتِ قبلاً في صدره تسمعينه

وانظريني ثم فكري كيف أمسي

ليس يدري ـــدوّه وخدينه

ساكناً لا يقول شيئاً ولا يســ ـــمع شيئاً وليس يبصر دونه

لا يبالي أأودعوه الثريّا أم رموه في حمأة مسنونه

وإذا الحارسان ناما عياءً ورأيتِ أصحابه يتركونه

فتعالي وقبّلي شفتيه ويديه وشعره وجبينه

قبل أن يُسدل الحجابُ عليه ويُوارى عنك فلا تبصرينه

واحذري ان تراكِ عين رقيبٍ ولئن كان جلّ ما تحذرينه

فاذا ما أمنت لا تتركيه قبلما يفتح الصباح جفونه

★

وإذا الساعة الرهيبة حانت ورأيت حرّاسه يحملونه

وسمعت الناقوس يقرع حزناً فيردّ الوادي عليه أنينه

رودي الراحل الذي مات وجداً   بالذي زوّد الغريق السفينه
نظرة تعلمُ السماوات منهـا   أنه مات عن فتاة أمينـه

★

طوت الارض من طوى الارضَ حياً
وعلاه من كان بالأمس دونـه
واختفى في التراب وجه صبيح   وفؤاد حرّ ونفسٌ مصونه
وإذا ما وقفتِ عند السواقي   وذكرتِ وقوفه وسكونـه
حيث أقسمت أن تدومي على العهـ
ـد وآلى بأنـه لـن يخونـه
حيث علّمته القريض فأمسى   يتغنى كي تسمعي تلحينه
فاذكريه مع البروق السواري   واندبيه مع الغيوث الهتونه
وإذا ما مشيت في الروض يوماً   ووطئتِ سهوله وحزونه

وذكرتِ مواقف الوجد فيه عندما كنت بالهوى تُغرينه
حيث علّمته الفتون فأضحى يحسب الأرض كلها مفتونه
حيث وسّدته يمينك حتى كاد ينسى شماله ويمينه
حيث كنت وكان يسقيك طوراً من هواه وتارة تسقينه
حيث حاكَ الربيع للروض ثوباً
كان أحلى لديه لو ترتدينه
فالثمي كل زهرة فيه إني كنت أهوى زهوره وغصونه
ثم قولي للطير : مات حبيبي ! فلماذا يا طير لا تبكينه ؟

★

وإذا ما جلست وحدك في الليـ ـل وهاجت بك الشجون الدفينه
ورأيت الغيوم تركض نحو الغر ب ركضاً كأنها مجنونه
ولحظتِ من الكواكب صداً ونفاراً وفي النسيم خشونه

فغضبت على الليالي البواقي   وحننت إلى الليالي الثمينه

فاهجري المخدع الجميل وزوري
ذلك القبرَ ثم حبّي قطينـــه

وانثري الورد حوله وعليـــه   واغرسي عند قلبه ياسمينه

الغرابُ والبُلبُل

قال الغراب وقد رأى كلَفَ الورى
وهيامهم بالبلبل الصدّاحِ

لِمَ لا تهيم بيَ المسامع مثله ماالفرق بين جناحهوجناحي
اني أشدّ قوى وأمضى مخلباً فعلام نام الناس عن تمداحي ؟

★

أمفرّقَ الاحباب عن أحبابهم ومكدِّرَ اللذّات والأفراح

كم في السوائل من شبيه بالطلي فعلام ليس لها مُقام الراح ؟

ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها

السرّ كلّ السرّ في الأرواح

والصوت من نِعم السماء ولم تكن

ترضى السما إلا عن الصدّاح

حكم القضاء فان نقمت على القضا فاضرب بعنقك مُدية الجراح

يا شذاهن

رُبَّ ليلٍ نجومهُ ضاحكاتٌ	مثلَ أحلامِ غادةٍ في صباها
لمستْ إصبعَ السكينةِ أشوا	قي فهبَّت مذعورة من كراها
كطيورٍ في الأسر تبغي انعتاقاً	قبلَ أن يُفسِدَ الإسارُ لُغاها
أبِقَ النومُ، فانطلقتُ إلى النهر	بنفسٍ كادت تسيلُ دماها

---

* هذه القصيدة كان صاحب الديوان قد نشرها في « الخمائل » معدلة بعنوان « ليل الأشواق » وقد آثرنا أن نثبتها هنا بنصها المعدل .

وسمي صاحبٌ رقيقُ الحواشي   تجدُ النفسُ في رُواه رؤاها
ان دجتْ ليلةٌ أراكَ ضحاهـا   أو ذوت زهرةٌ أراكَ شذاهـا

★

قال: ما أجملَ الكواكبَ! مـا   أحلى سناها! فقلت: ما أحلاها
قال: لا شوقَ لا صبابةَ لولا   ها! فتمتمتُ قائلاً: لولاها!
قال: هل تشتهي الوصول اليها؟   قلت: اني لا اشتهي الآها!

★

كان طرفي يجولُ في العالمِ الأ   على وروحي تجولُ في مغناهـا
وجليسي يظن في الشهب قصدي   وانا أحسَبُ الجليسَ عناهـا
قال: والنهرُ كم طوى من صبابا   تٍ! فأطرقتُ استشفُّ المياهـا
فاذا النهرُ فيهِ رعشةُ روحي   حين يدوي فيها صدى ذكراها

قال : والليل.. قلت حسبك إعنا ... تٌ لنفسي وحسب نفسي دجاها
فانقطعنا عن الكلامِ وبتنا ... كلّ نفسٍ لِذَاتِها نجواها

★

خِلتُ أني إذا بَعدتُ سأنسا ... ها ويطوي الزمان سفرَ هواها
وتوهمّت انني سوف ألقى ... ألفَ ليلى وألفَ هندٍ سواها
فاذا الحبّ كالفضاء وقلبي ... طائرٌ في الفضاء ضلّ وتاها
أنا في عالمٍ قَصِيٍّ سَحيق ... لا أراها لكنّ روحي تراها
قد نشقتُ الأزهار في كل أرضٍ ... يا شذاهنّ لستَ مثل شذاها
كيف أنسى وأينما سرتُ في الد ... نيا أراني أسيرُ في دنياها
وإذا ما لمحتُ في الأرض حسناً ... فكأني لمحتها إياها
وإذا داعبَ النسيمُ ردائي ... قلتُ : قد علّمتْه هذا يداها !
هيَ أدنى من الأماني إلى قلـ ... ـبي ، وقلبي يصيحُ : ما أقصاها

لستُ أشكو النوى ملالاً ولكن   طربُ الروحِ ان تُذيع جوَاها

★

قال قومٌ : إنّ المحبة إثمٌ !   ويْحَ بعضِ النفوس ما أغباها
إن نفساً لم يُشرِق الحبّ فيها   هيَ نفسٌ لم تدرِ ما معناهـا
خوّفوني جهنّماً ولظاهـا   أيّ شيءٍ جهنّمٌ ولظاها ؟
ليس عند الالهِ نارٌ لذي حبٍ   ونارِ الانسان لا أخشاها !
أنا في الحبّ قد وصلت إلى نفسي   وبالحب قد عرفتُ الله !

من أدب الزنوج

فوق الجمَّيْزةِ سنجابُ والأرنب تمرح في الحقلِ
وأنا صيّاد وثّابُ لكن الصيد على مثلي
محظور إذ اني عبد

والديك الابيض في القنّ يختال كيوسفَ في الحسنِ
وأنا أتمنى لو أني أصطاد الديك ولكني
لا أقدر إذ اني عبد

وفتاتي في تلك الـدار سوداء الطالعـة كالقـار
سيجيء ويأخذهـا جاري يا ويحي من هـذا العـار
أفلا يكفي اني عبد ؟ !

غراميّة

عيناكِ والسحر الذي فيهما صيّرتاني شاعراً ساحرا
علّمتني الحب وعلّمته بدر الدجى والغصن والطائرا
ان غبتِ عن عيني وجنّ الدجى سألت عنك القمر الزاهرا
وأطرقُ الروضة عند الضحى كما أناجي البلبل الشاعرا
وانشق الوردة في كمّها لأن فيها أرجاً عاطرا
يذكّر الصب بذاك الشذا هل تذكرين العاشق الذاكرا

كم نائمٍ في وكره هانئٌ نبّهته من وكره باكـــرا
أصبحَ مثلي تائهـــاً حائـرا لمـا رآني في الربى حائـرا
وراح يشكو لي وأشكو له بطش الهوى والهجر والهاجرا
وكوكب أســمعته زفرتي فبات مثلي ســاهياً ساهرا
زجرت حتّى النوم عن مقلتي ولم أبالِ اللائم الزاجـرا
يا ليت اني مثلٌ ســائر كيما تقول المثـل السـائرا

الفقير

همٌّ ألمَّ بـه مع الظلماء   فنأى بمقلته عن الإغفـاء
تعِسٌ أقام الحزن بين ضلوعه   والحزن نارٌ غير ذات ضيـاء
يرعى نجوم الليل ليس بـه هوى
ويخاله كلِفاً بهـنَّ الـرائي
في قلبه نار (الخليل) وإنمـا   في وجنتيه أدمع (الخنساء)
قد عضه اليأس الشديد بنابه   في نفسه والجوع في الاحشاء

يبكي بكاء الطفل فارقَ أمه ما حيلة المحزون غير بكاء !
فأقام حِلْس الدار وهو كأنه — لخلوّ تلك الدار — في بيداء
حيران لا يدري أيقتل نفسه عمداً فيخلص من أذى الدنياء
أم يستمر على الغضاضة والقذى والعيشُ لا يحلو مع الضراء
طرد الكرى وأقام يشكو ليله يا ليل طلتَ وطال فيك عنائي
يا ليل قد أغريت جسمي بالضنا حتى ليؤلم فقدُه أعضائي
ورميتني يا ليل بالهمّ الذي يفري الحشا ، والهمّ أعسر داء
يا ليل مالكَ لا ترقّ لحالتي أتُراكَ والايام من أعدائي ؟
يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا
رحماك لستُ بصخرة صماء
بِنْ يا ظلام عن العيون فربما طلع الصباح وكان فيه عزائي
وارحمتا للبائسين فإنهم موتى وتحسبهم من الأحياء

إني وجدت حظوظهم مسودّة فكأنما قُدّت من الظلماء
أبداً يسرّ بنو الزمان وما لهم حظٌّ كغيرهمُ من السرّاء
ما في اكفّهم من الدنيا سوى ان يُكثروا الأحلام بالنعماء
تدنو بهم آمالهم نحو الهنا هيهات يدنو بالخيال النائي
بطر الأنام من السرور وعندهم ان السرور مرادف العنقاء
إني لأحزن أن تكون نفوسهم
غَرَضَ الخطوب وعرضة الأرزاء
أنا ما وقفت لكي أشبّب بالطلا مالي وللتشبيب بالصهباء ؟
لا تسألوني المدح أو وصف الدمى
إني نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حياتهم مدحاً وبتّ أصون ماء حياتي
لم يفهموا ما الشعر ، الا انه قد بات واسطةً إلى الإثراء

فلذاك ما لاقيت غير مشبب بالغانيات وطالبٍ لعطاء
ضاقت به الدنيا الرحيبة فانثنى بالشعر يستجدي بني حوّاء
شقيَ القريض بهم وما سعدوا به
لولاهمُ أضحى من السعداء
نادوا علينا بالمحبة والهوى وصدورهم طبعت على البغضاء
ألِفوا الرياء فصار من عاداتهم
لعن المهيمنُ شخص كل مرائي !
إن يغضبوا مما أقول فطالما كره الأديبَ جماعةُ الغوغاء
أو ينكروا أدبي فلا تتعجبوا فالرُمْد يؤلمهم طلوع ذُكاء
أوَ كلما نصر الحقيقة فاضلٌ قامت عليه قيامة السفهاء
أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي إلا لأندب حالة التعساء
علّي أحرك بالقريض قلوبكم ان القلوب مواطن الأهواء

لهفي على المحتاج بين ربوعكم يُمسي ويُصبح وهو قيد شقاءِ
أمسى سواءً ليله وصباحه شتّان بين الصبح والإمساء
قطع القنوطُ عليه خيط رجائه والمرء لا يحيا بغير رجاء
لهفي ! ولو أجدى التعيسَ تلهّفي
لسفكت دمعي عنده ودمائي
قلْ للغنيّ المستعز بماله مهلاً لقد أسرفت في الخيلاء
جُبل الفقير اخوك من طينٍ ومن
ماء ، ومن طين جُبلتَ وماء
فمن القساوة أن تكون منعّماً ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه في حين قد أمسى بغير كساء
أتضنّ بالدينار في اسعافه وتجود بالآلاف في الفحشاء ؟
انصر أخاك فان فعلت كفيّته ذلّ السؤال ومنة البخلاء

وذَوي اليسار وما اليسار بنافع   إن لم يكن أهلوه اهلَ سخاء
كم ذا الجحود ومالكم رهن البلى
وبمَ الغرور وكلكم لفناءِ ؟
ان الضعيف بحاجة لنضاركم   لا تقعدوا عن نصرة الضعفاء
أنا لا أذكّر منكم أهل الندى   ليس الصحيح بحاجة لدواء
ان كانت الفقراء لا تجزيكم   فالله يجزيكم عن الفقراء

إيليا أبو ماضي

الخمائل

الدخيل

وقعتْ نحلةٌ على الأقحوانِ فـاذا في القفـير شـهدُ
ومشتْ بعدها على الأغصان دودةٌ فالغصونُ جُـردُ
وهمى الغيثُ في الحقول ففيها شجرٌ وارفٌ وزهـــرُ
وأصاب الرمالَ كي يحييها فهمـا ميّـتٌ وقـبرُ
أنا غيثٌ، فان وجدتك حقلاً فـأنا العشـبُ والشـجرْ
غيرَ أني، إذا لقيتكَ رملاً، لستُ شيئاً حتى المطـرْ

وأنا الأقحوانُ سيّان عندي عشت يوماً أو بعض يومِ
لا أبالي الفناء إن كان مجدي في فنائي أو مجدُ قومي
إن تغبْ في فراشةٍ ألواني فأنا زهرةٌ تطيرُ
وإذا انحلَّ في الشُعاع كياني فأنا في الضحى عبيرُ
جنّبوني الفناء في الديدانِ انه المصرع الكريه
وانعدامُ الأريج والألوانِ واندثارٌ لا مجد فيه
كنْ شُعاعاً يبينُ فيه كياني لا طلاماً ولا رَغام
ولأعشْ في الشعاعِ بضع ثوانِ فهيَ خيرٌ من ألفِ عام

الشاعرُ والملكُ الجائرُ

١

أمرَ السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائلِ الصبغةِ واهٍ جانباهُ
وحذاء أوشكتْ تفلتُ منهُ قدماهُ
قال : صِفْ جاهي ففي وصفك لي للشعر جاهُ
إن لي القصر الذي لا تبلغُ الطيرُ ذُراهُ

وليَ الروضُ الذي يعبُقُ بالمسكِ ثـراهُ
وليَ الجيش الذي ترشـحُ بالموت ظُبـاهُ
وليَ الغـابـاتُ والشُّمّ الرواسي والميـاهُ
وليَ الناس.. وبؤسُ الناس مني والرفاهُ
إن هـذا الكون ملكي أنا في الكون إلهُ !

٢

ضحك الشـاعرُ ممـا سـمعتْـه أُذنـاهُ
وتمنّى أن يـداجي فعصتْـهُ شـفتاهُ
قال : إني لا أرى الامرَ كما أنت تراهُ
إن ملكي قـد طوى ملكك عني ومحـاهُ
★

القصرُ ينبئُ عن مهارة شاعرٍ لبقٍ ، ويخبرُ بعدهُ عنكا
هو للأُلى يدرون كُنْه جماله فاذا مضوا فكأنه دُكّا
ستزول أنت ولا يزول جلالهُ
كالفُلْكِ تبقى ، ان خلتْ ، فلكا

والروضُ ؟ إن الروضَ صنعةُ شاعر
سمحٍ طروبٍ رائقٍ جزلِ
وشّى حواشيهُ وزيّن أرضهُ بروائعِ الالوان والظلِّ
لفراشةٍ تحيا له ، ولنحلةٍ تحيا به ، ولشاعرٍ مثلي !
ولديمةٍ تذري عليه دموعها كيما تقيه غوائلَ المَحْلِ
ولبلبلٍ غردٍ يساجل بلبلاً غرداً ، وللنسمات والطّلِّ
فاذا مضى زمن الربيع أضعتهُ وأقام في قلبي وفي عقلي !

★

والجيش معقودٌ لواؤك فوقهُ ما دمتَ تكسوه وتطعمهُ

للخبز طاعتُهُ وحسنُ ولائهِ

هو «لاتُهُ» الكبرى و «بَرْهَمهُ»

فإذا يجوع بظلِّ عرشك ليلةً فهو الذي بيديهِ يحطمهُ

لكَ منه أسيُفهُ ولكن في غدٍ لسواك أسيُفهُ وأسهُمهُ

أتُراهُ سار إلى الوغى متهللاً لولا الذي الشعراء تنظمهُ ؟

وإذا ترنّم هل بغير قصيدةٍ من شاعرٍ مثلي ترَنّمهُ ؟

★

والبحر ، قد ظفِرت يداك بدرِّه

وحصاه ، لكن هل ملكت هديرَهُ ؟

هو للدجى يلقي عليه خشوعهُ

والصبح يسكبُ، وهو يضحك نورَهُ

أمَزَجتَ أنت مياهَهُ ؟ أصبغتَ أنـ
ـت رماله ؟ أجبلت أنت صخورَهُ ؟

هو للرياح تهزّه وتثــيره والشهب تسمع في الظلام زئيره
للطير هائمةً به مفتونـةً لا للذين يروّعون طيورَهُ
للشاعرِ المفتونِ يخلقُ لاهياً من موجه حوراً ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمزَ كيانـهِ ولمن يجيدُ لغيره تصويـرهُ

يا مَن يصيدُ الدرّ من أعماقـه
أخذتْ يداكَ من الجليلِ حقيرَهُ
لا تدّعيه ... فليس يُملكُ ، انـه
كالروضِ جهدُكَ ان تشمّ عبيرهُ

★

ومررتُ بالجبل الأشم فما زوى
عني محاسنه ولستُ أميرا
ومررتَ أنتَ فما رأيت صخوره
ضحكتْ ولا رقصتْ لديك حبورا
ولقد نقَلتُ لنمله ِ ما تـدّعي
فتعجبتْ ، مما حكيتُ ، كثيراً
قالت : صديقك ما يكون ؟ أقَشعماً
أم أرقماً ؟ أم ضيغماً هيصورا ؟
أيحوك مثل العنكبوت بيوتَه
حوكاً ؟ ويبني كالنسور وكورا ؟
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحى
ويردّ كالغيثِ المواتَ نضيرا ؟

أيلفَ كالليلِ الأباطــحَ والربى
والمنزلَ المعمورَ والمهجــورا ؟
فأجبتها : كلاّ ! فقالت : سمّهِ
في غير خوفٍ « كائناً مغرورا ! »

٣

فاحتدم السلطانُ أيَّ احتدام ولاح حبّ البطشِ في مقلتيهْ
وصاحَ بالجلاّدِ : هات الحسامْ !
فأسرعَ الجــلاّد يسعى اليــهْ
فقال : دحرجْ رأسَ هذا الغـلام
فرأسه عبءٌ عـلى منكبيـــهْ
قد طُبعَ السيفُ لحزّ الرقابْ وهــذه رقبـــة ثرثـارِ

أقتله ... واطرحْ جسمَهُ للكلابْ
ولتذهبِ الروحُ إلى النارِ

★

ـ سمعاً وطوعاً سيّدي !.. وانتضى
عضباً يموجُ الموتُ في شفرتيه
ولم يكن إلا كبرق أضا حتى أطار الرأس عن منكبيه
فسقطَ الشاعرُ مُعْرَوْرِضاً
يخدّش الأرضَ بكلتا يديه
كأنما يبحثُ عن رأسهِ
فاستصحك السلطانُ من سجدته
ثم استوى يهمس في نفسه « ذو جِنّة » أمسى بلا جنّته
أجل ، هكذا هلَكَ الشاعرُ كما يهلِكُ الآثمُ المذنبُ

فما غصنٌ في روضة طـائرٌ ولم ينطفئْ في السما كوكبُ
ولا جـزعَ الشـجرُ النـــاضرُ
ولا اكتـأب الجدولُ المُطـرَبُ
وكوفئْ عن قتلهِ القـاتِلُ بمالٍ جزيلٍ وخدٍّ أسـيلْ
فقال له خُلقهُ السافلُ ، ألا ليت لي كل يومٍ قتيلْ !

٤

في ليلةٍ طامســةِ الأنجـمِ تسلّلَ الموتُ إلى القصـرِ
بين حرابِ الجندِ والاسهمِ والأسيُفِ الهنديّة الحمـرِ
إلى سريرِ الملكِ الأعظـمِ إلى أميرِ البرِّ والبحرِ ! !
ففارق الدنيا ولمـا تــزلْ فيهـا خمورٌ وأغاريـدُ
فلم يمِدْ حزناً عليه الجبـل ولا ذوى في الروضِ أملودُ

٥

في حومةِ الموتِ وظلّ البِلى قد التقى السلطانُ والشـاعرُ
هذا بلا مجدٍ ، وهذا بلا ذلّ ٍ ، فلا باغٍ ولا ثـائرُ
عانقت الاسمالُ تلك الحِـلى واصطحبَ المقهورُ والقاهـرُ
لا يجزع الشاعرُ أن يُقتَلا ليس وراء القبر سيفٌ ورمحْ
ولا يبالي ذاك ان يُعـذلا سيّانِ عند الميتِ ذمٌ ومدحْ

٦

وتوالتِ الأجيالُ تطّـردُ جيلٌ يغيب وآخرٌ يفـدُ
أخنت على القصر المنيف فلا الجدران قائمةٌ ولا العُمُدُ
ومشت على الجيش الكثيف فلا خيـلٌ مسوّمـة ولا زردُ
ذهبت بمن صلَحوا ومن فسَدوا ومضت بمن تعِسوا ومن سعُدوا

وبمن أذابَ الحبّ مهجتَــهُ   وبمن تأكّل قلبَهُ الحســدُ
وطوت ملوكاً مــا لهم عددٌ   فكأنهم في الأرض ما وُجِدوا
والشاعرُ المقتولُ باقيــةٌ   أقوالُهُ فكأنهــا الأبـــدُ
ألشيخُ يلمسُ في جوانبهـــا   صوَرَ الهوى والحكمةَ الولدُ

الفيلسوف المجنح

يا أيها الشادي المغرِّدُ في الضحى
أهواكَ ان تُنشدْ وإن لم تنشدِ
الفنّ فيكَ سجيّةٌ لا صنعةٌ والحبّ عندك كالطبيعةِ سرمدي
فإذا سكتّ فأنت لحنٌ طائرٌ
وإذا نطقتَ فأنتَ غيرُ مقلّدِ
للهَ درّك شاعراً لا ينتهي من جيّدٍ إلا صبا للأجودِ

مَرَحُ الأزاهرِ في غنائك والشذى
وطلاقةُ الغدرانِ والفجرِ الندي
وكأن زورَكَ فيه ألفُ كمنجةٍ
وكأن صدرَكَ فيه ألفُ مردِّدِ
كم زهرةٍ في السفحِ خادرةِ المنى
سكنتْ على يأسٍ سكون الجلمدِ
غنّيتها فاستيقظتْ وترنّحت وتألّقتْ كالكوكبِ المتوقّد
وجرى الهوى فيها وشاع بشاشةً
من لم يحبّ فإنه لم يولدِ
وكأنني بك حين تهتِفُ قائلٌ للزهرِ: ان الحسنَ غير مخلّدِ
فاستنفدي في الحب أيامَ الصبا
واسترشديه فهو أصدقُ مرشد

واستشهدي فيه ، فمن سخرِ القضا

أن لا تذوقيه وأن تُستَشهَدي !

★

يا فيلسوفاً قد تلاقى عنده طربُ الخَليِّ وحرقةُ المتوجِّد

رفع الربيعُ لك الارائك في الربى

وكسا حواشيها برودَ زبرجد

أنت المليك له الضياء مقاصرٌ وتعيش عيشَ الناسكِ المتزهد

مستوفزاً فوق الثرى متنقّلاً في الدوحِ من غصنٍ لغصنٍ أملد

متزوّداً من كلّ حسنٍ لمحةً شأن المحبِّ الثائرِ المتمرِّدِ

وإذا ظفِرت بنفحةٍ وبقطرةٍ فلقد ظفرت بروضةٍ وبموردِ

تشدو وتبهتُ حائراً متردّداً حتى كأنك حين تعطي تجتدي

وتمدّ صوتك في الفضا متلهّفاً في ذلّة المسترحمِ المستنجدِ

فكـأنمـــا لكَ موطـنٌ ضيّعتـــه
خلف الكواكب في الزمانِ الأبعدِ

وطنٌ جميلٌ كنتَ فيه سيّداً فمضى ودام عليك همّ السيّد
طوردت عنه إلى الحضيض فلم تزل متلفّتاً كالخائف المتشـردِ
يبدو لعينكَ في العقيقِ خياله وتراه في ورق الغصون الميّدِ
صورٌ معدّدة لغير حقيقـــة كالآل لاح لمعطّشٍ في فدفد
فتهمّ أن تدنو اليه وتنثني حتّى كأنك خائفٌ أن تهتدي
وكأنه حلمٌ يصحّ مع الكرى فإن انتهيت مع الكرى يتبدّد
كم ذا تفتشُ في السفوح وفي الذرى
عنقـــاء أقربُ منـــه للمتصيّــدِ

★

يا أيها الشادي المغرّدُ في الضحى

أهواك إن تنشدْ وإن لم تنشدِ

طوباك إنك لا تفكّرُ في غدٍ بَدءُ الكآبةِ ان تفكّرَ في غد

إن كنتَ قد ضيّعتَ إلفك إنني أبكي على إلفي الذي لم يوجدِ

ماءٌ وطين

سألتني وقد رجعتُ اليهـــا وعلى مفرقي غبار السنينا :
أيّ شيء وجدتَ في الأرض بعدي ؟
قلتُ : اني وجـدتُ مــاءً وطينـا

جمع الحسنَ والدمامة والإقـ ـدام والخوف والنّهى والجنونا
والرجاء الذي يصير به الفدْ فدُ روضاً وشوكُه نسرينا
والقنوط الذي يعرّي من الأو راق في نشوةِ الربيع الغصونا

ووجدتُ الهوى كما كان قِدماً ثقةً تارةً وطوراً ظنونا
وشباباً سكران من خمرة الوهم يخال المحالَ أمراً يقينـا
فإذا شاخت الرؤى وتلاشت وصحا ، بات جزمُهُ تخمينا
لا يزال الايمـان نوعـاً من الرّهبة ، والحسنُ للغرور خدينا
لا يزال الغنيّ يختال في الأر ض وان كان جاهلاً مأفونـا
كلّ من قد لقيت مثلُك يا نفـ سيَ في ما تُبدينَ أو تُخفينـا
فانظري مرةً اليك مليّـاً تبصري الأولين والآخرينا

الإبريق

ألا أيها الإبريق ما لك والصلَفْ
فما أنت بلّورٌ ولا أنت من صدفْ
وما أنت إلاّ كالاباريق كلّها
ترابٌ مهينٌ قد ترقّى إلى خزف
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنهُ
تلفّع أثواب الغبارِ وما أنِف

ومسّته أيـدي الأدنيـاء فما شـكا
ومصّته أفواه الطغـام فما وجَفْ
وفيك اعتزاز ليس للديك مثـــله
ولست بذي ريش تضاعف كالزغف
ولا لك صوتٌ مثله يصدع الدجى
وتهتِفُ فيه الذكريات إذا هتف

★

وأنصتّ أستوحيــهِ شيئاً يقوله
كما يسكت الزّوار في معرض التّحف
وبعد ثوانٍ خلتُ اني ســمعتُـه
يُثرثِر مثل الشيخِ أدركه الخرَف

فقال : «سقيتُ الناسَ» ، قلت له : أجل

سقيتَهمُ ماء السحاب الذي وكف

ودمعَ السواقي والعيون الذي جرى

وماء الينابيعِ الذي قد صفا وشف

فقال : ليذكُرْ فضليَ الماء وليُشِدْ

بمدحي ألم أحمِلهُ ؟ قلت : لك الشرف !

فقال : ألم أحفَظْهُ ؟ قلت : ظلمتَهُ

فلولاه لم تُنقل ولولاك ما وقفْ !

أمنية آلهة

أحبَّ إلهٌ في صباهُ إلاهةً
جرى السحرُ في أعطافها والترائبِ
تمنّت عليه آيةً لم يجئ بهــا
إلهٌ سواه في العصور الذواهبِ
ليمسي على الأرباب أجمع سيّداً
وتمسي تباهي كلَّ ذات ذوائبِ
وكان إلهاً جامحاً متضرِّمــاً
هوىً فأتى بالمعجزات الغرائب

كسا الأرض بالزهر البديع لأجلها

ورصّع آفـاق السما بالكواكب

وما زال حتى علّم الطير مـا الهوى

فحنّت وغنّت في الذرى والمناكبِ

وأنشـأ جنّـاتٍ وأجرى جـداولاً

ومَدّ المروج الخضر في كل جانب

وشاء فشاع العطر في المـاء والضيـا

وفي كل صوت أو صدىً متجـاوب

★

ومسّ الضحى فارفضّ تبراً على الربى

وسال عقيقـاً في حواشي السباسبِ

وقال لأحلام البحار: تجسّدي مواكبَ ألوانٍ وجيش عجائبِ

فكانت لآلٍ في الشطوط ، وفي الفضا
غيوم ، وموجٌ ضاحكٌ في الغواربِ
ولما رأى الأشياء أحسن ما تُرى
وتمّت لـه دنيـا بغير معـايب
دعاها اليه كي تبارك صُنعـه ولم يدرِ ان الحب جمّ المطالب
فقالت له أحسنتَ ! أحسنت مبدِعاً
فيا لـك ربّـاً عبقريّ المواهـبِ
ولكنّ لي أمنيّةً مـا تحققـت
إذا لم تُنيلْنيها فما أنت صاحبي !

★

فدنياك هذي على حسـنها وسحر مشـاهدها والصور

تشاركني سائر الآلهاتِ لذاذاتِها ونساءُ البشرْ

★

أريد دنيا فيها شعاعٌ يبقى إذا غابتِ النجومْ
أريدُ دنيا تُحسّ نفسي فيها نفوساً بلا جسومْ
أريدُ خمراً بلا كؤوسٍ من غير ما تُنبتُ الكرومْ
أريدُ عطراً بلا زهورٍ يسري وان لم يكن نسيمْ

★

وزادت فقالت : أريدُ أنيناً
يُشوّش روحي ولا مُحتَضَرْ
وماءً يموج ولا جدولٌ وناراً بلا حطب تستعرْ
فأطرق ذاك الالهُ الفتيّ وفي نفسه ألمٌ مستترْ

وقال : امهليني ثلاثَ ليالٍ اذلّل فيها المرادَ العسرْ !

★

وراح يجوب رحــاب الفضــاء
يحـدوه شـوقٌ ويـــدعوه سـرْ
فســال مع الشمس فوق الربـى
وغلغلَ في الحِنْدس المعتكِـــر
وأصغى إلى نَسمات المروج وأصغى إلى نفحات الزّهَــرْ
وبعد ثلاث ليـالٍ أتاهــا فظنته جـاء لكي يعتــذر
فقال : وجدتُ الـذي تطلُبــين
لدى شاعرٍ سـاحرٍ مبتكــرْ
وأخرج خيطـاً قصـير المـدى
بلونِ الـترابِ ولـين الشّـعَرْ

فلما رأته عراهـا الأســى وغوّر إيمانهـا وانـــدثر
فصــاحت بغيظٍ : أتسـخرُ مني ؟
إذن فاحمل العار ، أو فانتحر !
أجــاب : رُويـدك يـا ربّـــتي .
فمــا في التعجّـل إلا الضرر !
وشدّ إلى آلةٍ خيطَـــهُ ودغدغه صامتاً في حـذَرْ
ففـاضت خمورٌ وسـالت دموعٌ
وشعّت بُروق ولاحت صورْ !
فصاحت بــه وهي مدهوشـةٌ :
إلا ان ذا عـالمٌ مُختصَرْ !
فيا ليت شعريَ مــاذا يسمّى ؟
فقــال لهـا : ان هــذا الوتر !

عِش للجمال

عشْ للجمال تراه العين مؤتلقاً   في أنجم الليل أو زهر البساتينِ
وفي الربى نصبتْ كفّ الاصيل بها
سُرادقاً من نُضارٍ للرياحينِ
وفي الجبال إذا طاف المساء بها   ولفّها بسَرابيل الرهابينِ
وفي السواقي لها كالطفل ثرثرةٌ   وفي البروق لها ضحك المجانينِ
وفي ابتسامات «أيّار» وروعتها
فإن تولى ، ففي أجفان «تِشْرينِ»

لا حينَ للحسن لا حد يقاس به   وإنما نحنُ أهل الحدّ والحينِ

فكم تماوج في سربالِ غانيةٍ   وكم تألق في أسمالِ مسكينِ

وكم أحسّ به أعمى فجُنّ له   وحوله ألف راءٍ غير مفتون

عشٌ للجمال تراهُ ههنا وهنا

وعشٌ له وهو سرٌّ جدّ مكنون

خيرٌ وأفضل ممن لا حنين لهم   إلى الجمال ، تماثيلٌ من الطينِ

وقـَـائِلة

وقائلة ٍ : هجرت الشعر حتى   تغنّى بالسخافات المغنّـــي
أتى زمنُ الربيع وأنت لاه ٍ   وقد ولّى ولم تهتفْ بلحـن ِ
ونفسك كالصدى في قاع بئر ٍ   ومثل الفجر ملتحفـاً بدجـن ِ
فما لك ليس يستهويك حسن   وأنت المرء تعشق كل حسن
أتسكتُ والشباب عليك ضاف ٍ   وحولك للهوى جنّاتُ عدن؟
ركود الماء يورثهُ فساداً !   فقلت لها : استكيني واطمئنّي

فما حطمت يدُ الايام روحي   وان حطمت اباريقي ودني
ولم أعقد على خوفٍ لساني   ولا ضنّاً على الدنيا بفنّي
ولكنّي امروءٌ للناس ضحكي   ولي وحدي تباريحي وحزني
إذا اشكو إلى خِدنٍ همومي
وفي وُسْعي السكوت ظلمت خدني
وتأبى كبريائي ان يراني   فتًى مغروراً بالدمع جفني
فأسترُ عبرتي عنه لئلا   يضيق بها وإن هي أحرقتني
ويبكي صاحبي فأخالُ اني   أنا الجاني وان لم يتّهمني
فأمسح أدمعاً في مقلتيه   وان حكت اللهيب، وان كوتني
لأني كلّما رفّهتُ عنه   طربتُ كأنني رفّهت عنّي
كذلك كان شأني بين قومي   وهذا بين كل الناس شأني
أقول لكل نوّاحٍ رويداً   فإن الحزن لا يُغني، ويضني

وجدتُ الدمع بالأحرارِ يُزري
فليت الدمعَ لم يُخْلَقْ بجفنٍ !

★

سبيلُ العزّ أن تبني وتُعلي فلا تقنعْ بأنّ سواكَ يبني
ولا تكُ عالةً في عنق جَدٍّ رميم العظم أو عِبئاً على ابن
فمن يغرِسْ لكي يجني سواهُ
يعشْ ، ويموتُ من يحيا ليجني !

★

ألائمتي اتركيني في سكوني ولومي من يضِجّ بغير طحنِ
إذا صار السَّماعُ بلا قياسٍ فلا عجبٌ إذا سكتَ المغني

آنا ولئِن سكتّ وقالَ غيري
وجعجع صاحبُ الصوت الأرَنَ
إذا أنا لم أجد حقلاً مريعاً خلقت الحقل في روحي وذهني
فكادت تملأ الأثمارُ كفّي ويعبق بالشذى الفوّاح رُدني

مُومياتٌ

عرج صاحب الديوان في إحدى سفراته
على فندق فخم فلم يرَ إلا عجائز فقال :

لِمَنْ يضوعُ العبيرُ ؟ لِمَنْ تغنّي الطيورُ ؟
لمن تُصفّ القناني ؟ لمن تُصبّ الخمورُ ؟
ولا جمالٌ أنيقٌ ولا شبابٌ نضير
بل مومياتٌ عليها أطالس وحرير
راحت تقعقعُ حولي فكاد عقلي يطير
ولاذ قلبي بصدري كأنه عصفور

لاحت له في الاعـالي　　بواشـقٌ وصقـور
وقال: ضويقتَ فاهربْ! قلتُ: الفرارُ عسير
ما لي جنَاحٌ ولا لي　　سيّارة. أو بعـير
صبراً فهـذا بـلاءٌ　　مُقَـدَّرٌ مسـطور
ورحتُ أسأل ربي　　وهو اللطيف الخبير
أين الحسـان الصبايا　　ان كان هذا النشور؟
ليت الحضورَ غيابٌ　　والغـائبينَ حضـور
بل ليت كلّ نسيـجٍ　　براقـع وسـتور
فقـد أضرّ وآذى　　عينيّ هـذا السفور

★

هذي العصورُ الخوالي　　تطوفُ بي وتدور
من كل شمطاءَ ولّى　　شـبابهـا والغـرور

كأنما الفم منها مقطّبٌ مزرور
كأنما هو جرحٌ مرّت عليه شهور
يا طالب الشهد أقصرْ لم يبقَ إلا القفير
كأنما الوجهُ منها قد عضّه الزمهرير
كالبدر حين تراهُ يُعينك «الناظور»
تبدو لعينيك فيه برازخٌ وبحور
وأنجُدٌ ووهاد لكنّهُ مهجور!
مثلُ المِسَنّ ولكن لا ماءَ فيه يمور
ما للبعوضةِ فيهِ قوتٌ بل التضوير
ولا يؤثّر فيهِ نابٌ ولا أظفور
ولليدين ارتعاش وللعظامِ صرير
أما العيونُ فغارت ولا تزالُ تغور

مغاور بل صحارى بل اكهفٌ بل قبور
والحصر عفواً وصفحاً ! كانت لهنّ خصور !

★

هنّ السّعالى ولكن سُعالهنّ كثير
حديثهنّ انتفاضٌ وضحكهنّ هرير
ومشيهنّ ارتباك وتارةً تقدير
يغضبن إن مال ظلٌّ وإن شدا شحرور
وإن تهادتْ غصونٌ وإن تسارى عبير
وإن تمايل عشبٌ وإنْ تماوجَ نور
فكل شيءٍ قبيحٌ وكلّ شيء حقير
وكيف يفرح قلب رجاؤهُ مدحور ؟

مـا للرمـادِ لهيبٌ مـا للجليـد خريـر

★

من حولهن الاقاحي والوردُ والمنثور
وهنّ مكتئبـاتٌ كـأنهنّ صخور
لا يبتسمن لشيء أمـا لهنّ ثغور ؟
بلى ، لهنّ ثغـورٌ وإنّمـا لا شعور !
كأنّما الحسن في الأر ضِ كلّـه تزويـر

★

في فنـدق أنا أم في جهنّمٍ محشـور ؟
وهل أنا فيـه ضيفٌ لساعةٍ أم أسـيـر
يا ليتـني لم أزرْهُ وليتَـهُ مهجـور
فليس يهنـأ فيـه إلاّ الأصمّ الضرير

هدايا العيد

خرج الناسُ يشترون هدايا العيدِ للأصدقاء والاحبابِ
فتمنيتُ لو تساعفني الدنيا فأقضي في العيد بعض رغابي
كنتُ أهدي ، إذن ، من الصبر أرطا
لاً إلى المنشئينَ والكتّابِ
وإلى كلّ نابغ عبقريٍ أمةً أهلها ذوو ألبابِ
وإلى كلّ شاعرٍ عربيٍ سلّةً من فواكه الألقابِ

وإلى كل تاجرٍ حرم التـو فيق زقيّن من عصير الكـذابِ
وإلى كل عاشق مقلةً تُبـ صرُ كم من ملاحةٍ في الترابِ
وإلى الغـادة الجميلة «مرآ ةً» تريها ضمائر العُـزّابِ
وإلى الناشئ الغرير مرانـاً وإلى الشيـخ عزمة في الشبابِ
وإلى معشر الكسالى قصوراً من لُجيْنٍ وعسجد في السحابِ
علني استريحُ منهم فقد صا روا كظلي في جيئتي وذهابي
وإلى ذي الغنى الـذي يرهبُ الفقر ازدياداً الذي به من عذابِ
كلّمـا عدّ مالهُ مطمئناً أبصر الفقرَ واقفاً بالبـابِ
وإلى الصاحب المراوغ وجهـاً أسوداً حالكاً كوجه الغرابِ
فإذا لاح فرّت الناس ذُعراً من طريق المنافق الكـذّابِ
وإلى المؤمنين شيئاً من الشك وبعضَ الايمان للمرتـابِ
وإلى من يسبّني في غيابي شرفاً كي يصونه من سبابي

وإلى حاسديّ عمراً طويلاً ليدوم الأسى بهم مما بي
وإلى الحقل زهرهُ وحلاه من ندى لامعٍ ومن أعشابِ
فقبيح ان نرتدي الحلل القُشـ ـبَ وتبقى الربى بغير ثيابِ
لم يكن لي الذي أردتُ فحسبي أنني بالمنى ملأتُ وطابي
ولو ان الزمان صاحبُ عقلٍ كنت أهدي إلى الزمان عتابي

الفراشة المحتضرة

لو كان لي غيرُ قلبي عند مرآكِ
لما أضاف إلى بلواهُ بلواكِ
فيمَ ارتجاجُك هل في الجو زلزلة
أم أنتِ هاربةٌ من وجه فتّاكِ ؟
وكم تدورين حول البيت حائرة
بنتَ الربى ، ليس مأوى الناس مأواكِ

قالوا فراشةُ حقلٍ لا غناءَ بها

ما أفقر الناس في عيني وأغناكِ !

سيماءُ غاويةٍ ، أطوارُ شاعرةٍ ،

على زهادةِ عبّادٍ ونسّاكِ

طغراءُ مملكةٍ وشّى حواشيَها

مَنْ ذوّب الشمس ألواناً ووشّاكِ

رأيت أحلام أهل الحبّ كلّهمُ

لمّا مثلت أمامي عند شبّاكي

من نائمين على ذُلٍّ ومتربةٍ

ومن تِجّارٍ وأشرافٍ وأملاكِ

وقصّ شكواكِ قلبي قصة عجباً

من قبلِ ان سمعتْ أذناي شكواكِ

أليس فيك من العشــاق حيرتهــم ؟
فكيف لا يفهم العشاقُ نجواكِ ؟

★

حلمت أن زمــان الصيف منصرم
ويلاه ! حقّقت الأيــام رؤياكِ
فقد نعاه اليكِ الفجرُ مرتعشــاً
وليسَ منعــاه إلاّ بعض منعاكِ
فالزهر في الحقل أشـلاءٌ مبعثرةٌ
والطيرُ ؟.. لا طـائرٌ إلا جناحاكِ
مَدّ النهــار إليه كفّ مختلسٍ
وفتّــح الليــلُ فيــه عين سفّاكِ

شاء القضـاءُ بأن يشـقى فجـرّده

من الحليّ وان تشقَي فأبقـاكِ

لم يبـق غيرك شيءٌ من محاسـنه

ولا من العـابدين الحسنَ إلاّكِ

تزوّد النـاس منـه الأنس وانصرفوا

ومـا تزوّد إلا اليـأسَ جفنـاكِ

★

يا روضةً في سماء الروض طائرةً

وطائراً كالأقاحي ذا شـذىً ذاكِ

مضى مـع الصيف عهد كنت لاهية

على بسـاط من الأحلام ضحّـاكِ

تمسينَ عنـد مجاري الماء نائمــة
وللأزاهر والاعشـاب مغـــداكِ
فكلما سمعتْ أذناك ساقيــةً
حَنَنْتِ للسفح من شوقٍ مطاياكِ
وكلما نوّرت في السفح زنبقــةٌ
صفقت من طربٍ واهتز عطفاكِ
فما رشفتِ سوى عطر ولا انفتحت
إلا على الحسن المحبوبِ عينـاكِ
وكم لثمت شفاه الورد هائمــة
وكم مسحت دموع النرجس الباكي
وكم ترجّحتِ في مهد الضياء على
توقيعِ لحن الصّبا أو رجعهِ الحاكي

★

وكم ركضت فأغريتِ الصغار ضحى
بالركض في الحقل ملهاهم وملهاكِ
منّوا بأسرهمُ إيـاكِ أنفسَهـم
فأصبحوا بتمنّيهم أسـاركِ
جروا قُصاراهمُ حتى إذا تعبـوا
وقفتِ ساخرةً منهم قُصَاركِ
لولا جنـاحاكِ لم تسـلم طريدتهم ،
قد نجّياكِ ، ولكن أين منجاكِ ؟
ها أنت كالحقل في نزع وحشرجة
وهت قواك كما استرخى جناحاكِ
أصبحت للبؤس في مغناكِ تائهـةً
كأنـه لم يكـن بالأمسِ مغنـاكِ

★

فراشةَ الحقل .. في روحي كـآبته
مما عراه ومما قـد تولاكِ
أحببتُـه وهو دارٌ تلعبين بهـا
وسوف تهواه نفسي وهو مثواكِ
قـد بات قلبيَ في دنيا مشوشـة
منـذ التفتُّ إلى آثـار دنيـاكِ
لا يستقرّ بهـا إلاّ على وجـلٍ
كالطـير بـين أحـابيلٍ وأشراكِ

★

خلتْ أرائك كانت أمس آهـلةً
غنّاء ، فاليوم لا شـادٍ ولا شاكِ
أرضٌ خلاءٌ وجوّ غير ذي ألقٍ
بلى ، هناك ضبابٌ فوق أشواكِ

فيا رياح الخريف العاتيات كفى
عصفاً فقد كثُرت في الارض قتلاكِ
كيف اعتذارك إن قال الاله غداً :
هل الفَراشة كانت من ضحاياكِ ؟
يا نغمةً تتلاشى كلما بعدت
ان غبتِ عن مسمعي ما غاب معناكِ
ما أقدرَ اللهَ أن يحييك ثانية
مع الربيع كما من قبلُ سوّاكِ
فيرجع الحقل يزهو في غلائله
وترجعين وأغشاهُ فألقاكِ !

ابتسم

قال : «السماءُ كئيبةٌ ! » وتجهّما
قلت ابتسمْ يكفي التجهّم في السما !
قال : الصِّبا ولّى ! فقلت لهُ : ابتسم
لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرّما !
قال : التي كانت سمائي في الهوى
صارت لنفسي في الغــرام جهنّما

خانتْ عهودي بعدمـا ملـّكتُها
قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسّما ؟
قلتُ : ابتسم واطرب فلو قارنتهـا
قضّيت عمرك كلـّه متـألما !
قال : التجارةُ في صراعٍ هائلٍ مثلُ المسافر كاد يقتله الظما
أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجـةٍ لدمٍ وتنفث ، كلما لهثت ، دما !
قلت : ابتسم ما أنت جالب دائها وشفائها ، فإذا ابتسمت فربما ..
أيكونُ غيرك مجرمـاً وتبيتُ في
وجل كأنك أنتَ صرت المجرما ؟

★

قال : العدى حولي علتْ صيحاتهم
أأُسَرُّ والاعداءُ حولي في الحمى ؟

قلت : ابتسم ، لم يطلبوك بذمّهم
لو لم تكن منهم أجلّ وأعظما !

★

قال : المواسم قد بدت أعلامها وتعرضت لي في الملابس والدُمى
وعليّ للأحباب فرض ٌلازمٌ لكن كفّي ليس تملكُ درهما
قلت : ابتسم ، يكفيك أنك لم تزل
حياً ولست من الأحبّة مُعدما !

★

قال : الليالي جرّعتني علقماً قلت : ابتسم ولئن جرعتَ العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنماً طرح الكآبة جانباً وترنّما
أتُراك تغنمُ بالتبرّم درهماً أم أنت تخسرُ بالبشاشة مغنما ؟
يا صاح ، لاخطر على شفتيك أن تتثلما ، والوجه أن يتحطّما

فاضحك فإن الشُّهْب تضحك والدجى
متلاطمٌ ، ولذا نحبّ الأنجما !
قال: البشاشة ليس تسعد كائناً يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت: ابتسم ما دام بينك والردى
شبرٌ ، فإنك بعدُ لن تتبسّما !

لو أستطيع

لو أستطيع سكبت رو حي خمرةً في كاسها
حتى إذا حال النوى بيني وبين كِناسها
وتجاهلت أو أنكرتْ أمري لدى جلاّسها
أطللتُ من أجفانها وجريتُ مع أنفاسها !

يا نفس

يا نفسُ لو كنت ترين الشؤونْ   كما يراها سائرُ الناسِ
لما رماني بعضهم بالجنون   ولم أجدْ في الناس من باس

★

بالأمس مرّ الموكبُ الأكبرُ   فيه الفتى الراكبُ والناعلُ
وأقبلتْ غيدُ الحمى تخطير   يهتِفنَ : عاد البطل الباسل
ما لك يا هذي لا تهتفين   لصاحب الدولة والباس ؟

فقلتِ لي ضاحكةً تسخرين: ويلكَ ! هذا قاتلُ الناس !

★

ومجلسٍ دارت بـه الاكؤس فشرب القوم ولم تشربـي
وامتلأت بالطرب الأنفس وأنت في صمتك لم تطربـي
كأنمـا غيّبكِ الحِنـدس أو تاهت اللذّات في سبسب
ما لك يا هـذي لا تضحكيـنْ
للحَبَبِ الضاحك في الكـاس ؟
قالت : نهـاني أنّ موجَ السنينْ
سيغمـرُ الأقـداح والحـاسي !

★

وسرتِ في الروضة شاع الجمالْ
فيها ، وشاع الحبّ بين الطيورْ
ألطلّ فيها كدموع الدلالْ والشوكُ فيها كحديث الغرورْ

مشيتِ في أرجائها كالخيال   يطوف في الظلماء بين القبور
كأنّما لا وردَ في الياسمين   كأنّما لا عطر في الآسِ
ويحك ! لا في عزلتي تطربين   ولا إذا كنت مع الناسِ

*

كان زمانٌ كنتِ تستأنسين   بكل وهمٍ خادعٍ كالسّرابْ
حتى إذا أسفر وجه اليقين   رأيته كالوهم شيئاً كِذاب
دنيا الورى ليلٌ وصبحٌ مبين   وليس في دنياك إلاّ الضباب
ما لاحت الأشجار للناظرين   إلا رأيتِ شبح الفاس !
ولا سمعتِ الكاس ذات الرنين
إلا سمعت حطمةَ الكاس !

★

مسختِ في عينيّ لونَ النهارْ   لمّا لمحت الليل بالمرصدِ

وماتَ في أذنيَّ لحنُ الهزارْ   لمّا سبقتِ الصمتَ للمنشدِ
فررتِ باللّذاتِ قبل الفرار   فضاع يومي حائراً في غدي
خالفتِ مقياسَ الورى أجمعين   فكيف يرضون بمقياسي ؟
ما برح الناس كما تعلمين   ولم أزل فرداً من الناسِ

الكنارُ الصّامِت

نسيَ الكنارُ نشيده　　فتعالَ كي ننسى الكنار
وليقذفنَّ بهِ المَلالُ　　من القصور إلى القِفار
ولترمينَّ بريشهِ　　للأرضِ عاصفةُ النِفار
ولنستعضْ عنه بطيرٍ　　من لُجَينٍ أو نُضار
لا ، لا ، فإن سكت الكنا
رُ فلم يزلْ ذاك الكنار

أو كان فارقهُ الصُدا ... حُ فلم يفارقه الوقارْ
صمتُ الكنارِ ، وإنْ قسا
خيرٌ من النَغَمِ المُعار
صبراً فسوف يعودُ للـ ... ـتغريدِ إن عادَ النهار

لم يَبْقَ غيرُ الكأسِ

لم يبقَ ما يُسليكَ غيرُ الكـاسِ
فاشربْ ، ودعْ للناسِ ما للناسِ !
ذهبَ الشبابُ على الشجون تبثّها
لأخٍ مؤاسٍ أو لغـير مؤاسِ
وعلى الحياة تحار في أطوارهـا
وتحار في تعليل كلّ نطـاسي

ثم استفقت وليس في روض المنى
إلاّ الضبابُ وغير شوك الياسِ
وجراحُ نفسٍ ينظر الآسي لها
فيعود محتاجاً لآخَرَ آسِ
ألحسّ مجلبة الكآبة والأسى
قمْ ننطلقْ من عالمِ الاحساسِ
وأرى السعادة لا وصول لعرشها
إلا بأجنحةٍ من الوسواسِ
فكأنّما هي صورةٌ زيتيّةٌ
للشطّ فيه مراكبٌ ومراسي
تبدو لعينيك السفائن عوّماً
وتكادُ تسمع رعشةَ الأمراسِ

لكن إذا أدنيتهــا ولمســتها
لم تلقَ غيرَ الصِبــغِ والقرطاسِ
دنيــا مزيفةٌ ودهرٌ مــاذقٌ
ما في انفلاتك منهما من َباسِ
إن اللذاذات الــتي ضيّعتهـــا
رَجعتْ اليك عصارةً في الكاسِ
فاصبغ رؤاك بها تعدْ ذهبيّةً
عطريّةَ الألوان والأنفــاسِ
واخلُق لنفسك بالمُدامة جنّةً
في الأربُع المهجورة الأدراسِ
ألحبّ فيهــا بلبــلٌ وخميــلةٌ
وندىً وأضواءٌ على الأغراسِ

للقصر يخلُقه خيالك روعـةٌ
كالقصر من جُدُرٍ ومن آساسِ

★

يا أيهـا السـاقي أدرْ كاساتِهـا
كمشاعل الرهبان في الأغلاسِ
وانسَ الهموم فليس يسعد ذاكرٌ
واسقِ النجوم فإنهـا جلاّسي
واصرعْ بها عقل النديم ولبّه
ما نغّص الحاسي كعقل الحاسي
واهجر أحاديث السياسة والألى
يتعلّقون بحبلِ كلّ سياسي

إني نبذتُ ثمارها مذ ذقتُهـا
ووجدت طعم الغدر في أضراسي
وغسلت منها راحتي فغسلتُها
من سـائر الأوضار والأدناسِ
وتركتها لاثنين : غرٍّ سـاذجٍ
ومشعْوذٍ وكُذُبْذُبٍ دسّاسِ
يرضى لموطنه يصير مواطنـاً
وتصـير أمّتُه إلى أجنـاسِ
ويبيعهـا بدراهم معـدودةٍ
ولو انهـا جاءت من الخنّاسِ
ما للمنافق من ضميرٍ رادعٍ
أيّ الضمير لحيّة الاجراسِ ؟

★

ولربَّ قائلة تعاتبني على
صمتي وبعض القول حزُّ مواسي :
إثنان ما لاقيتُ أقسى منهما
صمت الدجى والشاعر الحسّاس
فأجبتها : أقسى وأهول منهما
في مِسمعي هذا العتاب القاسي
لم تعلمي ، والخير أن لا تعلمي ،
كم في السكوت فواجعاً ومآسي
قالت : أظنك قد نسيت . فقلت : لا
ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي
لكنّ جرحاً كلّما عالجتُهُ
غمر القنوط جوارحي وحواسي

ولو انّه في الرأس كنتُ ضمـَدتـُه
لكنّه في القلب لا في الراسِ

إن الألى قد كنت أرمي دونهم
غلّوا يديّ وحطّموا أقواسي

واستبدلوا سيفي الجرازَ بأسيفٍ
خشبٍ وباعوا عسجدي بنحاسي

والطلّ غير الماس ، إلا أنهم
خدعوا برقرقة الندى عن ماسي

وإذا حسبت الروضَ تُغني صورةٌ
عنـه فذلك مُنتهى الافلاسِ

أسـَدُ الرّخام وان حكى في شكله
شكلَ الغـَضنفر ليس بالفرّاسِ

*

قد كان لي حُلمٌ جميلٌ مُونقٌ
فأضعتــه لمّـا أضعت نعـاسي
فكّرت فيما نحن فيـه كأمّـةٍ
وضربت أخماسي إلى أسداسي
فرجعت أخيبَ ما يكون مؤمّلٌ
راجٍ وأخسرَ ما يكون الخاسي
نرجو الخلاص بغاشمٍ من غاشمٍ
لا يُنقـذ النخّاس من نخّاسِ
ونقيس ما بـين الثريّا والثرى
وأمورنا تجري بغير قياسِ
نغشى بلاد الناس في طلب العلى
وبلادنـا متروكةٌ للنـاسِ

ونكاد نفترش الثرى وبأرضنا
للأجنبيّ موائـدٌ وكراسي
ونلوم هاجِرَهـا على نسيانه
واللائم الناسين أوّل ناسي
ونبيت نفخَرَ بالصوارم والقنا
ورقابنا ممدودةٌ للفـاسِ
كم صيحةٍ للدهرِ في آذاننا
مرّت كما مرّت على أرمـاسِ

رأي الأكثرية

لما سألتُ عن الحقيقة قيلَ لي   ألحقُ ما اتّفقَ السواد عليهِ
فعجبت كيف ذبحت ثوري في الضحى
والهند ساجدةٌ هناكَ لديه
نرضى بحكم الاكثرية مثلما   يرضى الوليد الظلمَ من أبويه
إمّا لغنمٍ يرتجيه منهما   أو خيفةً من أن يساء اليه

كِتابي

وسائلةٍ : أيّ المـذاهب مـذهبي
وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلا
وأيّ نبيٍّ مرسَلٍ أقتدي بـه
وأيّ كتابٍ منزلٍ عنديَ الأغلى ؟
فقلت لها : لا يقتني المرء مذهباً ،
وان جلّ ، إلاّ كان في عنقه غُلاّ

فما مذهب الانسان إلاّ زجاجـة
تقيّـده خمراً وتضبطه خـلاّ
فإن كا قبحاً لم يبدّ له لونها
جمالاً ،ولا نُبلاً إذا لم يكن نُبلا
أنا آدميّ كـان يحسب أنـه
هو الكائن الأسمى وشِرعته الفضلى
وأنّ له الدنيا التي هو بعضها
وأن له الأخرى إذا صام أو صلّى
أمنّ على الصادي إذا ما سقيته
وألزِمه شكري ، ولست أنا الوبلا
وأزهى إذا أطعمت جوعانَ لقمةً
كأني خلقت الحبَّ في الحقل ، والحقلا

تتلمذت للانسان في الدهر حقبةً
فلقّنني غيّاً ، وعلّمني جهلا
نهانيَ عن قتل النفوس وعندما
رأى غرّةً منّي تعلّم بي القتلا !
وذمّ إليّ الرقّ ثمّ استرقّني
وصوّرَ ظلماً فيه تمجيده عدلا
وكاد يريني الأثمَ في كلّ ما أرى
وكلّ نظامٍ غير ما سنّ مختلاً
فصار الورى عندي عدوّاً وصاحباً
وأنفسهم صنفين علياء أو سفلى
وصرت أرى بغضاً وصرت أرى هوى
وصرت أرى عبداً وصرت أرى مولى

ويا رُبَّ شرٍّ خلته الخيرَ كلّه
ويا رُبَّ خيرٍ خلته نكبةً تُجلّى
إلى أن رأيت النجم يطلع في الدجى
لذي مقلةٍ حسرى وذي مقلة جَذلى
وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه
فلا يبتغي شكراً ولا يدّعي فضلا
وكيف يزين الطلّ ورداً وعوسجاً
وكيف يروّي العارضُ الوعرَ والسهلا
وكيف تغذّي الارض ألأمَ نبتها
وأقبحه شكلاً كأحسنه شكلا
فأصبح رأيي في الحياة كرأيها
وأصبحتُ لي دينٌ سوى مذهبي قبلا

وصار نبيّي كل ما يطلق العقــلا
وصار كتابي الكونُ لا صحفٌ تُتلى

★

فديني كدين الروض يعبق بالشذى
ولو لم يكن فيه سوى اللصّ منسلاّ
فليست تخوم المالكيــهِ تخومــه
وإن له إنْ يعلموا غيرَهم أهلا
فكم هشّ للأنسام والنور والنــدى
وآوى إليه الطـير والذرّ والنمـلا
وكم بعثتــه للحيــاةِ من البِــلى
قريحــة فنّانٍ فأورق واخضلاّ

وأصبح يُجلى «طيفه» في قصيدة
وفي رقعةٍ أو لوحةٍ «وهو» لا يجلى
وديني الذي اختار الغديرُ لنفسه
ويا حسنَ ما اختار الغديرُ وما أحلى!
تجيء اليه الطيرُ عطشى فترتوي
وان وردته الإبل لم يزجرِ الإبْلا
ويغتسلُ الذئبُ الأثيمُ بمائهِ
فلا إثم ذا يُمحى، ولا طهرُ ذا يَبلى!
وديني كدين الشُّهب تبدو لعاشقٍ
وقالٍ، وفيها ما يُحَبّ وما يُقلى
فما استترت كيما يضِلَّ مُسافرٌ
ولا بزغت كي يستنيرَ الذي ضلاّ

وليس لها أن تمنع الناسَ ضوءها
ولو فتلوا منهُ لتكبيلها حبلا
وديني كدين الغيث ان سحّ لم يبلْ
أروّى الأقاحي أم سقى الشوك والدفلى
فلم يتخيّر في الفضاء مسيرَه
ولم ينهمر جوداً ولم ينحبسْ بخلا
وان لم أكن كالروض والنجم والحيا
فحسبي اعتقادي ان خطّتها المثلى

*

يرى النحلَ غيري إذ يرى النحلَ حائماً
وأبصرُ قرص الشهد إذ أبصرُ النحلا

وألمح واحاتٍ من النخل في النوى
إذا جرف الاعصار من واحتي النخلا
وإن أشربِ الصهباءَ أعلمُ انني
شربت بشاشات الزمان الذي ولّى
وما همسته الريحُ في أذُن الثرى
وما ذرفَتْ في الليل نجمته الثكلى
وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى
فيا شاربيها هل لمحتَم دمَ القتلى ؟
وان مرّ بي طفلٌ رأيت به الورى
من المَثَل الأدنى إلى المَثَل الاعلى
فيا لكِ دنيا حسنها بعضُ قبحها
ويا لك كوناً قد حوى بعضُه الكلاّ

كُنْ بلسماً

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الارثوذكسية على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس ابو رجيلي في بروكلن – نيويورك .

كن بلسماً ان صار دهرُك أرقما   وحلاوةً ان صار غيرك علقما
ان الحياة حبتْك كل كنوزها   لاتبخلنّ على الحياة ببعض ما ..
أحسنْ وان لم تُجزَ حتى بالثنا   أيّ الجزاء الغيثُ يبغي إن همى

من ذا يكافئ زهرةً فوّاحةً ؟ او مَنْ يثيبُ البلبلَ المترنما ؟
عُدّ الكرامَ المحسنين وقِسْهمُ بهما تجد هذين منهم أكرما
يا صاحِ خذ عِلم المحبّة عنهما إني وجدتُ الحبّ علماً قيّما
لو لم تفح هذي وهذا ما شدا ، عاشت مذمّمةً وعاش مذمّما
فاعمل لإسعاد السِّوى وهنائهم ان شئت تسعد في الحياة وتنعما

★

أيقظْ شعورك بالمحبّة إن غفا
لولا الشعورُ الناسُ كانوا كالدمى
أحببْ فيغدو الكوخ كوناً نيّراً
أبغضْ فيمسي الكون سجناً مظلما
ما الكأس لولا الخمر غير زجاجةٍ
والمرء لولا الحبّ إلا أعظُما

كره الدجى فاسودّ إلا شهبه بقيت لتضحك منه كيف تجهّما
لو تعشق البيداء أصبحَ رملها زهراً، وصار سرابها الخدّاعُ ما
لو لم يكن في الأرض إلا مبغض لتبرّمت بوجوده وتبرّما
لاح الجمال لذي نُهى فأحبّه ورآه ذو جهلٍ فظنّ ورجّما
لا تطلبنّ محبّةً من جاهلٍ المرء ليس يحبّ حتى يفهما
وارفقْ بأبناء الغباء كأنهم
مرضى ، فإنّ الجهل شيءٌ كالعمى
والهُ بورد الروض عن أشواكه وانسَ العقارب ان رأيت الأنجما

★

يا من أتانا بالسلام مبشراً هشّ الحمى لما دخلت إلى الحمى
وصفوكَ بالتقوى وقالوا جهبذٌ علاّمةٌ ، ولقد وجدتك مثلما

لفظٌ أرقّ من النسيم إذا سرى
سَحَرَاً ، وحلوٌ كالكرى ان هوّما
وإذا نطقتَ ففي الجوارح نشوةٌ
هي نشوةُ الروحِ ارتوت بعد الظما
وإذا كتبت ففي الطروس حدائق
وشّى حواشيها اليراعُ ونمنما
وإذا وقفت على المنابر أوشكتْ
أخشابها للزهو ان تتكلما
ان كنت قد أخطاك سربال الغنى
عاش ابن مريم ليس يملكُ درهما
وأحبَّ حتى من أحبّ هلاكه وأعان حتى من أساء وأجرما
نام الرعاة عن الخِراف ولم تنم فإليك نشكو الهاجعين النوّما

عبدوا الاله لمغنمٍ يرجونــــهُ وعبدت ربّك لست تطلب مغنما
كم روّعوا بجهنّمٍ أرواحنـا فتألّمت من قبل أن تتألّما !
زعموا الاله أعدّها لعذابنا حاشا، وربّك رحمةٌ، أن يظلما
ما كان مَن أمَرَ الورى أن يرحموا
أعـداءهم إلاّ أرقّ وأرحمـا
ليست جهنّمُ غيرَ فكرةِ تـاجرٍ
الله لم يخلـق لنـا إلاّ السما

الخمرة والدنيا

يشربُ بنتَ الكرم بعض الناسِ
لكربةٍ في النفس أو وسواسِ
وبعضهمْ لأنه قد ظفرا وبعضهمْ لأنه قد خسرا
وبعضهمْ لأنه في فرحِ وبعضهمْ لأنه في ترحِ
وبعضهمْ كي يستردّ الأمسا وبعضهمْ يجرعها كي ينسى
وبعضهمْ ليستفيدَ قوّهْ وبعضهمْ لسورة الفتوّهْ

وبعضهمْ كيما يحل مشكلهْ   وبعضهمْ لأنه لا شغل لـهْ
وبعضهمْ عن رغبـة وعن هوى
وبعضهمْ لعلّه يُرضي السِّوى
وبعضهمْ من حبّه للبائـعِ   وبعضهمْ نكايةً للمانـــعِ
وبعضهمْ يشربهـا أحيانا   وبعضهمْ في أي وقت كانـا
وبعضهمْ مع صحبه في الدار   وبعضهمْ في حانة الخمّـــار
وبعضهمْ في زمرة الندمانِ   وبعضهمْ في وحدة الرهبان
وبعضهمْ في الصيف ذي الرمضاء
وبعضهمْ في زمن الشـــتاء
وبعضهمْ عنـــد انجيـاب الظّلمـهْ
وبعضهمْ عنـــد طلوع النجمـــهْ
وبعضهمْ يذمّها استهجانـا   وبعضهمْ يمدحها استحسانا

لكنهم كلّهمُ يحسبوهــا المادحوهــا والمقبّحوهـا

فما وجـدتُ في زمــاني رجـلا

وقلت : هـل تحبّها ؟ فقال : لا

وسرّ هـذا أنها كالدنيـا تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

لمَّا

عجباً لمن أمسى وكلّ فخاره   بنضاره المخبوء في الصندوقِ
ماذا يقول إذا اللصوص مضَوا بـه
وأقـام بعـد نضاره المسروقِ ؟
إن يرفعِ المالُ الكريم فانـه   للنذل مثل الحبل للمشنوقِ
لمّـا صديقي صار من أهل الغنى
أيقنتُ أني قد أضعتُ صديقي !..

تأمُّلات

ليت الذي خلق الحياة جميلةً   لم يسدل الأستار فوق جمالها
بل ليته سلبَ العقول فلم يكن   أحدٌ يعلّلُ نفسه بمناها
لله كم تُغري الفتى بوصالها   وتضنّ حتى في الكرى بوصالها
تدنيه من أبوابها بيمينها   وتردّهُ عن خدرها بشمالها
كم قلت هذا الأمرُ بعض صوابها   فوجدته بالخبْر بعض محالها
ولكم خُدعت بآلها وذممتُهُ   ورجعتُ أظمأ ما أكون لآلها

قد كنت أحسبني أمنت ضلالها		فإذا الذي خمّنت كل ضلالها
إن النفوسَ تغرّها آمالهـــا		وتظلّ عاكفةً على آمالهـــا
ذهب الصبا وأنا أعالج سرّهـا		متحيراً في كنهها ومآلِهـــا
حتّى رأيتُ الشمس تلقي نورها		في الأرض فوق سهولها وجبالها
ورأيتُ أحقرَ ما بناه عنكبٌ		متلففاً ومطوّقـاً بحبالهـــا
مثل القصورِ العالياتِ قبابُهـا		الشامخاتِ على الذرى بقلالهـا
فعلمتُ أن النفسَ تخطر في الحلى
والوشي مثل النفسِ في أسمالهـــا
ليست حياتُكَ غير ما صوّرتها		أنت الحياة بصمتها ومقالِهـا
ولقد نظرتُ إلى الحمائم في الربـى
فعجبتُ من حـال الأنام وحالهـا
للشوك حظ الورد من تغريدهـا		وشريكهُ من بعدُ في إعوالهـا

تشدو وصائدها يمدّ لها الردى   فأعجب لمحسنةٍ إلى مغتالهـا

فغبطتُها في أمنها وسلامهـا   ووددتُ لو أعطيت راحة بالها

وجعلت مذهبها لنفسي مذهباً   ونسجت أخلاقي على منوالها

من لجّ في ضيمي تركت سماءه   تبكي عليّ بشمسها وهلالها

وهجرتُ روضته فأصبح وردها

للبـأس كالأشـواك في أدغـالهـا

وزجرتُ نفسي أن تميل كنفسه   عن كوثر الدنيا إلى أوحالهـا

نسيانك الجاني المسيءَ فضيلةٌ   وخمودُ نارٍ جدّ في إشعالها

فاربأ بنفسك والحياةُ قصيرة   أن تجعل الأضغان من أحمالها

★

زمنَ الشبابِ رحلتَ غير مذمّمِ
وتركتَ للحسرات قلبي الوالها
دبّت عقاربها اليه تنوشه ورمت بقاياه إلى أصلالها
لم يبقَ من لذّاته إلا الرؤى ومن الصبابة غيرُ طيف خيالها
ومنَ الكؤوس سوى صدى رنّاتِها
والراح غيرُ خمارها وحبالها
يا جنّةً عوجلتُ عن أثمارها ولذاذةً عُرّيتُ من سربالها
ما عابها شيءٌ سوى اضمحلالها
والذنبُ للأقدار في اضمحلالها

*

ومليحةٍ في وجهها ألقُ الضحى
والسحرُ والصهباء في أقوالها

قالت : أينسى النازحون بلادهم ؟

ما هاج حزن القلب غير سؤالها

الأرض ، سوريّا أحبّ ربوعها عندي ، ولبنانٌ أعزّ جبالها

والناس أكرمهم عليّ عشيرها روحي الفداء لرهطها ولآلها !

والشهب أسطعها التي في أفقها ليس الجلال الحقّ غير جلالها

وأحبّ غيثٍ ماهمى في أرضها حتّى الحيا الباكي على أطلالها

مرح الصبا الجذلان في أسحارها ومنى الصبا الولهان في آصالها

إني لأعرف ريحها من غيرها بنوافح الأشذاء في أذيالها

تلك المنازل كم خطرتُ بساحها في ظل ضيغمها وعطف غزالها

وشدوت مع أطيارها ، وسهرت مع

أقمارها ، ورقصتُ مع شلاّلها

وسجدتُ للإلهام مع صفصافها وضحكت للأحلام مع وزّالها

وملأتُ عقلي من حديث شيوخها
وأخذتُ شِعْري من لغى أطفالها
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى لو أنها اكتحلت ولو برمالها
مرّت بيَ الأعوام تقفو بعضها وثْب القطا تعدو إلى آجالها
وتعاقبت صورُ الجمال فلم يدُم في خاطري منها سوى تمثالها

شاعِرُ الشُّهُور

«ايار» يا شاعر الشهورِ وبسمة الحبّ في الدّهورِ
وخالقَ الزهر في الروابي وخالقَ العطر في الزهورِ
وباعث الماء ذا خريرٍ وموجد السِّحر في الحرير
وغاسلَ الأفق والدراري والأرض ، بالنور والعبير
لقد كسوتَ الثرى لباساً أجملَ عندي من الحرير
ما فيك قرٌّ ولا هجيرٌ ذهبتَ بالقرِّ والهجيرِ

فلا ثلوجٌ على الروابـــي ولا غمــامٌ على البــدورِ
أتيت فالكون مِهرجـانٌ من اللـذاذات والحبـورِ
أيقظتَ في الأنفس الأمـاني والابتسامات في الثغــورِ
وكـدت تحيي الموتى البــوالي
وتُنبتُ العشبَ في الصخــورِ
وتجعلُ الشوك ذا أريـجٍ وتجعل الصخرَ ذا شـعورِ
فأينما سرتُ صوتُ بشرى وكيفما ملتُ طيـف نـورِ
تشكو اليك الشـتاءَ نفسي وما جناهُ من الشرورِ
كم لذّعَ الزمهريرُ جلدي ودبّ حتى إلى ضمـيري
فلُـذتُ بالصوف أتقيـهِ فاخترق الصوفَ كالحريرِ
وكم ليالٍ جلستُ وحـدي منقبض الصـدر كالأسـيرِ
يهتزّ مع أنملي كتــابـي ويرجفُ الحبرُ في السطورِ
تَعوِلُ فيها الرياح حـولي كنائحـاتٍ على أمـيرِ

والغيث يهمي بلا انقطـــاع والرعـد مستتبعُ الزئـــيرِ
والليل محلولك الحواشـــي وصامت البـــدءِ والأخيرِ
والشهب مرتاعـةٌ كطـيرٍ مخبّئـاتٍ مـن الصقـورِ
في غرفتي موقـــدٌ صغـيرٌ لله من موقـدي الصغيرِ !
يكـاد ينقـــدّ جانبـــاهُ من شدّة الغيظ لا السعيرِ
لولا لظاهُ رقصتُ فيهـا بغير دَفٍّ على ســريري
وساعةٍ وجههـا صفيـقٌ كـأنـه وجـهُ مستعيرِ
أبطـأ في السـير عقرباهـا فأبطـأ الوقت في المسـيرِ
حتى كـأن الزمان أعمـى يمشي على الشوك في الوعورِ
كنّا طوينا المنى وقلنا : مـا للأمـانيّ من نشـورِ
فلو يزور الصـدورَ حلـمٌ عرّج منهـا على قبـورِ
لقد تولى الشـتاء عنّـــا فصفّقي يا منىً وطيري !.

الكأس الباقية

دمعة على جبران خليل جبران

أيّها الشاعرُ الذي كان يشدو
بين ضاحٍ من الجمالِ وضاحكْ
جللٌ أن يصيدك القدَرُ الأعمى ويمشي مقصُّه في جناحك
موكبُ الشعر تائهٌ في فضاء ليس فيه سوى حطيمِ سلاحك
والبساتينُ — والبلابلُ فيها تتغنّى — حزينةٌ لرواحك

قنعت بالنواحِ منك فلمّـــا زال عاشت بذكريات نواحك
والدجى والنجوم تسطعُ فيه ـ واجمٌ حسرةً على مصباحك
تلمس العينُ أينما لمستهُ جمراتِ التياحنا والتياحك
قد تولّت جلالة السحرِ عنهُ
واضمحلّت مذ صار غير وشاحك

*

هبطت ربّة الحياةِ لكي تسـ ـكبَ خمرَ الجمال في أقداحك
فإذا أنتَ في السريرِ مسجّى صامتٌ كالطيوف في ألواحك
فتولّت مذعورةً تلطم الوجـ
ـهَ وتبكيكَ ، يا قتيل سماحك !
سبقتْها الإلاهةُ الموتِ كي تحـ ـظى ولو باليسيرِ من أفراحك

ويحها ! ويح حبّها من أثيمٍ طردتنا ولم تقمْ في ساحك

أيبست روضك الجميل ، ولم تظـ
ـفر بغـير التراب من أدواحـك

فصَبَّ الموت بالكؤوس جميعـاً
غير كـأسٍ ملأتهـا من جراحك

الشجاع

لا أحبّ الإنسانَ يرضخ للوهـ مِ ويرضى بتافهاتِ الأماني
إنّ حيّاً يهابُ أن يلمس النور كميتٍ في ظلمةِ الأكفانِ
وحياةً أمدّ فيها التوقّي لا توازي في المجدِ بضعَ ثوان
الشجاعُ الشجاعُ عندي مَن أمـ سى يغنّي والدمع في الأجفان

أبي

طوى بعضَ نفسي إذ طواك الثرى عني
وذا بعضها الثاني يفيض بهِ جفني
أبي ! خانني فيك الردى فتقوّضتْ
مقاصيرُ أحلامي كبيتٍ من التبنِ
وكانت رياضي حالياتٍ ضواحكاً
فأقوَت وعفّى زهرها الجزعُ المضني

وكانت دناني بالسرورِ مليئــــةٌ
فطاحت يدٌ عمياءُ بالخمرِ والدّنِّ
فليس سوى طعم المنيّةِ في فمي
وليس سوى صوت النوادب في أذْني
ولا حَسَنٌ في ناظــريّ وقلّمـــا
فتحتُهما من قبــل إلاّ على حُسْنِ
وما صُوَرُ الأشياء بعدكَ غيرَها ولكنّما قد شوّهتها يدُ الحزنِ
على منكبي تبرُ الضحى وعقيقهُ وقلبيَ في نارٍ وعينايَ في دجنِ
أبحثُ الأسى دمعي وأنهبتهُ دمي
وكنت أعدّ الحزن ضرباً من الجبنِ
فمستنكرٌ كيف استحالت بشاشتي
كمستنكرٍ في عاصفٍ رعشةَ الغصنِ

يقول المعزّي ليس يجدي البكا الفتى
وقول المعزّي لا يفيدُ ولا يُغني

★

شخصتُ بروحي حائراً متطلّعاً
إلى ما وراء البحر أدنو وأستدني
كذات جناحٍ أدرك السيلُ عشّها
فطارت على روعٍ تحوم على الوكن
فواهاً لو اني كنتُ في القومِ عندما
نظرتَ إلى العوّادِ تسألهم عنّي
ويا ليتما الأرض انطوى لي بساطها
فكنتُ مع الباكينَ في ساعةِ الدفنِ

لعلّي أفي تلك الأبوّة حقّهـــا
وإن كان لا يُوفى بكيلٍ ولا وزنِ
فأعظمُ مجـــدي كان أنك لي أبٌ
وأكبر فخري كان قولك : ذا إبني !
أقول : لو اني .. كي أبرّد لوعتي
فيزداد شجوي كلّما قلت : لو أني !
أحتّى وداعُ الأهل يُحرَمه الفتى ؟
أيا دهرُ هذا منتهى الحيفِ والغبنِ !
أبي ! وإذا مـــا قلتهـــا فكـــأنني
أنادي وأدعو يا ملاذي ويا ركني
لمن يلجأ المكروبُ بعدك في الحمى
فيرجِـــع ريّانَ المنى ضاحكَ السنّ ؟

خلعتَ الصبا في حومة المجد ناصعاً
ونُزّه فيك الشيبُ عن لوثةِ الأفْنِ
فذهنٌ كنجم الصيف في أوّل الدجى
ورأيٌ كحدّ السيف أو ذلك الذهنِ
وكنتَ ترى الدنيـا بغـير بشاشـةٍ
كأرضٍ بلا ماءٍ وصوتٍ بلا لحنِ
فما بك من ضرٍّ لنفسك وحدهـا
وضحكك والايناس للجار والخدنِ
جريءٌ على الباغي ، عيوفٌ عن الخنا ،
سريعٌ إلى الداعي ، كريمٌ بلا منّ
وكنتَ إذا حدّثتَ حدّثَ شاعرٌ
لبيبٌ دقيقُ الفهم والذوق والفن

فما استشعرَ المصغي إليك مــلالةً
ولا قلتَ إلاّ قال، من طربٍ : زدني !

★

برغمكَ فــارقتَ الربوع وإننـــا
على الرغمِ منّا سوف نلحقُ بالظعنِ
طريقٌ مشى فيها الملايينُ قبلنا من الملكِ السامي إلى عبده القِنِ
نظنّ لنا الدنيا وما في رحابها وليست لنا إلاّ كما البحرُ للسفْنْ
تروحُ وتغــدو حرّةً في عبـــابه
كما يتهادى ساكن السجن في السجنِ
وزنتُ بسرّ الموت فلسفةَ الورى
فشالت وكانت جعجعاتٍ بلا طحنِ

فأصدقُ أهل الأرضِ معرفـةً به
كأكثرهم جهـلاً يرجّمُ بالظّنِ
فذا مثل هذا حائرُ اللبّ عندَه وذاك كهذا ليس منه ُعلى أمنِ
فيا لك سفراً لم يزلْ جدّ غامضٍ
على كثرة التفصيل في الشرح والمتنِ
أيا رمز لبنـانٍ جـلالاً وهيبـةً
وحصن الوفاء المحض في ذلك الحصنِ
ضريحك مهما يستسرّ وبلـدةٌ أقمت بها تبني المحامدَ ماتبني
أحَبُّ من الأبراج طالت قبابهـا
وأجمل في عينيّ من أجملِ المدْنِ
على ذلك القبرِ السـلامُ فـذكره
أريجٌ بـه نفسي عن العطرِ تستغني

ذِكرى

إني امرؤٌ لا شيءَ يُطرب روحَـــهُ

ويهزّهــــا كالزهرِ والألحـــانِ

اللحنُ من قمريّة أو منشــدٍ والزهرُ في حقلٍ وفي بستانٍ

هذا يحركُ بي دفينَ صبابتي ويهزّ ذاك مشاعري وكياني

يهوى الملاحة ناظري صوراً تُرى

وأحبّهـــا في مســمعيّ أغـــاني

وأحبّها نوراً جميلاً صافياً متألّقاً في النفسِ والوجدانِ
وأحبّها سحراً يرف مع الندى ويموجُ في الألوان كالألوانِ
وأحبّها ذكرى تطيف بخاطري
لأخٍ هويتُ ، وغادةٍ تهواني
أو مجلس للحبّ في ظل الصبا إن الحياة جميعها هذانِ
أو في خيالِ منازل أشتاقها كم من جمالٍ في خيالِ مكان
ولقد نظرتُ اليكمُ فكأنما أنا في الربيع وفي ربى لبنان
أصغي إلى النسمات تروي للربى ما قالت الأشجارُ للغدران
وإلى السواقي وهي تنشد للصبا والحبِّ ، في الفتيات والفتيان
وإلى الأزاهرِ كلما مرت بها عذراء ذات ملاحة وبيانِ
متهامساتٍ : « ما نظنّ (فلانةً)
أحداً بها أولى من (ابن فلانٍ)

يا ليتَ ينثرنا الغرامُ عليهما   من قبل ينثرنا الخريفُ الجاني »

ألفت مجاورةَ الأنام فأصبحت
وكأنهما شيءٌ من الانسانِ
فإذا نظرت اليهما متأمّلاً
شاهدتَ حولك وحدة الأكوانِ

يا جنّتي

لمّا رأيتُ الورد في خـدّيكِ   وشقائق النعمان في شـفتيكِ
ونشـقتُ من فوديك ندّاً عـاطراً
لمّا مشت كفّـاكِ في فـوديكِ
ورأيت رأسك بالأقاح متوّجاً   والفلّ طاقاتٍ على نهـديكِ
وسمعتُ حولكِ همس أرواح الصبا
عند الصباحِ تهزّ من عطفيكِ

أيقنت أنكِ جنّةٌ خلاّبـــةٌ فحننت من بعد المشيب اليكِ
ولذاك قد صيّرتُ قلبي نحلةً يا جنتي كيما يحوم عليكِ
روحي فداؤكِ إنهــا لو لم تكــن
في راحتيكِ هوتْ على قـــدميك

الشاعر في السماء

رآنيَ اللهُ ذات يــــومٍ في الأرض أبكي من الشقاءْ
فرقّ ، واللهُ ذو حنـان على ذوي الضرّ والعنـاءْ
وقال : ليس الـترابُ داراً للشعر ، فارجع إلى السماءْ !
وشادَ فوق السّماكِ بيتي ومـدّ ملكي على الفضاءْ
فـالتفّت الشـهب حـول عرشي
وسـار في طـاعتي الضيـاءْ

وصرتُ لا ينطــوي صبـــاحٌ
إلاّ بأمــري ولا مســـاءُ
ولا تسوق الغيومَ ريـــحٌ إلاّ ولي فوقهـــا لــواءُ
فالأمرُ بين النجومِ أمــري لي الحكم فيهـا ولي القضاءُ

★

لكنني لم أزل حزينـــاً مكتئبَ الروح في العــلاءُ
فاستغرب اللهُ كيف أشقـى في عــالم الوحي والســناء
وقال : مــا زال آدميّـــاً يصبو إلى الغيدِ والطــلاء
ومسّ روحي واستلّ منها شوقي إلى الخمر والنســاء
وظنّ اني انتهى بلائـــي فلم يزدني ســوى بـــلاء
واشتد نوحي وصار جهراً وكان من قبل في الخفــاءُ

وصار دمعي سيولَ نــارٍ وكان قبلاً سيولَ مــاءْ

★

يا أيهــا الشــاعرُ المعنّــى حيّــرني داؤك العيــاءْ

هل تشـتهي أن تكون طـيراً ؟

فقلتُ : كلا ، ولا غنــاءْ !

هـل تشـتهي أن تكون نجمــاً ؟

أجبتُ : كــلا ، ولا بهــاءْ !

هل تبتغي المــال ؟ قلت : كلا

مــا كــان من مطلبــي الثراءْ

ولا قصوراً ، ولا رياضــاً ولا جنوداً ولا إمــاءْ

وليس ما بي يا ربَّ داءً ولا احتيــاجي إلى دواءْ

ولا حنيني إلى القنــاني ولا اشتياقي إلى الظبــاءْ

ولا أريد الذي لغيري ذا حكمةٍ كان أم مضاء
لكنّ أمنيّةً بنفسي يسترها الخوف والحياءُ !
فقال : يا شاعراً عجيباً
قل لي إذن ما الذي تشاءُ !
فقلت : يا ربّ فصل صيفٍ
في أرض لبنان أو شتاءُ
فإنني ههنا غريبٌ وليس في غربةٍ هناءُ !
فاستضحك الله من كلامي وقال : هذا هو الغباءُ
لبنان أرضٌ ككل أرضٍ وناسهُ والورى سواءُ
وفيه بؤسى وفيه نعمى وأردياءٌ وأتقياءُ
فأيّ شيءٍ تشتاق فيه ؟ فقلت : ما سرّني وساءُ
تحنّ نفسي إلى السواقي ، إلى الأقاحي ، إلى الشذاءُ

إلى الروابي تَعرى وتكسى   إلى العصافير والغناء
إلى العناقيدِ والدوالي   والماءِ والنورِ والهواءْ !
فأشرف الله من علاهُ   يشهدُ «لبنانَ» في المساءْ
فقال : ما أنتَ ذا جنونٍ   وإنما أنت ذو وفاءْ
فإن لبنان ليس طوداً ،   ولا بلاداً ، لكن سماءْ !

كلوا واشربوا

كلوا واشربوا أيها الأغنيـاء وإن ملأ السكك الجائعـون
ولا تلبسوا الخزّ إلا جديداً وإن لبس الخِرقَ البائسونْ
وحُوطوا قصوركمُ بالرجال وحوطوا رجالكم بالحصون
فلا تبصرون ضحايا الطوى ولا يبصرون الـذي تصنعون
وإن ساءكم أنهم في الوجـود وأزعجكم أنهم يعوِلـون
مُروا فتصولَ الجنود عليهم تعلـّمهم كيف فتْك المنونْ

فهم معتدون، وهم مجرمون، وهم مقلقون ، وهم ثائرونْ
وتلك العصيّ لتلك الرؤوس وتلك الحراب لتلك البطـون
وتلك السجون لمَن شدتموها إذا لم تزجّوهمُ في السجون!
كِلوا للظبى حلقَ هاماتِهم فإن الملوك كذا يفعلــونْ
إذا الجند لم يحرسوكم وأنتم سراة البلاد فمن يحرسونْ ؟
وإن همُ لم يقتلوا الأشقياء فياليت شعريَ من يقتلون ؟
ولا يحزننّكمُ موتهـمْ فإنهمُ للردى يُولـدونْ
وقولوا كذا قد أرادَ الالهُ وإن قدّر الله شيئاً يكـون
ويا فقراءُ لماذا التشكّي ؟ ألا تستحون ؟ ألا تخجلون ؟
دعوا الأغنياء ولذّاتِهم فهم مثـل لذّاتهم زائلون
سيمسون في «سقَرٍ» خـالدين
وتمسون في جنّـةٍ تنعمونْ
فلا تعطشون ، ولا تسغبون ، ولا يرتوون ، ولا يشبعون

لكم وحدكم ملكوتُ السماء   فما بالكم لستمُ تقنعون ؟
فلا تحزنوا أنكم ساهرون   فسوف تنامون ملء الجفون
ستسكنون مع الانبياء   تُظلّلكم وارفات الغصون
يضوعُ السنا حولكم بالشذى   وتجري الطلا أنهراً وعيون
وتسقيكم الخمرَ حورٌ حسان   كما يشتهين ، كما تشتهون
كذا وعدَ الله أهل التقى   وأنتم همُ أيها المتعبون
ألا تؤمنون بقولِ الكتاب؟   فويل لكم إنكم كافرون !

حديث موجة

قالها في حفلة تكريم سامي الشوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها .

عندي لكم نبأٌ عجيبٌ شيّقٌ   سأقصّـه وعليكمُ تفسيرهُ
إني رأيت البحرَ أخرسَ ساهيـاً
كالشيـخِ طالَ بما مضى تفكيرهُ

فسألتُ نفسي حائراً متلجلجاً
يا ليت شعري أين ضاع هديرهُ ؟
« بالأمس » قالت موجةٌ ثرثارةٌ
ومضت ، فأكملت الحديثَ صخورهُ :
بالأمس مرّ بنا فتى من قومكم رقّت شمائلهُ ودقّ شعورهُ
مترنّح من خمرةٍ قدسيّةٍ فيها الهوى وفتونهُ وفتورهُ
مترفّقٍ في مشيه يطأ الثرى وكأنما بين النجوم مسيرهُ
يلهو بأوتار الكمنجة والدجى مرخيّةٌ فوق العبابِ ستورهُ
يُهدي إلى الوطن القديم سلامه
ويناشدُ الوطنَ الذي سيرورهُ
فشجا الخضمَّ نشيدهُ وهتافه
فسها ، فضاع هديره وزئيرهُ

أعرفتموه ؟.. إنه هذا الفتى   هذا الذي سحر الخضمّ مروره
« داود » والمزمار في نغماته   و « الموصلي » ومعبد وسريره

يا ضيفنا ، والأنسُ أنت رسوله
وبشيرهُ ، والفنّ أنتَ أميره

لو شاع في الفردوس أنك بيننا   لمشت الينا سافراتٍ حوره
ذهب الربيع وجئتنا فكأنما   جاء الربيع زهوره وطيوره
الفنّ هشّ اليك في أمرائه   وتفتّحت لك دوره وقصوره
إن الجواهرَ بالجواهرِ أنسُها   أما التراب فبالتراب حبوره
يا شاعر الألحان إني شاعرٌ   أمسى ضئيلاً عند نورك نوره
أسمى الكلامِ الشعرُ إلا أنه   أسماه ما أعيا الفتى تصويره

وأحبّ أزهارِ الحدائق وردُها
وأحبّ من وردِ الرياض عبيره

أنت الفتى لك في النسيم حفيفه ولك الغديرُ صفاؤه وخريرهُ

القوم صاغيةٌ اليك قلوبهم والليل منصتةٌ اليك بدورهُ

وبهذه الاوتار سحرٌ جائلٌ متململٌ كالوحي حان ظهوره

إن كنت لا تهتاجهُ وتثيرهُ فمَن الذي يهتاجهُ ويثيره؟

دغدغْ بريشتك الكمنجة ينطلق ويدبّ في أرواحنا تأثيرهُ

وامشِ بنا في كل لحنٍ فاتنٍ

كالماء يجري في الغصون ظهورهُ

وأدر على الجلاّس أكواب الهوى

في راحتيك سلافهُ وعصيرهُ

فيخفّ في الرجل الحليم وقارهُ

ويراجعَ الشيخ المسنّ غرورهُ

وتنامَ في صدر الشجيّ همومهُ ويفيقَ في قلب الحزين سروره

هذي الجموع الآن شخص واحـد
لك حكمهُ وكما تشاء مصـيرهُ
إن شئتَ طال هتافه ونشيده أو شئتَ دام نواحه وزفيره
إنا وهبناكَ القلوبَ ولم نهب إلا الذي لك قبلنا تدبيرهُ!

ابسمي

ابسمي كالوردِ في فجر الصباء ْ   وابسمي كالنجم إن جنَّ المساء ْ
وإذا ما كفّن الثلجُ الثرى   وإذا ما سترَ الغيمُ السماء ْ
وتعرّى الروض من أزهاره   وتوارى النور في كهف الشتاء ْ
فاحلمي بالصيف ثم ابتسمي   تخلقي حولك زهراً وشذاء ْ
وإذا سرّ نفوساً أنّها   تُحسنُ الأخذ فسرّي بالعطاء ْ
وإذا أعياكِ أن تعطي الغنى   فافرحي أنّك تعطين الرجاء ْ

مُجاهِد

ألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في مسرح « اكادمي أوف ميوزك » في بروكلين لفقيد الأمة الكبير المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

قالوا قضى « موسى » فقلت قد انطوى
علمٌ ، وأغمد صارمٌ بتّارُ
فتشوّشت صُوَرُ المنى وتناثرت
كالزهر بدّد شملها الاعصارُ

وكـأنّما وَتَرَ الردى كلّ امرئٍ
لمّـا تَوَلّى ذلـكَ الجبّــارُ
جزعت لمصرعه البلادُ كأنّما قد غابَ عنها جحفلٌ جرّارُ
وبكت « فلسطينٌ » بهِ قيدومها إنّ الرزايا بالكبار كبــارُ
لمّا نعوه نعوا الينــا سيّداً شَرُفت خلائقه وطاب نجارُ

✶

لبِس الصبا ونضاهُ غيرَ مدنّسٍ
كالنجمِ لم تعلـقْ بهِ الأوضـارُ
ومشى المشيبُ برأسهِ فإذا بهِ كالحقلِ فيهِ الزهرُ والأثمارُ
وتطاولت أعوامهُ ، فإذا بهِ كالطودِ فيه صلابةٌ ووقارُ
ترتدّ عنهُ العاصفاتُ كليلةً ويزلّ عنه العارضُ المدرارُ
أوذي فلم يجزع ، وضيم فلم يهنْ إنّ الكريمَ على الأذى صبّارُ

صقلتْ مكافحةُ الشدائدِ نفسه والروضُ تجلو حسنَه الأمطارُ
فلهُ من الشيخ الأصالةُ، والفتى إقدامُه، إذ للفتى أوطارُ
يتهيّب الفجّارُ صدقَ يقينه وبرأيه يسترشدُ الأحرارُ
ما زالَ يزأر دون ذيّالك الحمى كالليث ويعَ فما له استقرارُ
ويجشّم النفسَ المخاطرَ هادئاً كيلا تُلمَّ بقومه الأخطارُ
حتّى استقرّ به الردى في حفرةٍ وخلا، لغير جواده، المضمارُ
فاعجبْ لمن ملأ المسامع ذكرُه تطويه في عرض الثرى اشبارُ!

★

أيّار مذكورٌ بحسن صنيعه ولئن تولّى وانقضى أيّارُ
فاخدم بلادَك مثل «موسى كاظمٍ»
تسبغْ عليك ثناءها الأمصارُ
إنّ السنينَ كثيرُها كقليلها إن لم تزنْ صفحاتِها الآثارُ

فاصرف عنانك في الشباب إلى العلى
بُردُ الشبيبة كالجمال مُعارُ
لا تقعدنَّ عن الجهاد إلى غدٍ فلقد يجيء غدٌ وأنتَ غبارُ
ماذا يفيدك أن يكون لك الثرى ولغيرك الآصالُ والأسحارُ
مَنْ ليسَ يفتحُ للنهارِ جفونهُ هيهاتَ يكحلِ مقلتيهِ نهارُ

*

واحببْ بلادك مثل «موسى كاظمٍ»
حبّاً بهِ الاخلاصُ والايثارُ
تضفرْ لرأسك من أزاهرها الرّبى
تاجاً ، وتهتفْ باسمك الأغوارُ
إيّاك ترمقها بمقلةِ تاجرٍ إنّ اتّجارَك بالمواطن عارُ
ودعِ المنافقَ لا تثقْ بعهوده وطنُ المنافق فضّةٌ ونضارُ

مترجرج الأخلاقِ ، أصدقُ وعده
آلٌ ، وخيرُ هباتهِ الأعذارُ
يدنو اليك بوجههِ متودّداً وفؤاده بك هازئٌ سخّارُ
هو حين يجري مع هواهُ خائنٌ وإذا سمتْ أخلاقهُ سمسارُ
كم معشرٍ خلناهمُ أنصارنا فإذا همُ لعُداتنا أنصارُ
رقَدَ العدى فتحمّسوا ، حتى إذا
جدّ الوغى ركبوا العقابَ وطاروا !
شرٌّ من الخصم اللدود على الفتى الصاحبُ المتذبذبُ الخوّارُ
وحذارِ أشراكَ السياسة إنّها بنتٌ أبوها الزئبقُ الفرّارُ
فيها من الرقطاء ناقعُ سمّها ولها نيوبُ الذئب والأظفارُ
تردُ المناهلَ وهي ماءٌ سائغٌ وتعودُ عنها والمناهلُ نارُ
الكذبُ والتمويه خيرُ صفاتها وشعارُها أن لا يدومَ شعارُ

لا تطلبنَّ من السياسةِ رحمةً   هي حيثُ طُلَّ دمٌ وحَلَّ دمارُ
الصَّيد غيرك إن سهرتَ، فان تنم   فالصيد أنتَ ولحمك المختارُ
يا قومنا !.. إنَّ العدو ببابكم   بئس المغيرِ على البلاد الجـار
وله بأرضكمُ طماعة أشعبٍ   ورواغُه، ولكيدهِ استمرارُ
لا ترقدوا عنه فليس براقدٍ   أفتهجعونَ وقد طمى التيّارُ!
إنَّ الطيورَ تذودُ عن أوكارها   أتكون أعقلَ منكمُ الأطيارُ؟
سيروا على آثار موسى واعملوا   إن شئتمُ ان لا تضيع ديارُ
زوروا ثراه واستمدّوا قوّةً   منه فكم أحيا الهوى التذْكارُ
قبرٌ يفوحُ الطيبُ من جنباتـه   قبرُ الكريم خميلةٌ معطارُ
فإذا تمرّ عليه يوماً نسمةٌ   أرَجتْ كأنَّ حجارهُ أزهارُ

الكريم

قالوا : ألا تصفُ الكريمَ لنا ؟ فقلتُ على البديهْ :
إنّ الكريمَ لكالربيعِ ، تحبّهُ للحسنِ فيهْ
وتهشّ عندَ لقائه ، ويغيبُ عنكَ فتشتهيه
لا يرتضي أبداً لصاحبهِ الذي لا يرتضيه
وإذا الليالي ساعفتهُ لا يُدلّ ولا يتيه
وتراهُ يبسمُ هازئاً في غمرةِ الخطبِ الكريهْ
وإذا تحرّقَ حاسدوهُ بكى ورقّ لحاسديه
كالوردِ ينفحُ بالشذى حتى أنوف السارقيه

لبنان

اثنانِ أعيا الدهرَ أن يبليهمـــا لبنانُ والأملُ الذي لذويهِ
نشتاقهُ والصيف فوق هضابه ونحبّه والثلجُ في واديــهِ
وإذا تمدّ له ذُكاء حبالهـا بقلائد العقيانِ تستغويـه
وإذا تنقّطه السماءُ عشـيةً بالأنجم الزهراء تسترضيه
وإذا الصبايا في الحقول كزهرهـا
يضحكنَ ضحكاً لا تكلّف فيـه

هنّ اللواتي قد خلقن لي الهوى وسقينني الخمر الذي أسقيهِ
هذا الذي صان الشبابَ من البلى
وأبى على الأيّام أن تطويهِ

*

ولربما جبل أشبّهه به مسترسلاً مع روعة التشبيهِ
فأقول يحكيه ، واعلمُ أنه مهما سما هيهات أن يحكيهِ
يا لذةً مكذوبةً يلهو بها قلبي ويعرف أنها تؤذيهِ
إني أذكّره بذياك الحمى وجمالهِ وإخالني أنسيهِ
وإذا الحقائق أحرجت صدر الفتى
ألقى مقالدَهُ إلى التمويهِ
وطني ستبقى الأرضُ عندي كلّها
– حتّى أعود اليه – أرضَ التيهِ

سالوا الجمالَ فقال : هذا هيكلي
والشِعرُ قال : بنيتُ عرشي فيهِ

★

الأرض تستجدي الخضمَ مياهَه
وكنوزَه والبحرُ يستجديهِ
يمسي ويصبح وهو منطرحٌ على
أقدامه طمعاً بما يحويهِ
أعطاه بعض وقاره حتّى إذا استجداه ثانيةً سخا ببنيهِ
لبنان صن كنز العزائم واقتصد أخشى مع الاسراف أن تفنيهِ

★

غيري يراه سياسةً وطوائفاً ويظلّ يزعم أنه رائيهِ
ويروح من اشفاقه يبكي له لبنان أنت أحق أن تبكيهِ

لا يسفرُ الحسن النزيه لنـاظرٍ   ما دام منه الطرفُ غيرَ نزيـهِ

★

قل للألى رفعوا التخومَ لأرضه   ضيّقتمُ الدنيا على أهليـهِ
ولمن يقولون : الفرنجُ حماتهُ   الله قبـل سيوفهم حاميـهِ

★

يا صاحبي يهنيك أنك في غدٍ   ستعانق الأحباب في ناديـهِ
وتلذّ بالأرواح تعبق بالشذى   وتهزّك الأنغامُ من شاديهِ
إن حدّثوكَ عن النعيم فأطنبوا   فاشتقتَه لا تنس أنك فيه !

أنتِ والكأس

أنتِ والكأسُ في يدي فلمن أنتِ في غدِ ؟
فاستشاطت لقولتي غضباً في تمرّدِ
وأشاحت بوجهها وادعت أنّني ردي !
كاذبٌ في صبابتي ماذقٌ في تودّدي
قلتُ : عفواً فانها سَورةٌ من معربدِ
وجرى الصلحُ والتقى ثغرَها ثغريَ الصدي

أذعن القلبُ طائعاً بعدَ ذاك التمرّدِ
فنعمنا هنيهةً بالولاءِ المجدّدِ
بين ماء مصفّق وهزارٍ مغرّدِ
ثم عادت وساوسي فأنا في تردّدِ
راعها منّيَ السكوتُ فذمّت تبلّدي
قالت : الحبّ سرمدٌ قلتُ : لا شيء سرمدي
أتحبّينني إذا زال مجدي وسؤددي؟
فأجابت لفورها أنتَ ، لا المجد ، مقصدي
قلت : هل تحفظين عهدي إذا ضاع عسجدي ؟
فأجابتْ برقّةٍ أنت ، ما عشت ، سيّدي
كنتَ كالشمس في الغنى أم فقيراً كجلجدِ
حسناً . قلت ضاحكاً : يا ملاكي وفرقدي

إنمـا هـل يـدوم لي حبّك المشرقُ النـدي
إن حنى الـدهرُ قامـتي ومحـا الشّيبُ أسودي
وانطوى رونق الصبـا مثـلَ بـرق بفدفـدِ
قالت : الشكّ آفةُ الـ ـحبِّ فانبـذهُ تسـعدِ
ليسَ حبّيك الصبـا لستَ فيـه بأوحـدِ
بل لمـا فيك من صفـا تِ ومن طيبِ محتـدِ
قلتُ والشـكّ رائـحٌ في ضميري ومغتـدِ :
وإذا غـالني الحمـا مُ وأصبحت في غـدِ
جثّـةً لفّهـا الثرى بالظـلام المؤبّـدِ
ليسَ فيهـا لصـاحبٍ أربٌ أو لحسّـدِ
وسرى الـدودُ حولها يتغـذّى ويعتدي
ومررتِ الغـداةَ بي فمـررتِ بجلمـدِ

ونظرتِ فلم تري غير عظمٍ مجرّد
بعثرته يدُ البلى كنفايات موقدِ
هل تحبينني إذن لخلالي ومحتدي ؟
ويك ! صاحت ودمعها كجمانٍ مبدّدِ
كم تظنّ الظنون بي
أيها الزائغُ اهتدِ
أشهد الصبحَ فائضاً في مروج الزبرجدِ
أشهد الليل لابساً طيلسان التمرّدِ
أشهد الغيثَ معطياً أشهدُ الحقل يجتدي
وذواتِ الجناح من باغمٍ أو مغرّدِ
والأزاهيرَ والشذى في وهادٍ وأنجدِ
أشهدُ الأرضَ والسما أشهدُ اللهَ مُوجدي

سوف أحيا كما ترى للهوى والتوجّدِ
فأناجيك في الضحى وهو أمراسُ عسجدِ
وأناجيك في المسا والأصيلِ المورّدِ
في الربى تخلع الجما لَ بروداً وترتدي
والسواقي لها غِنا ءٌ كألحان معبدِ
والعصافيرُ أقبلت نحوها للتبرّدِ
أسهرُ الليلَ وحشةً بفؤادٍ مشدّدِ
وإذا نمتُ نمتُ كي يطرقَ الطيفُ مرقدي
فيظلّ الهيامُ بي ينتهي حيثُ يبتدي
وبحزنٍ تنهدتْ فاستجاشت تنهّدي
فاعتنقنا سُويعةً مثل جفنَي مسهّدِ

★

أفلتَ الأمسُ هارباً وغَدٌ ؟ ليس من غدِ !
صرتُ وحدي وليس لي أربٌ في التّوحّدِ
يا نديمي إلى الكؤو س ويا منشدُ انشدِ
زدْ ليَ الخمرَ كلما قلت : « يا صاحبي زدِ »
لا تقلْ أيّ موسمٍ ذا ، فذا يوم مولدي !
أنا ، ما زلت في الحيا ة ، لي شبابي وسؤددي
وبلحَيني وعسجدي وخلالي ومحتدي
إنما « تلك » أخلفت قبل ليلين موعدي
لم تمت .. لا ، وإنما أصبحت في سوى يدي

*

آفةُ الحبِّ أنه في قلوبٍ وأكبدِ
فهوَ كالنارِ لم تدم في هشيمٍ لموقدِ

الشبابُ والحُبّ

بكيتَ الصبا من قبلِ أن يذهب الصبا
فيا ليت شعري ما تقول إذا ولّى ؟
توهمتَه يبقى إذا أنت صُنتــــهُ
عن الشفةِ الحمراء والمقلةِ الكحلا
وخلتَ الهوى جهلاً فلم يكن الهوى
أخيراً سوى الأمر الذي خلتَهُ جهلا

خشيتَ عليه ان يطوِّحــهُ الهــوى
فألقاكَ هذا الخوفُ في الهوّة السفلى
أتلجمُ ماءَ النهر عن جريانــه
مخافةَ أن يفنى ؟ إذن فاشرب الوحــلا
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا
فدعهُ يذوق الحبَّ من قبل أن يبلى

*

فما ديمةٌ صبّت على الصخر ماءها
فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بقــلا
بأضيعَ من بُرْد الشباب على امرئ
إذا استطعَمتْه النفسُ أطعمها العذلا

*

فلا تكُ مثلَ الاقحوانــةِ راعهــا
من الحقل ان تُجنى فلم تسكن الحقلا
وأعجبها الوادي فــلاذت بقـــاعهِ
فجاء عليها السيلَ في الليــل واستتلى
فما عانقت نورَ الكواكب في الدجى
ولا لثمتْ فجراً ولا رشفتْ طَـــلاّ
وزالت فلم يستشعر النورُ والنـــدى
على فقدها غمّــاً كأنْ لم نكن قبلا
ولا تكُ كالصـــدّاح إذ خـــال أنه
إذا اذْدَخرَ الألحانَ أكسبها نُبلا
فضنّ بها والشمسُ تنثر تبرهـــا
وفضّتَها والأرضُ ضاحكة جذلى

فلما مضى نوْز الربيع عن الربى
ودبّ إلى أزهارها الموتُ منسلاّ
تحفّز كي يشدو فلم يلقَ حوله
سوى الورق الهاوي كأحلامه القتلى،

الغابة المفقودة

يا لهفةَ النفسِ على غابـــةٍ كنتُ وهنداً نلتقي فيهـــا
أنا كما شاء الهوى والصبـا وهيَ كما شاءت أمانيهـــا
تكادُ من لطف معانيهـــا يشربها خاطرُ رائيهـــا
آمنتُ باللهِ وآياتـــهِ أليس أنّ الله باريهـا ؟

✶

نباغتُ الأزهارَ عند الضحى متّكئاتٍ في نواحيهـــا

ألوى على الزنبقِ نسرينها والتفَّ عاريهـا بكاسيهـا

واختلجت في الشمسِ ألوانها كأنها تـذكر ماضيهـا

تآلفت فالماء من حولهـا يرقصُ والطيرُ تغنّيهـا

مَنْ لقّنَ الطيرَ أناشيدها ؟ وعلّم الزهرَ تآخيهـا ؟

يا هندُ هذي معجزاتُ الهوى وإنّها فينا كما فيهـا

لا يستحي الزهرُ بإعلانها فما لنا نحن نواريهـا ؟

وتهتِفُ الطيرُ بها في الربى فما لنـا نحن نعمّيهـا ؟

للهِ في الغابـة أيّامُنـا ما عابهـا إلاّ تلاشيهـا

طوراً علينا ظِلّ أدواحها وتارةً عطفُ دواليهـا

وتارةً نلهو بأعنابهـا وتارةً نحصي أقاحيهـا

تسكتُ إذ نشكو شحاريرُهـا كأنّما التغريـدُ يؤذيها

وإن تضاحكنا سمعنا الصدى يضحكُ معنا في أقاصيها

وإن مشينا فوقَ كثبانها لاحتْ فشاقتنا أدانيها
وفوقنا الأغصانُ معقودةٌ ذوائبٌ طال تدلّيها
إذا هززناها على غرّةٍ ألقتْ من الذعرِ لآليها
نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ نكتشفُ الأرضَ ونطويها
والنورُ عطرٌ في تعاريجها والعطرُ نورٌ في حواشيها
وتختبي هند فأشتاقها وأختبي عنها فأغريها
كم أوهمتني الخوفَ من طارئ
تشجي بذا نفسي فتشجيها
فرحتُ أعدو نحوها مشفقاً فكان ما حاذرتُ تمويها !
فاعجبْ لأطواري وأطوارِها تعبثُ منّي وأجاريها !

*

الله لو دام زمـــان الهـوى   ودام من هندٍ تجنّيهـــا
لا غابتي اليوم كعهدي بهـا   ولا التي أحببتهـا فيهـــا
ولا تلالٌ كنهود الدمى   ولا سـفوح كتراقيهـــا
ولا الندى درٌّ على عشبها   ولا الأقاحي في روابيهـا
ولا الضحى يُلقي على أرضها   شباكَ تبرٍ من أعاليهـــا
أهبَطني أمسِ إلى حضنها   شوقي إلى سجعِ قماريها
فلمْ تخمّشني بأوراقهـــا   ولمْ تهلّلْ لي سواقيهـــا
قد بدّلَ الانسانُ أطوارهـا   واغتصب الطيرَ مآويهـا
وفتّ بالبارودِ جلمودهـا   واجتثّ بالفـأسِ دواليها
وشادَ من أحجارها قريـةً   سكّانها الناسُ وأهلوها

★

يا لهفةَ النفسِ على غابــةٍ كنتُ وهنداً نلتقي فيهــا

جنّةُ أحلامي وأحلامهــا ودارُ حبّــي وتصابيهــا

نبكي من اليأسِ على شوكهـا وكانَ يدميني ويــدميهــا

كانت تغطّينا بأوراقهــا فصارت الدورُ تغطّيها !

أبو غازي

أبا غازي السلامُ عليك منّا ... وعفواً أيّها الملكُ الهمامُ

فما ضاقَ الكلامُ بنا ولكن ... وجدنا الحزنَ أرخصه الكلام

وخطبك لا يفيه دمعُ باكٍ ... ولو أنَّ الذّي يبكي الغمام

ونحنُ أحقّ أن نُبكى ونُرثى ... فموتك من بني العربِ انتقام

خبا نبراسنا ، والليل داجٍ ، ... وموجُ الحادثاتِ له التطام

وكنتَ لنا الدليل ، فغبت عنّا ... وكنت حسامنا ، فنبا الحسام!

كأنّك قد وترتَ الموتَ قدماً وهابك في كنانتك السهامُ
فدبّ اليك مثلَ اللص ليلاً وكان الموتُ ليس لهُ ذمام
طوى الدنيا نعيّك في ثـوانٍ فريعَ البيت والبلد الحـرام
و « دجلة » كالطعينِ لـه أنـينٌ
وفي « بردى » التيـاعٌ واضطرام
ورحنا بين مصعوقٍ وساهٍ كمن صرعت عقولَهمُ المدام
كأنّ الأرض قد مـادت وفُضّتْ
عن الموتى الصفـائح والرجـام
فمن للبيض والجرد المذاكي ؟ و «فيصل» بات يحويه الرّغام
ومن للحق ينشرهُ لـواءً به للناس هديٌ واعتصـام
توارى المجد في كفنٍ ولحدٍ وغابت في التّراب منىً عظام
مضى وحديثه في النـاس بـاقٍ
كعمرِ الشمس ليس لـهُ انصرام

فيا جدثاً حواهُ لستَ قبراً ولكن أنت في الدنيا وسامُ

★

حياتك « يا أبا غازي » حياةٌ كفصل الصيف : زهروابتسام

وقد تُحصى الكواكب والأقاحي ولا تحصى أياديك الجسام

مددتَ إلى منى العرب الغوافي يداً ، فتفتقت عنها الكمام

وأمسى بندهمْ وله خفوقٌ وأمسى عقدهمْ ولهُ نظام

وكم أسقمتَ جسمك كي يصحّوا

وحالفتَ السهادَ وهم نيام

وكم جازيتَ عن شرٍّ بخيرٍ وكم جازاكَ بالغدرِ الأنام

خُذلتَ فما عتبتَ على صديقٍ ولم تحنقْ وقد كثُرَ الملام

وكم قد فزت في حربٍ وسلم فلم يلعبْ بعِطفيك العُرام

خلائق من له عِرقٌ كريمٌ وخطة من اه قلبٌ عصام
خذوا الخُلُقَ الرفيع من الصحارى
فانّ النفْسَ يفسدها الزحام
وكم فقَدت جلالَتها قصورٌ ولم تفقدْ مروءَتَها الخيامُ

*

وقالوا اندكّ عرشُكَ في دمشقٍ
كأنّ العرشَ أخشابٌ تُقام
وكيف تهدّ سدّتكَ العوالي ولم يسلبْكها الموتُ الزؤامُ
فما كان انتصارهمُ علاءً ولا كان انكسارك فيه ذامُ
إذا لم تنصر الأرواح ملْكاً فأحسنُ ما حوى جثث وهامُ
وما زالت لك الأرواح فيها وما زالت عشيرتك الشآم

تصفّق لاسمك الأمواهُ فيها ويهتف في خمائلها الحمامُ
ويذكر أهلها تلكَ السجايا فيشرق من تذكّرِها الظلام
وليس أحبّ من حرٍّ مؤاسٍ إلى شعبٍ يُساء ويستضام

★

فقلْ للساخطين على الليالي ومن سكنوا على يأسٍ وناموا
سينحسر الضبابُ عن الروابي ويبدو الوردُ فيها والخزام
ويصفو جوّنا بعد انكدارٍ ويسقي أرضَنا المطر الرّهام
ونرجع أمّةً تُرجى وتخشى وإن كرهَ الزعانف والطّغام

فِلسطين

دِيارُ السلامِ ، وأرض الهنـــا		يشقّ على الكلّ أن تحزنـا
فخطب فلسطين خطبُ العلى		وما كان رزء العلى هيّنـا
سهرنا له فكأنّ السـيوفَ		تحزّ بأكبـادنا ههنـا
وكيفَ يزور الكرى أعينـاً		ترى حولها للردى أعينـا
وكيفَ تطيب الحياة لقومٍ		تُسدّ عليهم دروب المنى
بلادهمُ عرضةٌ للضّيـاعِ		وأمّتهم عرضةٌ للفنـا

يريد اليهود بأن يصلبوهـا   وتأبى فلسطين أن تذعنا
وتأبى المروءة في أهلهـا   وتأبى السيوف ، وتأبى القنا
أأرضُ الخيالِ وآياتـه   وذاتُ الجلالِ ، وذات السنا
تصيرُ لغوغائهمْ مسرحاً   وتغدو لشذّاذهم مكمنا

★

بنفسيَ « أردنُّها » السلسبيل   ومن جاوروا ذلك الأردنا
لقد دافعوا أمس دون الحمى   فكانت حروبهمُ حربنا
وجادوا بكلّ الذي عندهمْ   ونحن سنبذلُ ما عندنا
فقلْ لليهودِ وأشياعهم   لقد خدعتكمْ بروقُ المنى
ألا ليت « بلفور » أعطاكمُ   بلاداً له لا بلاداً لنـا
« فلندنُ » أرحبُ من قدسنا   وأنتمْ أحبّ إلى « لنـدنا »
ومنّاكمُ وطناً في النجـوم   فلا عربيَّ بتلك الدنـى

أيسلبُ قومَكمُ رشدَهـم ويدعوهُ قومكمُ محسنا ؟
ويدفـعُ للموتِ بالأبرياء ويحسـبهُ معشرٌ ديّنـا ؟
ويا عجبـاً لكمُ توغرون على العربِ « التاميز والهدسنا »
وترمونهمْ بقبيـحِ الكلامِ وكانوا أحقّ بضافي الثنـــا
وكلّ خطيئـاتهم أنّهـم يقولون : لا تسرقوا بيتنـا
فليست فلسطين أرضاً مشاعاً فتعطى لمن شاء أن يسـكنا
فان تطلبوها بسمرِ القنـــا نردّكمُ بطوالِ القنـــا
ففي العربيّ صفاتُ الأنامِ سوى أن يخافَ وأن يجبنـــا
وإن تحجلوا بيننا بالخـداعِ فلن تخدعوا رجلاً مؤمنـــا
وإن تهجروها فذلك أولى فإنّ « فلسطينَ » ملكٌ لنـــا
وكانت لأجدادنا قبلنـــا وتبقى لأحفـادنا بعدنـــا
وإنّ لكمْ بسواها غنىً وليس لنـا بسواهـا غنى

فلا تحسبوها لكم موطناً فلم تكُ يوماً لكم موطنا
وليس الذي نبتغيه محالاً وليس الذي رمتمُ ممكنا
نصحناكمُ فارعووا وانبذوا «بليفور» ذيّالك الأرعنا
وإما أبيتمْ فأوصيكمُ بأن تحملوا معكمُ الأكفنا
فإنّا سنجعلُ من أرضها لنا وطناً ولكمْ مدفنا !

الغبطة فكرة

أقبل العيدُ ، ولكن ليس في النـاس المسرّهْ
لا أرى إلاّ وجوهـاً كالحـاتٍ مكفهـرّهْ
كالركايا لم تـدع فيهـا يـد المـاتح قطرهْ
أو كمثلِ الروض لم تترك بـه النكباء زهرهْ
وعيوناً دنّقت فيهـا الأمـاني المستحرّهْ
فهي حيرى ذاهلاتٌ في الذي تهوى وتكرهْ

وخدوداً باهتاتٍ قد كساها الهمّ صُفرهْ
وشفاهاً تحذرُ الضحك كأن الضحك جمرهْ
ليس للقومِ حديث غير شكوى مستمرّهْ
قد تساوى عندهم لليأس نفعٌ ومضرّهْ
لا تسلْ ماذا عراهم كلّهم يجهلُ أمرهْ
حائر كالطائر الخائف قد ضيّع وكرهْ
فوقهُ البازيّ ، والأشراك في نجدٍ وحفرهْ
فهو إن حطّ إلى الغبراء شك السهم صدرهْ
وإذا ما طار لاقى قشعمَ الجوّ وصقرهْ
كلّهم يبكي على الامس ويخشى شرّ «بُكرهْ»
فهمُ مثل عجوزٍ فقدت في البحر إبرهْ

*

أيها الشاكي الليالي إنما الغبطةُ فكره
ربما استوطنتِ الكوخَ وما في الكوخ كسره
وخلتْ منها القصور العالياتُ المشمخره
تلمسُ الغصنَ المعرّى فاذا في الغصن نضره
وإذا رفّت على القفر استوى ماءً وخضره
وإذا مسّت حصاةً صقلتها فهي دره
لك ، ما دامت لك ، الأرض وما فوق المجرّه
فاذا ضيّعتها فالكونُ لا يعدلُ ذرّه
أيها الباكي رويداً لا يسدّ الدمع ثغره
أيها العابسُ لن تعطى على التقطيبِ أُجره
لا تكن مرّاً ، ولا تجعل حياة الغير مرّه
إنّ من يبكي له حولٌ على الضحك وقدره

فتهلّلْ وترنّم فالفتى العـابسُ صخرهْ
سكن الدهرُ وحـانت غفـلة منه وغِرّهْ
إنه العيدُ .. وإن العيد مثـل العرسِ مرّهْ

الفتى الأفضل

(معربة)

مضى زمن كان فيه الفتى يباهي بما قومه أثلوا
ويرفعهُ في عيون الانامِ ويخفض من قدره المنزل
فلا تقعدنْ عن طلابِ العلى وتعذلْ بلادك إذ تعذلُ
فإن الخلائق حتّى عداك متى ما سبقتهمُ هلّلوا
فثابرْ بجدٍّ على نيلها فليس يخيب الذي يعملُ

وكن رجلاً ناهضاً ينتمـي   إلى نفسه عندما يُسـأَلُ
فلستَ الثيابَ التي ترتـدي   ولستَ « الأسامي »التي تحملُ
ولستَ البلاد التي أنبتتك   ولكنما أنت مـا تفعـلُ
إذا كنت من وطنٍ خامـلٍ   وفزت فأنت الفتى الأفضلُ

مَنْ أنا

أنا . من أنا يا ترى في الوجود ؟
وما هو شأني وما موضعي ؟
أنا قطرة لمعت في الضحى قليلاً على ضفة المشرعِ
سيأتي عليها المساء فتغدو كأن لم ترقرق ولم تلمعِ
أنا نغمة وقّعتها الحياة لمن قد يعي ولمن لا يعي
سيمشي عليها السكوت فتمسي
كأن لم تمرّ على مسمعِ

أنا شبحٌ راكضٌ مسرعٌ مع الزمنِ الراكض المسرعِ
سيرخى عليه الستارُ ويخفى كأنْ لم يجدّ ولم يهطعِ
أنا موجةٌ دفعتها الحياةُ إلى أوسعٍ فإلى أوسعِ
ستنحلّ في الشطّ عما قليل كأن لم تدفّعْ ولم تدفعِ
فيا قلب لا تغترِرْ بالشبابِ ويا نفس بالخلد لا تطمعي
فأن الكهولةَ تمضي كما تولّى الشبابُ ولم يرجعِ
ولكنّ فيها جمالاً بديعاً وفيها حنينٌ إلى الأبدعِ
ومَن لا يرَى الحسنَ في ما يراه
فما هو بالرجلِ الألمعي
بني وطني من أنا في الوجود
وما هو شأني وما موضعي ؟
أنا أنتم ان ضحكتم لأمرٍ ضحكتُ، وأدمُعكم أدمعي

ومطربُ أرواحكم مطربـي ومـوجع أكبادكم موجعـي
أمَا نحن من مصدرٍ واحدٍ ألسنا جميعاً إلى مرجعٍ ؟
رفعتم مقـامي وأعليتموه لما قد صنعتُ ولم أصنـعِ
أحقّ بإكرامكم طـائرٌ يغرد في الروض والبلقـعِ
وأولى به كوكبٌ طالـعٌ على سُهّدٍ وعلى هُجّـعِ
أنا واحد منكم يا نجـومَ بلادي متى تسطعوا أسطعِ
فمن قام يمدحني بينكـم فقد تُمدح الكفّ بالاصبعِ
وما الغيث غير الخضمّ ، وليس
الغـدير سوى السحُبِ الهمّـعِ
فلولاكمُ لم أكن بالخطيبِ ولا الشاعرِ الساحر المبدعِ
أنا الآن في سكرةٍ لا أعي فيا ليتني دائمـاً لا أعي
فذي ليـلةٌ بجميع الزمانِ إذا كان في الدهر من أجمعِ

فيا أيها الليـل بالله قـــفْ ويا أيهـا الصبحُ لا تطلـعِ
إذا كنتُ قد بنتُ عن مربعـــي
فإني وجـدتُ بكم مربعـي
يمينـاً سـأحمل في أضلعي هواكمُ ما بقيـَتْ أضلعي
وأشكركم بلسان النسائمِ والروض والجدولِ المترعِ
فلا عذرَ للطـير إمّـــا رأى جمالَ الربيع ولم يسجعِ
إذا لم أكن معَـكم في غدٍ فإني سأمضي وأنتم معي

كمنجة الشوّا

كمنجةَ «الشوّا» عليكِ السلامْ
بهيكل الوحي وعرش الغرامْ
فيكِ التقت أرواح أهل الهوى نجوى وشكوى وبكا وابتسامْ
وأودعتْ فيك الصَّبا همسها وخبّأ الاسرارَ فيك الظلامْ
وذابَ فيك الحبّ ذوب الندى
في مبسمِ الوردْ ِ وجفنِ الخزامْ

رُدّي إلينا اليومَ دنيا الرؤى   فإننا نشقى بدنيا الحطامْ
أجنحةُ الأشواق مقصوصة   أو موثقاتٌ ، والأماني رمامْ
قد انقضى العمر وأرواحنا   مفطومة بالحرص، بئس الفطام
ننأى عن الحسن ونشتاقهُ   ونهجرُ الماءَ ونشكو الأُوامْ
ويبعث الحقلُ الينا الشذى   ونحن لا ننشق إلا الرّغامْ
نسير والأضواء من حولنا   كأننا في هبوةٍ أو قتامْ
والماءُ يجري حولنا كوثراً
ونحن نستسقي السحابَ الجَهامْ
ونسهرُ الليل لغيرِ الهوى   ما تنفع اليقظةُ والقلب نامْ ؟
حتّى نسينا كيف لون الضحى   ولم نعدْ نذكر سجعَ الحمامْ
خير من اليقظة عندي الكرى   إن كانت الغبطةُ بنت المنامْ
خلنا الهوى ترجِعُ أيامهُ   لم يرجع الحبّ ولا المال دام

فيا فتى «الشهباء» يا شاعراً قد رفع الفن لأسمى مقامْ

رجعتَ بالسحر وكان انطوى

وجئتنا بالوحي في غير جامْ

هذا عصير الوحي في آلةٍ خرساءَ يجري فِتَناً للأنامْ

فإن تجدنا حولها عكّفاً فالمنهل العذب كثير الزحامْ

فدغدغ الأوتارَ لا تكترث أن تذهبَ الفتنة بالاحتشامْ

سعادة الأنفس في نشوةٍ من صورةٍ أو نغمٍ أو مدامْ

وقل لمن يحذر أن يشتكي ويحبس الدمع لئلا يلامْ

إسمعْ فهذا وتر نائحٌ وانظر فهذا خشب مستهامْ

★

نيويورك ! يا ذات البروج التي سمت وطالت كي تمسّ الغمامْ

لن تبلُغي واللهِ باب السما   إلا بأوتار كنـار الشـآم
فاصغي إلى ألحانـه لحظـةً   تحتقري كلَّ صنوف الكلام
وتدركي ان قصور المنى   تبقى وتنهدّ قصور الرّجـام
فرحّـبي معنـا به واهتفي: هذا امير الفن ، هذا الإمام!

إذا

إذا جـَدّفتَ جوزيتَ على التجديف بالنـارِ
وإن أحببتَ عُيِّرت من الجـارةِ والجـارِ
وإن قامرتَ أو راهنتَ في النـادي أو الدارِ
فأنت الرجـلُ الآثم عند النـاس والبـاري

★

وإن تسكر لكي تنسى هموماً ذات أوقـارِ

خسرتَ الدين والدنيا ولم تربح سوى العـارِ

★

وإن قلت : إذن فالعيش أوزار بـأوزارِ
وإن الموت أشهى لي إذا لم أقضِ أوطـاري
وأسرعتَ إلى السيف أو السّمِّ أو النـارِ
لكي تخرج من دنيـا ذووهـا غير أحـرارِ
فهـذا المنكَرُ الأعظـم في سرٍّ وإضمارِ
إذن فاحيَ ومتْ كالناسِ عبداً غير مخـتارِ

شَبَح

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين
قالها في حفلة .

بأبي خيال لاحَ لي متلفّـفـاً بعباءةٍ من عهدِ فخر الدين
يمشي على مهلٍ ويرسل طرفـه في حيرةِ المستوحش المحزونِ
من أنتَ يا شبحاً كئيباً صامتـاً ؟
قلْ لي فإنّكَ قد أثرتَ شجوني
أخيالُ خصمٍ أتّقي نزواتهِ ؟ أم أنت يا هذا خيالُ خدينٍ ؟

فأجابني مترفّقاً متحبّباً فسمعت صوت أبٍ أبرّ حنون

★

يا شاعري قلْ للألى هجروني أنا ما نسيتكمُ فلا تنسوني

ما بالكم طوّلتم حبلَ النوى يا ليت هذا الحبلَ غيرُ متينِ

قد طفتمُ الدنيا فهل شاهدتمُ جبلاً عليه مهابتي وسكوني؟

أوَردتمُ كمناهلي ؟ أنشقتم كأزاهري في الحسنِ والتلوين ؟

ولقد تظلّلتمْ بأشجارٍ فهل

رفّتْ غصون فوقكم كغصوني ؟

وسمعتمُ شتّى الطيورِ صوادحاً أسمعتمُ أشجى من الحسّون؟

هل أنبتتْ كالأرزِ غيري بقعة في مجدهِ وجلالهِ الميمونِ ؟

أرأيتمُ في ما رأيتمْ فتنةً كالبدر حين يُطلّ من صنّين

أوكالغزالةِ وهي تنفض تبرها   عند المغيبِ على ذرى حرمون؟
مرّت قرون وانطوت وكأنني   لمحاسني كُوّنتُ منذ سنين
أبليتها وبقيت ، إلاّ أنّني   للشوقِ كادَ غيابكم يبليني

★

لبنانُ ! لا تعذلْ بنيك إذا همُ   ركبوا إلى العلياء كلّ سفينِ
لم يهجروكَ ملالةً لكنّهم   خُلقوا لصيدِ اللؤلؤِ المكنون
ورثوا اقتحامَ البحرِ عن فينيقيا
أمّ الثقافةِ مصدرِ التمدينِ
لمّا ولدتهمُ نسوراً حلّقوا   لا يقنعون من العلى بالدون
والنسر لا يرضى السجون وان تكن
ذهباً ، فكيف محابسٌ من طين

الأرض للحشرات تزحف فوقها
والجوُّ للبازيِّ والشاهينِ

*

فأجابني والدمع ملء جفونه كم ذا تسلّيني ولا تُسليني ؟
أنا كالعرينِ اليوم غاب أسوده وتفرّقوا منه لكل عرين
الأرمنيّ على سفوحي والربى يبني الحصونَ لنفسه بحصوني
وبنو يهوذا ينصبون خيامهم في ظلّ أوديتي وفوق حزوني
وبَنيَّ عني غافلون كأنّني قد صرتُ في الأشياء غيرَ ثمين
أنتم ديونٌ لي على أميركا ومن المروءةِ أن تردَّ ديوني
أوَ ليس من سخرِ القضاء وهزئه
أن يأخذَ المثري من المسكين ؟
عودوا فأنّ المالَ لا يغنيكمُ عنّي ولا هوَ عنكمُ يغنيني

★

فشجيتُ ممّا قاله لكنّني   لمّا رأيتكمُ نسيت شجوني

لبنان فيكم ماثل إن كنتمُ   في مصر أو في الهند أو في الصين

ان بنتمُ عنهُ فما زال الهوى   يدنيكمُ منهُ كما يدنيني

وحراككم لعلائهِ وسكونكم   وإلى ثراه حنينكم وحنيني

لو أمست الدنيا لغيري كلّها   ورُبَاهُ لي ما كنت بالمغبون

أنا في حماكم طائر مترنّم   بين الأقاحِ الغضّ والنسرين

أنتم بنو وطني وأنتم إخوتي   وانا امرؤٌ دينُ المحبةِ ديني

أنا وابني

قال لي ابني وهوَ حيران بمـا يُحكى ويُقرا
كيف كان الله ؟ إنّي قد وجدتُ الله سرّا
أسمعُ الناسَ يقولون بـهِ خـيراً وشرّا
فأفدْني . قلت : يا ابني أنا مثلُ الناسِ طُرّا
ليَ في الصحّة آراء وفي العلّةِ أخـرى
كلّما زحزحتُ ستراً خِلتني أسدلُ سترا

لستُ أدرى منك بالأمرِ ولا غيريَ أدرى

★

أحسبُ الله الذي صاغَ من الذرّاتِ صخرا
والذي شاءَ فصارت قطراتُ الماء بحرا
والذي شاءَ فضمّ البحرُ أصدافاً ودرّا
وأراد الضوء أجراماً فصارَ الضوء زُهرا
إنّ هذا اللهَ لمّا شاء هذا كان «فكرا»،

★

ثمّ لمّا نظمَ الألوان في الأرض زهورا
ورأى أن يُعلنَ الحبّ غناءً وحبورا
فتمشّى في حواشي الأرضِ سحراً وعطورا
وتهادى في حواشي الأفقِ أطيافاً ونورا
عندماَ أوجدَ هذا كان «حسّاً وشعورا»

★

مَنْ أحبّ الله جبّـاراً وفتّاكـاً وقاهرْ
فأنا أهواهُ رسّامـاً وفنّانـاً ، وسـاحرْ
وأراهُ في النـدى والزهرِ والشّهبِ السوافرْ
فإذا الأنجمُ غـارت وانطوت كلّ الأزاهرْ
وتلاشى كلّ ما أنشـا وسوّى من مَـناظرْ
لاحَ لي في حسنهِ الأكملِ في ديوان شـاعرْ

عبد الله البستاني

يا ميّتاً فيه جمالُ الحياةْ ما حاز منك اللحدُ إلا الرفات

أنتَ الفتى الباقي بآثارهِ ما أنت بالمرء إذا مات ماتْ !

وكيفَ يمتدّ اليك الردى وذاتُك الحسناء في ألف ذات ؟

إذا اختفى في الورد لون الضحى

فالذنب ذنب الأعين الناظراتْ

يصوّحُ الزهرُ ويبقى الشذى   ويذهب المرء وتبقى الصفاتْ

★

يا نائمـاً   أغفى   عن   الترّهـات

إني   وجدتُ   الموت   في   الترّهـاتْ

أإن مضى الشيء نقول انقضى   إذن فمن أين تجيء الحيـاة ؟

أليس دنيا الصحو دنيا الكرى   ومثل ظلّ العيشِ ظلّ المات ؟

تتسّم الأشياء أفهامُنـا   وليست النخلةُ إلا النـواة

وفي الغدِ الأمسُ ولكنّنـا   للجهل قلنا : الدهر ماضٍ وآت

بعض الردى فيه ِ نجـاة الفتى   وربما كان الردى في النجـاةْ

★

يا قرويّاً عظمتْ نفسـهُ   حتى ترضّتها نفوس العتـاة

وحسدتْهُ الصِّيدُ في كوخـهِ   وحسدت قريتَهُ العـاصمات

تلك السـجايا لم تزل بيننـا   ساطعةً كالأنجم الزاهرات

وعلمك الزاخرُ باقٍ لنـــا   ما بقيتْ في الأرض أمّ اللغات

في أنفس الناس وألبابهــم   وفي بطونِ السِّيَر الخالداتْ

وفي تلاميذك أهلِ الحجـى   والأدب الجمّ الجميل السمات

من شاعرٍ كالروضِ أشعاره   تسمع همسَ الحبّ فيه الفتاة

وسامرٍ تحسبُ أقوالَـــهُ   مسروقةً من مقلِ الغانيات

وكاتبٍ تشرق ألفاظـــه   كالدررِ المختارة المنتقـاة

وصحبٍ أخلاقهم كالمنى   يروون عنك الحكمَ الغاليات

لم يخترمك الموت يا دوحـةً   باسقةً قد خلّفتْ باسقـاتْ

★

يا حجّة الفصحى ودهقانَهـا   وبحرها الطامي وشيخَ الثقات

« الضاد » من بعدك في مأتمٍ   حاضرها والأعصر الغابرات
فليس في لبنان غير الاسى   وليس غير الحزن حول الفرات
فمن يعزّي جبلاً واحـــداً   عزّى الرواسي في جميع الجهات

*

سلختها سبعين من أجلهـــا   في عالم الطرسِ ودنيا الـدواة
الناس من حولك في قيلهم   وأنت كالعابدِ وقت الصلاة
غنيتَ بالضاد وأسرارهـــا   عن الغواني والطلا والسقـاة
أنت الذي ردّ اليها الصبـــا   إنّ الهوى يجترح المعجـزات
فاختلجتْ أوضاعها بالمـنى   وجاء ماء الحسنِ في المفردات
ولهجت باسمك آفاقهـــا   ورددته في البوادي الحداةْ
وحنّت النوقُ إلى سمعه   وطربتْ من ذكره الصافنات
فيا شــباباً يطلبون العــلى   إن العلى للأنفس الماضيات

ويا فقيراً يتمنّى الغـــنى هلاّ تمنيتَ غنى المكرمات؟
ويا سراةً يبــذلون اللُّهـــى هذا فقيرٌ كان يعطي السراة!
من روحهِ لا فيض أموالـهِ إنّ هبات الروح أسمى الهبات
لا يقتضي قـــاصدهُ حمــدهُ
ويشكر العافي الذي قال: هـــات
وإن مضى العافون عن بابِه سارت عطاياه وراء العفـاة
فكان كالكوكبِ يمشي على ضيائه الركبُ وذئبُ الفـلاة
وكان كالغيث إذا مـا همـــى
أصاب في الارض الحصى والنبات
وكان كالينبوعِ يرتـــادهُ ذو الشيم الحسنى وذو السيّئات
وكالفضاءِ الرحبِ في حلمهِ يضطربُ البازي به والقطاة

✱

يا صاحبَ «البستان» نَمْ آمنـاً
فإنّ في الموت زوالَ الشـكاةْ
ما غـاب مـاءٌ غـاب تحت الثرى
فأطلـعَ النبتَ وأحيـا المواتْ

فلوريدا

يا جنّةً قبلما حلّت بها قدمي أحببتها قصّة واشتقتُ راويها
كانت لها صورةٌ في النفسِ حائرة
مثل القصيدةِ لم تُنسجْ قوافيها
وددتُ لو أنّها تمّتْ فيبصرَها
غيري وتسكرهُ مثلي معانيها
وكيف تكمل في ذهني ولم أرَها
وما لصورتها شيءٌ يحاكيها ؟

وأيّما نغمةٍ أدّى عذوبتهـــا كلامُ راوٍ ولا شادٍ يغنّيهـــا

أأنشـقُ العطرَ لم أهبطْ خمائلهـــا ؟
وأشربُ السحرَ لم أسمع قماريها ؟

وتصعدُ النفسُ منّي للسماء ولا
حبـــالٌ نورٍ تدلّت من دراريها ؟

كانت سـعادةُ نفسي في تصوّرهـــا
والنفس يُسعدهـــا وهمٌ ويُشقيها

بالوهمِ توجد دنيا لا وجود لهـــا
وتنطوي عنك دنيـــا أنت رائيها

فكم ظمئتُ وفي روحي جداولهـــا
وكم رويتُ وغيري في سواقيهـــا

قد كنت من قبل مثلَ الناس كلّهمِ
أقول إنّ إلـهَ الكون باريهـا
حتى نظرتُ اليها في جلالتها فصار كلّ يقيني أنّه فيها !
لمّا رأيتُ الجمال الحق أدركني زهدٌ بكلّ جمال كان تمويها
كأنّما الحورُ مرّت في شواطئها في ليلةٍ طفلةٍ رقّت حواشيها
ففي الرمالِ سناء من تضاحكها وفي المياه أريج من أغانيها
أتيتها بشبابٍ ضاع أكثرهُ وغيّبته الليالي في مطاويها
فاسترجعَ الحبّ قلبي فهوَ مغتبط
وعادتِ الروحُ خضراءً أمانيها

*

سُئلتُ ما راق نفسي من محاسنها ؟
فقلتُ للناس : باديها وخافيها

وما حببتَ من الأشجار ؟ قلت لهم :
إنّي افتتنتُ بكاسيها وعاريها
وما هويتَ من الأزهار ؟ قلت لهم :
الحبّ عندي لناميها وذاويها
قالوا : وما تتمنّى ؟ قلت مبتدراً :
يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها
فربَّ أنشودةٍ من بلبلٍ غردٍ
حوتْ حكاية حبٍّ خفتُ أحكيها
وربَّ روحٍ كروحي في بنفسجةٍ
وسْني أطلّت على روحي تناجيها
وربّ قطرةِ ماءٍ لا غناء بها
شاهدتُ مصرع دنيا في تلاشيها

كلّ الذي لاحَ لي في أرضها حسنٌ
وأحسنُ الكلّ في عيني أهاليها
إلا ذوي السُّحَنِ السوداء واعجباً
أجنّةٌ وذبابٌ في نواحيها ؟
إني ليكبتُ روحي أن ألاحظَهم
بمقلةٍ أبصرت فيها غوانيها
دعِ المساوىءَ في الدنيا فما برحت
فيها محاسنُ تنسينا مساويها
كم حاولَ الليلُ أن يطوي كواكبَه
فكان ينشرها من حيث يطويها
واذكرْ أكارمَ قومٍ طاب عنصرهم
وأشبهوا بسجاياهم أقاحيها

بني بلادي! وفيكم من خمائلها جمالها والتسامي من روابيهـــا
تسلّتِ النفسُ عن أحبابها بكمُ لولاكمُ لم يكن شيءٌ يُسلّيها
أكرمتموني فشكراً غيرَ منقطــعٍ
دوامُ شــكركَ للنعماء يبقيهـــا

بَيْنَ مدٍّ وجَزر

ألقاها في حفلة تكريم صديقه
الشاعر جورج صيدح عندما
زار نيوريورك .

سيّرت في فجرِ الحياةِ سفينتي
واخترتُ « قلبي » أن يكونَ إمامي
فجرَتْ على الأمواج قصراً من رؤى
ملء الفضا ملء المدى المترامي

وأقلّ منها البحرُ حين أقلهـا دنيا من الأضواءِ والأنغـامِ
ومشى الخيالُ على الحياةِ بسـحرهِ
فاذا الهوى في المـاء والأنسـامِ
وإذا الرمالُ أزاهرٌ فوّاحـةٌ والشطّ هيكلُ شاعرٍ رسّامِ
وإذا العبـابُ ملاعبٌ ومراقصٌ
وإذا أنا مـن صبوةٍ لغـرامِ
أتلقّفُ اللذّاتِ غيرَ محاذرٍ وأعبّ في الزلاّتِ والآثـامِ
لا أكتفي وأخاف أنّي اكتفي فكأنّما في الاكتفاءِ حِمامي
وكـأنّ هديي أن تطولَ ضلالتي
وكـأنّ ريّي أن يـدومَ أوامي
مرّت بيَ الأعوامُ تتلو بعضهـا
وأنا كأنّي لستُ في الأعوامِ

كالموجِ ضحكي ، كالضياءِ ترنّحي ،
كالفجرِ زهوي ، كالخضمِّ عرامي
حتى إذا هتفَ المشيبُ بلمّتي
ودنتْ يدُ الماحي إلى أحلامي
صرخ « الحجى » بي ساخطاً متهكّماً :
« هذا الغنى شرٌّ من الاعدامِ »
« أسلَمتَني للقلب وهو مضلّلٌ
فأضرّني وأضرّكَ استسلامي »
« يا صاحبي اطلقني من سجن الرؤى
أنا تائهٌ ! أنا جائعٌ ! أنا ظامي ! »
وأرادَ « عقلي » أن يقودَ سفينتي
للشطِّ في بحرِ الحياةِ الطامي

فطويتُ أعلامَ الهوى وهجرتُها
ونسيتُ حتى أنّها أعـــلامي !

وحسبتُ آلامي انتهت لمّا انتهى
فإذا النهـــاية أعظـمُ الآلامِ

وإذا الطريق مخاوفٌ ووساوسٌ وإذا أنا من هبوةٍ لقتـــامِ

أبغي الثراءَ ولم يكن من مطلبي وأرى الجمالَ بناظرٍ متَعـــامِ

وأشيدُ مثلَ الناسِ مجداً زائفاً
وأشدّ حولَ الروحِ ثوبَ رَغـــامِ

فإذا أنا والأرضُ ملكي والسما ،
قد صرتُ عبدَ الناسِ عندَ حطامي

فتضايقَ القلبُ السجينُ وقال لي :
« يا أيّها الجاني قتلتَ هيامي ! »

« القفرُ بالأحلامِ روضٌ ضاحكٌ
فإذا تلاشتْ فالرياضُ موامي »
« أينَ العيونُ تذيبني حركاتهـا
وتموتُ في سكَنَاتها آلامي »
« وأطلّ من أهدابها السكرى على
ظلٍّ ، وأنداءٍ ، وزهرٍ نـامِ »
« لمّـا عصاني أن أشبّ ضرامهـا
أعيـا عليها أن تشبّ ضرامي »
« الخمر ملء الجامِ لكن قد مضى
شوقي إلى الخمرِ التي في الجامِ »
« أسلَمتَني « للعقل » وهو مضلّلٌ
فأضرّني وأضرّكَ استسلامي »

« أنظرْ ألستَ تراكَ في أوهامـهِ
أشقى وأتعس منكَ في أوهـامي »
« المال! من ذا يشتريهِ كلّـهُ منّي بليلِ صبابةٍ وغرامِ ؟ »
« يا صاحبي أطلقْني من سجن النهى
أنا تائه ! أنا جائعٌ ! أنا ظامي »

★

لا تسألوني اليومَ عن قيثارتي قيثارتي خشبٌ بلا أنغامِ !
يا شاعراً غنّى فردّ لي الصبا فإذا مواكبهُ تسيرُ أمـامي
إنّا التقينا في الشبابِ وفي الهوى في حومتينِ — الشعرِ والالهامِ
وسنلتقي وإن افترقنا في غـدٍ في حبِّ لبنانٍ وحبِّ الشامِ
وستلتقي روحي وروحكَ بعدما تفنى الهياكلُ في الالهِ السامي

أهلاً بذي الأدبِ الصراح المصطفى
بالفـاتحِ الروحيِّ بالمقـدامِ
بالشاعرِ الغرِّيدِ في ألحانـهِ عبقُ الربيعِ ونضرةُ الأكمامِ
هو إن ذكرتَ الشعرَ من أمرائـهِ
وإذا ذكرتَ المجدَ فهوَ عصامي

مستشفى تل شيحا

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة
المستشفى في مدينة دترويت .

أباعثةَ المطايا من حديـــدٍ كأسرابِ القطا للعالمينــــا
ركائبُ في فجاجِ الأرضِ تسري
تقـلّ الذاهبـينَ الآيبينــــا
تقصّ على المدائن والقرايـا حكاية قومكِ المستنبطينـا

وكيف العقلُ يخلق من زريٍّ مهينٍ ، لا زريّ ولا مهينا
وينفخُ في الجمادِ قوىً وحسّاً فيركضُ تارةً ويطيرُ حينا
ويهتفُ بالقصائد والأغاني وقد ذهبَ الردى بالمنشدينا
لقد حسدتكِ أمّ الفن « روما »
كما حسدتكِ ضرّتها « أثينا »
فمجدكِ فوق مجدهما علاءً وحسنكِ فوق حسنهما فتونا
نزلنا في حماكِ فقرّبينا وباركنا ثراكِ فباركينا
فما لطاعةٍ بنضار « فوردٍ » وفضّته اليكِ اليوم جينا
فما هوَ في سماحتهِ « كمعنٍ » وليستْ نوقهُ للذابحينا
ولكن فيكِ إخوانٌ هوينا لأجلهم جميعَ الساكنينا
أحبّونا كأنّهمُ ذوونا وأنسونا بلطفهمُ ذوينا
وعاهدناهمُ إذْ عاهدونا فلمْ ننكث ولا نكثوا يمينا

إذا غضبوا على الدنيا غضبنـا وإنْ يرضوا على الدنيا رضينا
دعاهمْ للعلى والخير داعٍ من « الوادي » فلبّوا أجمعينا
أيخذلُ « جارةَ الوادي» بنوها معاذَ اللهِ هذا لن يكونـا
فما لاقيتُ « زحليّـاً » جبانـاً ولا لاقيتُ « زحليّاً » ضنينا
تأمّلْ كيف أضحى « تلّ شيحا »
يحاكي في الجلالة « طور سينـا »
فعن هذا تحدّرتِ الوصايـا وفي هذا وجدنا المحسنينـا
على جنباتهِ وعلى ذراهُ جمالٌ يبهرُ المتـأمّلينـا
فلمْ أرَ مثلهُ للخيرِ دنيـا ولمْ أرَ مثلَهُ فتحاً مبينـا
فيا أشبالَ « ابنان » المفدّى ويا إخواننا وبني أبينـا
ترنّحَ عصركمْ فخراً وهشّت ، لصنعكمُ عظـامُ المائتينـا
تبارى الناسُ في طلبِ المعالي فكنتمْ في المجالِ السـابقينا

بنى الأهرام «فرعون» فدامت لتخبرَ كيف كان الظالمونـــا
وكم أشقى الجموعَ الفردُ منهم
وكم طمسَ الألوفَ لكي يبينا
وشـــدتم معهـــداً في « تلّ شيحا »
ســـيبقى ملجـــأ للبائســـينا
يطلّ الفجرُ مبتسماً عليـــــه ويرجـــعُ مطمئنّاً مستكينا
ويمضي يملأُ الوادي ثناءً عليكم والأباطحَ والحزونـــا
أرى غيثين يستبقان جـــوداً هما مطرُ السما والغائثونـــا
لئن حجبَ الغمامُ الشمس عنّا فلم يطمسْ ضياءَ اللهِ فينـــا
ولم يسترْ سبيلَ الخيرِ عنكـــم ولم يقبضْ أكفَّ الباذلينـــا
وجدتُ المرءَ حبُّ الخـــيرِ فيـــه
فإنْ يفقدهُ صـــار المرءُ طينـــا

تكمّش في الحقولِ الشوكُ بخلاً
فذلّ وعاشَ مكتئباً حزينا
وأسنى الورد ، إذْ أعطى شذاهُ ،
مكانتَهُ فكنْ في الواهبينا
سألتُ الشعرَ أن يثني عليكم فقالت لي القوافي : قد عيينا
سيجزيهم عن البؤساء ربٌّ يكافئ بالجميلِ المحسنينا

أفاتحة أم ختام

قالها في رثاء الاسقف
عمانوئيل أبو حطب .

ما وعظ الانسانَ مثلُ الحِمامْ
فليتّعظ بالصمتِ أهلُ الكلامْ
أفصحُ من كلّ فصيحٍ بنا هذا الذي أعياهُ ردّ السلام
إنّي أراهُ وهوَ في صمتهِ أروعَ من جيشٍ كبيرٍ لهامْ

قامت جفونٌ سهرت للعلى
من قبلِ أن ينجابَ جنحُ الظلامْ
وسكّنَ الوثّابُ في صدرهِ
من قبل أن يدركَ كلَّ المرامْ
يا لهفةَ القومِ على كوكبٍ لاحَ قليلاً واختفى في الغمامْ
ولهفةَ الدين على سيّدٍ
كان يرجّى في الخطوبِ الجسامْ
وصاحبٍ قد كان في صحبهِ
كالروضِ فيه أرجٌ وابتسامْ
ما غابَ عنّا وكأنّي بهِ يفصلهُ عن صحبهِ الف عام
مَن الذي يطفىء من بعدهِ
في المهجِ الحرّى ذكيّ الضرام ؟

مَن الذي يمسحُ دمعَ الأسى
وماسحُ الأدمعِ تحتَ الرغامْ

يا نائماً مستغرقاً في الكرى خطبكَ قد أقلقَ حتى النيام
خبّرْ فإنّ القومَ في حيرةٍ هل الردى فاتحةٌ أم ختام

وهل صحيحٌ أنّ كلّ المنى
يطحنها صرف الردى كالعظام ؟
وهل حقيقٌ أنّ أهلَ العلى
والفضلِ بعدَ الموتِ مثل الطغام ؟

أمْ بعد هذا يقظةٌ حلوةٌ ينسى بها المرء الشقا والسقام؟
ويصبحُ التايهُ في مأمنٍ من عنَتِ المال وعبثِ الحسام؟
وتستوي الحالاتُ في حالةٍ لا حيفَ فيها لا أذى لا انتقام؟

خبتْ ، وحدّثْ ، كلّنا حائرٌ

ذو الجهلِ منّا والأريبُ الهمامْ

لأيّما أمرٍ يعيش الورى ؟ لأيّما أمرٍ يموتُ الأنامْ ؟

وأين دارٌ ليسَ فيها شقا إن لم تكن هاتيك دارَ السلام ؟

نمْ آمناً ، فالمرء بعد الردى كالفكر ، لا يزرى به لا يضامْ

الأسطورة الأزليّة

توطئة

كان زمانٌ لم يزلْ كائنــاً وحالةٌ مــا برحت باقيهْ
ملّ بنو الانسان أطوارهــم وبرموا بالسقمِ والعافيهْ
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا لو أنّهُ كوّنهم ثانيــهْ
وبلغتْ أصواتُهم عرشَـهُ في ليلةٍ مقمرةٍ صافيــهْ
فقال إنّي فاعلٌ مــا اشتهوا لعلّ فيهِ حكمةً خافيــهْ

وشاهدوهُ هابطاً من علٍ فاحتشدوا في السهل والرابيه
من القرى القانعةِ الطاويه والمدنِ الجامحةِ الغاويه
تألّبوا من كلِّ صوبٍ كما تجتمع الأمطار في الساقيه
يسابق الصعلوكُ ربَّ الغنى والأبلهُ الباقعةَ الداهيه
ويدفعُ الشيخُ التوى عودُهُ وصار مثلَ الرمّةِ الباليه
فتىً مضى الفجر ولمّا تزلْ روعتهُ في وجههِ باقيه
وتزحم الحسناءَ ممكورةً خلاّبةً كالروضة الحاليه
دميمةٌ تشبهُ في قبحها مدينةً مهجورةً عافيه
فصاح ربّ العرش: ما خطبكم ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكمُ عاقراً؟ أم غارت الأنجمُ في هاويه ؟
أم أقلعَ الماءُ فلا جدولٌ ؟ وماتت الطيرُ فلا شاديه ؟
أم فقدتْ أعينكم نورَها ؟ أم غشيَت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ؟ إن لم يكن قد قضى
فكلّ جرحٍ واجـدٌ آسـيةْ

الفتى

قال الفتى : يا ربّ انّ الصبا مصدرُ أحزاني وآلامـي
ألبستنيهِ مونقـاً بعدمـا أبلاهُ أخوالي وأعمـامي
وصار في مذهبهم عصرهُ فـترةَ زلاّتٍ وآثـامِ
فاختلفت حالي وحالاتهـم كـأنّني في غير أقوامي
وصرتُ كالجدولِ في فـدفـدٍ
أو شـاعرٍ مـا بـين أصنـامِ

والأخضرِ المــورقِ في يابسٍ

أو مثلِ صاحٍ بين نــوّامِ

دنياهمُ دنيــايَ لكنّمــا أعلامهم ليست كأعــلامي

عندهم الروضةُ أشبارُهــا والروضُ عندي الزهَرُ النامي

والطيرِ لحمٌ ودمٌ عندهم وليس عندي غيرَ أنغــامِ

سُكري بها أو بالندى والشذى وسكرهم بالخمر في الجــام

يســخرُ قلبـي بليــاليهمِ ويسـخرُ الـدهرُ بأيّامــي

كــأنني جئت لتبكيتهــم كأنّهم جــاءوا لإيلامــي

عبءٌ على نفسيَ هذا الصبــا ألجائشُ المستوفزُ الطامي

يزرع حولي زهَرَاتِ المنى وشوكها في قلبيَ الدامي

فانٍ له في كلِّ فانٍ هــوىً فانٍ ، ولا ينجو من الذامِ

خذه ، وخذ قلبي وأحلامه فإنّــني أشـقى بأحلامــي

ومرّ يمرّ الدهرُ في لحظـــةٍ كالطيف أو كالبرقِ قدّامي
وازرع نجومَ الشيب في لمّتي فينجلي حندس أوهــامي
فأبصرَ الحكمةَ في ضوئـــه إنّي اليها جـــائع ظامـــي

الشيخ

وجاء شيـخٌ حائرٌ واجـفٌ مشتعلُ اللمّة بالي الاهــابْ
كـأنّـما زلزلةٌ تحتـــهُ لما به من رعشةٍ واضطراب
فصاح : يا ربّــاه خـذْ حكمتي
واردد على عبـدك عصرَ الشـباب
إنّ اماني الروحِ أزهارُهـــا وإنّ روحي اليومَ قفرٌ يباب

لا جدولٌ لا بلبلٌ منشدٌ بلى بها الوحشة والاكتئاب

تلك الأمانيّ على كذبهـــا لم تكن اللذّة فيها كذابْ

زالت ومـا زالت ، وإنّ الشـقا

أن تُطمسَ الآيُ ويبقى الكتـابْ

وتُسلبَ السرحةُ أوراقَها ولم تزل أعراقهـا في الترابْ

كنت غنيّـاً في زمـان الصبـا

وكنت صفرَ الكفّ صفر الوطـابْ

صحوت من جهلي فأبصرتني كأنّني سفينةٌ في العبـابْ

قيل لها في البحر كل المنى فلم تجد في البحر إلاّ الضبابْ

نأت عن الشـطّ ولم تقـترب

شبراً من السرّ الذي في الحجـابْ

ولو ترجّي أوبةً لاشتفـت لكنّها عزّ عليهـا الاياب

مرْ تقف الأيامُ عن سيرها فإنّها تركض مثلَ السحاب
وضعْ أمامي ، لا ورائي المُنى
وطوّل الدربَ وزِد في الصعاب
ما لذّتي بالماء أروى به
بل لذّتي في العدو خلف السراب

الحَسْناء

وقالت الحسناءُ : يا خالقي وهبتَني الحسنَ فأشقيتني
وجهي سنيٌّ مشرقٌ إنّما
مرعى عيونِ الخلق وجهي السني
حظّيَ منه حظّ ورد الربى من عطرهِ الفوّاحِ والسوسن

ومثل حظِّ السرو في فيئـــهِ والطيرِ من تغريدها المتقـــنِ
ومثل حظِّ النجمِ من نورهِ في الحندسِ المعتكرِ الأدجن
للقائـــلِ الفيءُ . وللســـامعِ التغريدُ ، والزهرة للمجتني
والنور للمدلـــجِ والمجتـــلي والدرّ للقـــانص والمقتـــني
كم ريبةٍ دبّت إلى مضجعي وتهمةٍ حامتْ على مســـكني
كـــأنّما لا أدبٌ ممكـــنٌ مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقتْ نفسي فويلٌ لها والويلُ لي إن رجلٌ حبّـــني
السمّ والشوك وجمرُ الغضـــا أهونُ من كاشحة الألســـن
كم تقتفيني نظراتُ الخنـــا ويليَ من خائنةِ الأعـــين
لم يبقَ في روحيَ من موضعٍ يا ربِّ لم يخدش ولم يُطعـــنِ
إنّ الغنى في الوجه لي آفـــة يا ليتني دميمـــةٌ ليتني !

الجارية

وسكتتْ ، فصاحت الجاريهْ　　باكيةً من بؤسها شاكيه
ذنبي إلى هذا الورى خلقتي　　فهل أنا المجرمةُ الجانيه ؟
إن أخطأ الخزّافُ في جبله　　الطينَ فأيّ الذنب للآنيه
أليس مَنْ يسخرُ بي يزدري　　بالقوّة الموجدة الباريه ؟
لو كنتُ حسناءَ بلغت العلى　　فللجمال الرتبةُ العاليه
وباتَ مَنْ أسجدُ قدّامه　　صاغرةً يسجد قدّاميه
فإنّني في ملأٍ ظالمٍ　　أحكامهُ جائرةٌ قاسيه
ليس لذات القبح من غافرٍ　　وفيه مَن يغفر للزانيه
نفسيَ جزءٌ منك يا خالقي　　وإنها عاقلةٌ راقيه
أليس ظلماً وهي بنت العلا　　ان تكُ بالقبح إذن كاسيه
فليكنِ الحسنُ رداءً لها　　ترفلْ به أو فلتكن عاريه

الفقير

وأقبل الصعلوكُ مسترحماً في مقلتيه شبحُ اليـــأس
يصرخُ يا ربّاهُ حتى مـتى تحكّم الموسرَ في نفسي ؟
وتضعُ التاجَ على رأســه وتضعُ الشوك على رأسي ؟
وتتجلّى الشهبُ في ليلـه ضاحكةً كالغيد في عرس
ويتوارى في نهاري السـنا أو يتبدّى حانقَ الشمس
يا ربِّ لا تنقله عن أنســه وإنّما انقلني إلى الأنــس
فإن تشأ أن لا يذوقَ الهنــا قلبي فجرّدني من الحسّ
لو لم يكن غيريَ في غبطـــةٍ ما شعرت روحيَ بالبــؤسِ

الغَنِي

وقــال ذو الثروة : مــا أشتهــي

لا أشــتهــي انّيَ ذو ثــروة

أنفقتُ أيّامي على جمعهــا وخلتني أدركتُ أمنيّـــتي

فاستعبدتني في زمان الصبا واوقرتْ بالهمّ شيخوختي

قد ملَكَتني قبلما حزتها وملكتَني وهيَ في حوزتي

كنحلةٍ أمسكها شهدهــا من الجناحين فلم تفلتِ

حسبتها تكسبني قــوّةً فافترستْ قوّتهــا قوّتــي

جنتْ على نفسي وأحلامهـــا جنايةَ الشوكِ على الوردة

ينمو فتذوي فهيَ علّيقـــةٌ يحذرهــا الطائف بالروضة

مَن قائلٌ عنّي لمن خالني أمرحُ من دنيايَ في جنّة

لا تنظرِ الأضواء في حجرتي وانظرْ إلى الظلماء في مهجتي

ولا يغُرنّك قصري فما قصري سوى سجنٍ لحريّتي

إنّيَ في القصر الرفيع الذرى كطائرٍ – في قفصٍ – ميّت

كم في عبابِ البحر من سابحٍ قد مات ظمآناً إلى قطرة

موتُ الطوى شرّ ولكنّما أفظعُ منهُ الموتُ بالتخمة

كم من فقيرٍ مر بي ضاحكاً كأنّما يسخرُ من كربتي

رأيتهُ بالأمس من كُوّتي فخلتني أنظرُ من هوّة

وكنتُ كالحوت رأى موجةً ضاحكةً ترقصُ كالطفلة

أو حيّةً تدبّ في منحسمٍ ترنو إلى فراشةٍ حُرّة

قد اختفت ذاتيَ في بردتي فما يرى الخلقُ سوى بردتي

فهمْ إذا ما سلّموا سلّموا على خيوطِ البردِ والجبّة

ربّاه أطلقْ من عقال الغنى روحي ، فإنّي منهُ في محنة!
وانزعْ مع الدينارِ من قبضتي صلابةَ الدينارِ من سحنتي
وحوّلِ المالَ إلى راحةٍ وحوّلِ القصرَ إلى خيمةِ

الأبله

وصرخ الأبله مستفسراً
ما القصدُ من خلقي كذا ما المرادْ ؟
ألم يكنْ يكملُ هذا الورى إلاّ إذا أوجدتني في فسادْ ؟
لي صورةُ الناس وحاجاتهم من مطعمٍ أو مشربٍ أو رقاد
لكنّ لبّي غيرُ ألبابهمْ فإنّه مكتنفٌ بالسوادْ
يعجزني إدراك ما أدركوا كأنّ عقلي فحمةٌ أو رمادْ

إن كنتُ «إنساناً» فلِمْ يا ترى
لستُ بادراكي كباقي العبادْ ؟
أو لم أكنْ منهم فمرني أكنْ جرادةً أو أرنباً أو جوادْ
فالندّ لا يعدم من ندّهِ ذريعةً للسلم أو للجهادْ
لا تسخرُ النملةُ من نملةٍ وليس يزري بالقرادِ القرادْ
أم أنت كالحقلِ على رغمهِ ينمو مع الحنطةِ فيه القتادْ ؟

الأريب

وجاء بعد الأبلهِ المستريبْ الألمعيُّ العبقريُّ اللبيبْ
فقال : إنّي تائهٌ حائرٌ أنا غريبٌ في مكان غريبْ
أبحثُ عن نفسي فلا أهتدي وليس يهديني اليها أريب

أنا عليمٌ حيث لا عـالمٌ   انا لبيبُ عند غيرِ اللبيبْ
لو أنني كنتُ بلا فطنـةٍ   سرت ولم تكثر أمامي الدروبْ
وكان عقلي كعقول الـورى   وكان قلبي مثلَ باقي القلوبْ
وصار عندي كالنجومِ الورى   فلا عدوّ فيهمِ أو حبيـبْ
ولم أجـدْ في ضحكهم والبكـا
شـيئاً سوى الضحك وإلا النحيبْ
ولم اسائلْ كوكباً طالعـاً   ما لك تبدو ولمـاذا تغيبْ
ولم أقف في الروض عنـد الضحى
يذهلـني لونٌ وشـكلٌ وطيبْ
ولم أقـلْ مـا كنتُ من قبلمـا
كنتُ ولا ما في سجلِّ الغيوبْ
ما العقلُ يا ربُّ سوى محنـةٍ   لولاه لم تُكتبْ عليَّ الذنوبْ

الخاتمة

لمّا وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهونْ
فاستبشر الشيخ ،وسُرّ الفتى والكاعبُ الحسناءُ ،والحيزبون
لكنّهم لما اضمحلّ الدجى لم يجدوا غيرَ الذي كانا !

*

همْ حدّدوا القبح فكان الجمالْ
وعرّفوا الخيرَ فكان الصلاحْ
وليس من نَقصٍ ولا من كمالْ
فالشوك في التحقيق مثل الأقاح
وذرّةُ الرملِ ككلّ الجبالْ وكالذي عزّ الذي هانا !

إيليا أبو ماضي

تِبْرٌ وتُرابٌ

شعر

وَطنُ النجوم

وطنَ النجوم .. أنا هنا حدّق.. أتذكر من أنا ؟
ألمحتَ في الماضي البعيد فتىً غريراً أرعنـا
جذلان يمرح في حقولك كالنسيم مدندنـا
المقتنى المملوكُ ملعبهُ وغـير المقتنى !
يتسلق الاشجار لا ضجراً يحسّ ولا ونـى
ويعود بالاغصان يبريهـا سيوفـاً أو قنـا

ويخوض في وحل الشتا متهللاً متيمّنا
لا يتقي شر العيون ولا يخاف الالسنا
ولكم تشيطن كي يقول الناس عنه «تشيطنا»

★

أنا ذلك الولدُ الذي دنياه كانت ههنا !
أنا من مياهك قطرةٌ فاضت جداولَ من سنا
أنا من ترابك ذرّةٌ ماجت مواكبَ من منى
أنا من طيورك بلبلٌ غنّى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقةَ والبشاشة من ربوعك للدنى
كم عانقت روحي رباك وصفّقت في المنحنى ؟
للأرز يهزأ بالرياح وبالدهور وبالفنا
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدّنا

للّيل فيك مصلّيـــاً		للصبح فيك مؤذّنـا
للشمس تبطئ في وداع		ذراك كيلا تحزنـــا
للبدر في نيسان يكحل		بالضيـاء الأعينــا
فيذوب في حدق المهى		سحراً لطيفاً ليّنـا
للحقل يرتجل الروائع		زنبقـاً أو سوسـنا
للعشب أثقله الندى		للغصن أثقـله الجنى
عاش الجمال مشرّداً		في الارض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألقى		– رحـله وتوطّنـــا
واستعرض الفن الجبـال		فكنت أنت الأحسـنا
لله سرٌ فيـك يـــا		لبنان لم يعلـن لنـا
خلقَ النجوم وخاف ان		تغوي العقول وتفتنـا
فأعـار أرزك مجـده		وجـلاله كي نؤمنـا

زعموا سلوتك .. ليتهم نسبوا إليّ الممكنا
فالمرء قد ينسى المسيء المفتري والمحسنا
والخمرَ والحسناء والوتر المرنّحَ والغنا
ومرارة الفقر المذلّ بلى ، ولذّات الغنى
لكنّه مهما سلا هيهات يسلو الموطنا

تحية الشام

حيِّ الشآم مهنداً وكتابا
والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قباباً ما رأيت وإنما
عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصوراً
للعلى سكنت حصى وترابا

واهبط على بردى يصفق ضاحكاً
يستعطف التلعات والاعشابا
روحٌ أطلّ من السماء عشية
فرأى الجمال هنــا فحنّ فذابا
وصفا وشفّ فأوشكت ضفاته
تنساب من وجدٍ بـه منسابا
بل أدمع حورُ الجنان ذرفنهــا
شوقــاً ولم تملك لهــن ايابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا
وبني النهى فترشفوك رضــابا
مرّت بك الادهار لم تخبث ولم
تفسد وكم خبث الزمان وطابا
★

بأبي وأمي في العراء موسّدٌ
بعث الحياة مطامعاً ورغـــابا

لما ثوى في ميسلون ترنحت
هضباتُهـــا وتنفست أطيـــابا

وأتى النجوم حديثه فتهافتت
لتقوم حراســاً لـه حجّـــابا

ما كان يوسف واحداً بل موكباً
للنور غلغل في الشموس فغـــابا

هذا الذي اشتاق الكرى تحت الثرى
كي لا يرى في جلّق الأغرابا

وإذا نبا العيش الكريم بماجـــد
حرٍّ رأى الموت الكريم صوابا

اني لأزهى بالفتى وأحبــــه
يهوى الحياة مشقــة وصعــابا
ويضوع عطراً كلما شد الاسى
بيديه يعرك قلبــه الوثنابيا
ويسيل ماءً ان حواه فدفدٌ
وإذا طواه الليل شعّ شهابا
وإذا العواصف حجّبت وجه السما
جدل العواصف للسما اسبابا
وإذا تقوض صرحُ آمال بنى
أملاً جديداً من رجاءٍ خابا
فابنُ الكواكبِ كل افق افقُه
وابن الضراغم ليس يعدم غابا
★

عجباً لقومي والعدو ببابهـــم
كيف استطابوا اللهو والألعابا

وتخاذلت أسيافهم عن سحقه
في حين كان النصر منهم قابا

تركوا الحسام إلى الكلام تعللا
يا سيف ليتك ما وجدت قرابا

دنياك يا وطن العروبة غـــابة
حشدت عليك أراقماً وذئابا

فالبس لها ماء الحديد مطارفاً
واجعل لسانك مخلباً أو نابا

لا شرْع في الغابات إلا شرعها
فدع الكلام شكاية وعتــابا

هذي هي الدنيا التي أحببتها
وسقيت غيرك حبها أكوابا
وضحكت مع أحلامها وبكيت في
آلامها وجرعت معْنها الصابا
وأضل روحك في السرى وأضلها
ما خِلته ماءً فكان سرابا
ونظرت والاوصاب تنهش قلبها
فرأيت كل لذاذة اوصابا
شاء الظلوم خرابها فاذا الورى
لا يبصرون سوى نُهاه خرابا
دنيا تألق أمسها في يومها
فاستجمع الانساب والاحسابا

وسرى سناء الوحي من آفاقها
يغشى العصور ويغمر الاحقابا
الحق ما رفعت بــه جدرانهـــا
والخير مــا زانت بــه الابوابــا
فاستنطقِ التاريخ هل في سِفره
مجد يضاهي مجدها الخلابا ؟
شابت حضاراتٌ ودالت وانطوت
أمم ومجــد أميةٍ مــا شــابا
الأمس كان لهــا وانّ لهــا غداً
تتلفت الدنيــا له اعجــابا
غنّيتَ من قبلُ المحولة والعرا
أفلا تغني الروضة المخصابا ؟

عطفت لياليهـا عليك بشاشـة
فانس الليـالي غربة وعذابا
وانشر جناحك فالفضاء منوّرٌ
واملأ كؤوسك قد وجدت شرابا
فلشدوِ مثلك كوّنت ولمثلهـا
خلقَ الالهُ البلبل المطرابـا

★

ليت الرياض تعيرني ألوانهـا
لأصوغ منها للرئيس خطابا
وأقول اني عاجز عن شكره
عجزْ الانامل ان تلم عبابا

أشكو إلى نفسي العياء فتشتكي
مثلي وتصمت لا تحير جوابا
فلقد رأيت البحر حين رأيتـه
فوقفت مضطرب الرؤى هيابا
أعميد سوريا وكاشف ضرها
خلقت يداك من الشيوخ شبابا
وبلابــل كانت تئن سجينة
أطلقتهــا وأطرتهــا اسرابــا
يا صاحب الخلق المصفّى كالندى
لو لم تكن بشراً لكنت سحابا
أمل الشبيبة في يديك وديعــة
فارفع لهــا الأخلاق والآدابا

فالجهل انّى كان فهو عقوبه

والعلم انّى كان ، كان ثوابا

يا ويح نفسي كم تطاردني النوى

وتهدّ مني القلب والاعصابا

ودّعت خلف البحر أمس أحبة

وغداً أودع ها هنا أحبـــابا

الشاعرُ والكأس

بات والكأس في الظلامْ   في حديث ولا كلامْ
هي في صمتها تضيء   وهو في صمته يُضـام
شاعر انفـق الصبـا   من غرام إلى غـرام
ذاهل النفس بالرؤى   عن حطام وذي حطام
وعـن الفقر والغـنى   وعـن الحرب والسلام
بالشفاه الـتي طفـا   بين أهدابهـا الأوام

بالغواني تطيعـــــه والغواني لهـــا احتكام
بالشذى وهو فـائــح والشذى وهو بالكمام
بالسحاب الذي يسـح وبالحـادئ الجهـــام
بالأغاريـد والبلابـل والنـور والخـزام
حوله الكون في وغــى وهو والكون في وئام

★

ما لهُ الآن وحــده ساكن العرق كالنيام
ساهر غــير انـــه خادر الروح والعظام
صامت مثـل كتبـه وكدنيا بـلا أنـام
أترى عضـّـه الطوى ؟ لا . ففي بيته طعام
لم تزل كـأسه لديــــه وفي كـأسه مدام
وله تضحك الـبروق ويبكي الحيـا السجام

وله ترتعي الكواكب في مسرح الظلامْ
وله تلبس الربى بُرُدَ النور والغمام
وله يعبق الشذى وله تُعصر المدام
وله يلمعُ الندى وله يسجع الحمام
وله الغادة المليحة والفارس الهمام
كلها كلها لهُ وعلى غيره حرام
وهو ساهٍ كأنما بسواها لهُ مرام
وجهه غير وجهه ! أم على وجهه لثام
كالتماثيل حولهُ من نحاس ومن رخام
لا اكتئاب ولا رضى لا بكاء ولا ابتسام
ليلة ما أمرّها ليلة اليأس ألف عام
بقي الحسن انما مات في الشاعر الهيام
فاذا الكون عنده جدثٌ كله رِمام

موكب التراب

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرادق . وكان في مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

من أين جئت ؟ وكيف عجت ببابي ؟
يا موكب الاجيـــال والأحقـابِ

أمن القبور ؟ فكيف من حلّوا بها
أهنـاك ذو ألمٍ وذو تطـرابِ ؟

ولهم صبـابات لنـا ؟ أم غودروا
في بلقـع مـا فيـه غـير خراب ؟

★

أمررت بالأعشاب في تلك الربى
وذكرت انك كنت في الأعشاب

حول الصخور النـائمات على الثرى
وعلى حواشي الجـدول المنسـاب

وعلى م تصعـد كالسحابة في الفضا
وإلى التراب مصـير كل سحاب

لما طلعت على الشعاع موزعاً
مترجرجاً كخواطر المرتاب

وذهبت في عرض الفضاء كخيمة
رُفعت بلا عمدٍ ولا أطناب

قال الصحاب ليَ : استتر وتراكضوا
للذعر يعتصمون بالأبواب

وهبِ اتقيتك بالحجاب فإنني
لا بدّ خالعه وأنت حجابي

كم سارحٍ في غابة عند الضحى
جاء المساء فكان بعضَ الغاب

ومصفق للخمر في أكوابه
طرباً وطيف الموت في الأكواب

أنا لو رأيت بك القذى محض القذى
لسترت وجهي عنك مثل صحابي

لكن شهدت شبيبة وكهولة
ومنىً وأحلاماً بغير حساب

والشاربين بكل كأس والألى
عاشوا على ظمأ لكل شراب

والضاربين بكل سيفٍ في الوغى
والخانعين لكل ذي قرضاب

والصارفين العمرَ في سوق الهوى
والصارفين العمر في المحراب

والغيد بين جميلة ودميمة
والعاشقين — الصبّ والمتصابي

والعبـــد في أغــلاله وحبـــاله
والملك في الديبـــاج والأطيـاب

آبوا جميعـــاً في طريق واحـــدٍ
الخـاسر المسبيّ مثـل السابي

فضحكت من حرصي على ملك الصبا
وعجبت كيف مضى عليه شبابي

ووقعت أنت على ترابٍ ضاحك
لمـــا وقعت عليّ في جلبـــابي

وكذاك أشواق الـتّراب مـآلهـــا
ولئن تقـادم عهدهـا لتّرابِ

أين عصر الصبا

مالي وما للرشأ الأغيـــدِ
خلتُ من الحب ومنه يدي
نأى فما في قربه مطمع لا تصل الكف إلى الفرقد
قطّعت باليـــأس خيوط المنى
وقلت للسلوان — لا تبعد
وصرت لا يطربني منشدٌ ولا أنا أصبو إلى منشد

أسير في الروضة عند الضحى
حيران كالمدلج في فدفد
أماميَ الماء ولا ارتوي وحولي النور ولا أهتدي
يا ليت شعري أين عهد الصبا
وأين أحلام الفتى الأمرد
ولّى وولّت كخيال الكرى يلوح في الذهن ولم يوجد
فيا قلوب الكاشحين اسكني
ويا عيون الحاسدين ارقدي
ويا شياهاً تتقي صولتي قلّمت أظفاري فاستأسدي

★

يا سائلي عن أمس كيف انقضى
دعه وسلني يا أخي عن غد
أروحُ للنفس وأهنا لها ان تحسبَ الماضيَ لم يولد

الصّيف

عاد للأرض مع الصيف صباها
فهي كالخود التي تمت حُلاها
صورٌ من خضرة في نضرة
ما رآها أحد إلا اشتهاهـا
ذهبُ الشمسِ على آفاقهـا
وسواد الليـل مسكٌ في ثراها

ونسيم الفجر في أشجارهـــا
وشوشات يُطرب النهر صداها

والسواقي فـتنٌ راقصـــة
ضحكها شدوٌ وتهليلٌ بكاها

والاقاحي صور خلابـــة
وأغاني الطير شعر لا يضاهى

إنهـا الجنة فاعجب لامرئٍ
هو فيهـا وقليلاً ما يراهـا

أيهـا المعرض عن أزهارهـــا
لك لو تعلم يا هذا شذاها

أيهـا النـــائم عن أنجمهـا
خلق الله لعينيك سناهـا

أيهـا الكابـح عن لذاتهـا
نفسه ، هيهات لن تُعطى سواها

لا تؤجـل لغدٍ ليس غـدٌ
غيرَ يومٍ كالذي ضاع وتاها

وإذا لم تبصر النفس المنى
في الضحى كيف تراها في مساها

هذه الجنة فاسرح في رباها
واشهد السحر زهوراً ومياهـا

واستمع للشعر من بلبلهـا
فهو الشعر الذي ليس يضاهى

★

ما أحيلى الصيف ما أكرمهُ
ملأ الدنيا رخـاءً ورفاهـا
عندما ردّ إلى الأرض الصبا
ردّ أحلامي التي الدهر طواها
كنت أشكو مثلما تشكو الضنى
فشفى آلام نفسي وشفاهـا

الغــزل

تبدّلَ قلبي من ضلالته رشـدا
فلا أربٌ فيه لهند ولا سـعدى
ولم تخبُ نارُ الوجد فيه ولا انطوت
ولكن هيامي صار بالأنفع الأجدى
وما الزهد في شيء سوى حب غيره
أشد الورى نسكاً أشدهمُ وجدا

أحبّ سواي العيش لهواً وراحةً
وانكرته لهواً فـأحببته كـدّا
وما دام في الدنيا سموٌّ ورفعة
فما أنا من يرضى ويقنع بالأردا

★

هو الموت ان نحيا شياهاً وديعة
وقد صار كل الناس من حولنا اسدا
وأن نكتفي بالأرض نسرح فوقها
وقد ملكوا من فوقنا البرق والرعدا
وان ينشروا في كل افقٍ بنودهم
وان لا نرى فوق السماك لنا بندا

★

تأملت ماضينا المجيد الذي انقضى
فزلزل نفسي انه انهار وانهدّا
وكيف امّحت تلك الحضارات كلّها
وصارت بلاد أنبتتها لها لحدا
وصرنا على الدنيا عيالاً وطالما
تعلّم منا أهلها البذل والرفدا
ونحن الألى كان الحرير بُرودهم
على حين كان الناس ملبسهم جلدا

★

إذا الأمس لم يرجع فإن لنا غدا
نضيء به الدنيا ونملأها حمدا
وتلبسنا في الليل آفاقه سناً
وتنشرنا في الفجر انسامه ندّا

فان نفوس العرب كالشهب ، تنطوي
وتخفى ، ولكن ليس تبلى ولا تصدا
ومثل اللآلي لا يخيس جمالها
وان هي لم ترصَف ولم تنتظم عقدا
إذا اختلفت رأياً فما اختلفت هوى
أو افترقت سعياً فما افترقت قصدا

قنبلة الفناء

إذا سحقت أرضنا القنبله كما يسحق الحجر الخردله
وقوّض مفعولها الراسيات فصارت غباراً له جلجله
ودب الفنا في ذوات الجناح وغلغل في النبت فاستأصله
وفي الماشيات وفي الزاحفات عليها إلى آخر السلسله
فلا زهرَ يأرج في روضةٍ ولا ديك يصدح في مزبله
وضاع الزمان ومقياسه وأشبه آخــره أولـــه

ولم يبق حي على سطحها وأصبح عزريل لا شغل له
فذلك خطبٌ يهول النفوس تصورُهُ قبل أن تحمـــله
ولكن أمراً يعزّي الجميع إذا سحقت أرضنا القنبله
فلن يدع الموت حياً يلوم سواه على هذه المقتله !

تلك السنون

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة السمير

تلك السنون الغاربات ورائي	سِفْرٌ كتبت حروفه بدمائي
ما عشتها لأعدَّها. بل عشتها	لتبين في سيمائها سيمائي
سيّان لو أني قنعت بعدّها	عمري وعمر الصخرة الصماء
ولبذّني يوم التفاخر شاطىءٌ	ما فيه غير رماله الخرساء
لاحت ليَ العلياء في آفاقها	فأردتها درباً إلى العلياء

ومحبةٌ للخير تسري في دمي ورعايةٌ للضعف والضعفاء
وعبادةٌ للحق أين وجدته والحسنِ في الأحياء والأشياء
لتدور بعدي قصةٌ عن شاعرٍ رقصت به الدنيا جناح ضياء
نشر الطيوب على دروب حياته وسرى هوى في الطيب والأنداء
وأطل من قلب البخيل سماحة وشجاعةً في السلم والهيجاء
ومشى إلى المظلوم بارق رحمة وهوى على الظلاّم سوط بلاء
فتعز دنيا قد طوت آبائي وتَهش دنيا اطلعت أبنائي

★

تلك السنون ببؤسها ونعيمها مالت بعودي وانطوت بروائي
أين الشباب الفـذّ أحلامي به ليس الشباب الآن لي برداء
نفسي تحس كأنما أثقالها قد خُيرت فتخيّرت أعضائي
كم من رؤى طلعت على جنباتها ركباً من الأضواء والأشذاء

قلّبت فيها بعد لأيٍ ناظري فتعثّرت عيناي بالأشلاء
يا للضحايا . لا يرف لموتها جفنٌ ولا تُحصى مع الشهداء
ودّعت لذّات الخيال وعفتها ورضيت أن أشقى مع الحكماء
فعرفتُ مثلهمُ بأني موجدٌ بؤسي واني خالقٌ نعمائي

★

اني أراني بعد ما كابدتـه كالفلك خارجةً من الأنواء
وكسائحٍ بلغ المدينة بعدما ضلّ الطريق وتاه في البيداء
شكراً لأصحابي فلولا حبهم لم اقترب من عالم اللألاء
بهمِ اقتحمت العاصفات بمركبي
وبهم عقدت على النجوم لوائي

★

شكراً لأعدائي فلولا عيثهم — لم أدرِ انهمو من الغوغاء
نهش الأسى لما ضحكتُ قلوبهم — عرسُ المحبة مأتمُ البغضاء
ذنبي إلى الحساد اني فتّهم — وتركتهم يتعثرون ورائي
وخطيئتي الكبرى اليهم انهم — قعدوا ولم اقعد على الغبراء
عفو المروءة والرجولة انني — اخطأت حين حسبتهم نظرائي

★

شكراً لكل فتى مزجتُ بروحه — روحي فطاب ولاؤه وولائي
من كان يحلم بالسماء فانني — في قلب انسانٍ وجدت سمائي
ليس الجمال هو الجمال بذاته — الحسن يوجد حين يوجد رآء
ماالكون؟ مافي الكون لولا آدم — إلا هباءٌ عالقاً بهباءِ

وأبو البرية ما أبان وجوده واتمّ غايته سوى حواءِ
اني سكبت الخمر حين سكبتها للناس ، لا للأنجم الزهراء
لا تشرب الخمرَ النجوم وان تكن
معصورةً مـــن أنفس الشعراء

★

تلك السنون . عقيمها كولودهـــا
حلوٌ لديّ . كذا يشاء وفـــائي
فالليلة العسراء من عمري وعمر الدهر مثل الليلة السمحاء
يا من يقول (ظلمت نفسك فاتئد)
دعني فلستَ بحـــاملٍ اعبائي
ان الحياة الروحُ بعض عطائها وأنا ثمار الروح كل عطائي

ما العمر ؟ ان هو كالاناء وإنني
بالطيّب الغالي ملأت انائي
فاذا بقيت فللجمال بقائي وإذا فنيت ففي الجمال فنائي

★

لله ما أحلى وأسنى ليلتي هي في كتاب العمر كالطغراء
يا صحبُ لن أنسى جميل صنيعكم
حتى تفارق هيكلي حوبائي (١)
وتقول عيني « قد فقدت ضيائي »
ويقول قلبي « قد فقدت رجائي »

---

(١) النفس .

امتنان

في حفلة ميلاد ديوانه الخمائل

ما لقلبي يلجّ في الخفقـانِ لا أنا عاشق ولا أنا جـانِ
أبتغي ان أقول شيئاً فيعصاني لساني ، والسحر تحت لساني
أنا كالطائر الذي اندفق السحرُ عليه فغصّ بالألحـان
أو كفلكٍ في البحر أوفى عليها عارضٌ بعد عارضٍ هتـان
غلبتني عواطف الصحب حتّى صرت في حاجة إلى ترجمان

آين في موكب القريض لوائي قد طواه بيانهم وصواني
ايها المادحون خمري رويداً منكم الخمرة التي في دناني
من أنا . ما صنعت ؟ كي تعصبوا بالتاج رأسي وأي شأن ٍ شاني
لا افتخار لنحلة ٍ وجدتْ حقلاً فعادت من زهره بالمجاني
أنا من روضكم قطفت ازاهيري ، ومن بحركم غرفت جماني
ان اكن فرقداً فانتم سمائي أو هزاراً فانتمُ بستاني
أيّ بدع ٍ إن اخرج الحقل للناس صنوفَ النبات في نيسان ؟
ليس لي من قصائدي غير أوزان ٍ . وليست أصيلةً أوزاني
اصدق الشعر في الحياة وفيكم ليس غير الأظلال في ديواني

★

ما هو الشعر ؟. انني ما رأيت اثنين إلا وفيه يختصمان ِ

قال قوم « وحيٌ ينزّله الله » وقوم « نفثٌ من الشيطان »
ضلّ هذا وذا ، فما حفز الانسانَ شيءٌ للشعر كالانسان
يعشق المرء ذاته في سـواه ويحب « الانسان » في الأكوان
أنا من أجله بنيت قصوري وفرشت الدروب بالريحانِ
أنا من أجله سكبت خموري وشددت الأوتار في عيـداني
أنا من أجله رجعت من الروضة في راحـتيّ بالألـوان
واستعرت التهليل من جدول الوادي ، وضحك الرضى من الغدران
ومن الشمس في الأصائل والإصباح ذوب اللجين والعقبان
وحملتُ الجلال من أرض (سوريا) اليه والسحر من (لبنان)
نحن أهل الخيال أسعد خلق الله حتّى في حـالة الحرمان
كم زهدنا بثروةٍ من نضـارٍ وقنعنا بثروةٍ من أمـــاني
وانطوينا في موكب من ضيـاء وسطعنا في غمرة من دخـان

نتراءى على الصعيد صعاليك ولكن أرواحنا في العنـــان
انْ ظمئنا وعزّ ان نرد المـــاء روانا تصوّر الغـــدران
وإذا غـابت النجوم اهتدينـــا
بالرؤى ، بالرجـاء ، بالايمـــان
لا يعدّ الورى علينا الليـــالي نحن قومٌ نعيش في الأزمـان

★

ردّ عني الكؤوس يا أيها الساقي فروحي نشوى بخمر المعاني
بالقوافي (جداولاً) من وفـــاءٍ
والأغاني (خمائلاً) من حنـــان
زهد النـاس حين دارت عليهـــم
بالتي في كؤوسهم والقنـــاني

★

أيها الليل انت أبهى من الفجر وإن كنت اسود الطيلسان
بالوجوه الزهراء ، بالأنفس السمحاء ، من يعربٍ ومن غسّان
بملوك البيان ، بالأدب الرائع ، بالمنشدين ، بالألحـان
بالغواني ، فديتهن ، فأسمى الشعر والفن في الحياة الغواني
هذه الشمس هل رأى الناس وجهاً مثلها في البهاء واللمعان
تتجلى لنا على اليسر والعسر ونمشي في نورها الفتّان
قد نسينا شعاعهـا وسناهـا
عندما أشرقت وجوه الحسان
قُسِّمَ الدهر – أنت يا ليل شطر
من حياتي ، والعسر شطر ثان
انت عصر مستجمعٌ في سويعات ، ودنيا رحيبة في مـكان
قد تلاقت فيك القلوب على الحب تلاقي الأجفان بالأجفان

لا تقولوا دقـائق وثــوانٍ ذاهباتٌ فالعمر هذي الثواني

★

أنا ما عشت سوف اذكر بالشكر جميل الرفاق والأخوان
وإذا مت في غدٍ فسيأتيكم ثنائي من ظلمــة الأكفـان

إسألوهـا

إسألوها ، أو فاسألوا مضناهـا أي شيء قالت له عيناهـا ؟
فهو في نشوةٍ وما ذاق خمـراً نشوة الحب هـذه إياهـا
ذاهل الطرف شارد الفكر ، لا يلمح حسناً في الارض إلا رآهـا
السواقي لكي تحدث عنهـا والأقاحي لكي تذيع شذاها
وحفيف النسيم في مسمع الاوراق نجوى تبثّهـا شفتاهـا
يحسب الفجر قبسة من سناها ونجوم السماء بعض حلاهـا

وكذاك الهوى إذا حل في الأرواح سارت في موكبٍ من رؤاها
كان ينهى عن الهوى نفسه الظمأى فأمسى يلوم من ينهاهـا
لمس الحب قلبه فهو نـارٌ تتلظى ويستلذ لظاهـا !
كل نفس لمْ يشرق الحب فيها هي نفس لم تدرِ ما معناهـا

أمّ القرى

هذه «ملفرد (١)» قد لاحت رباها
فانسَ يا قلبُ الليالي وأذاها
واشهدِ الفنَّ سفوحاً وذرىً
والهوى الصافي أريجاً ومياها

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه وخطب فتاة أحلامه وعاد اليها في فصل الشتاء .

ههنا أودعتُ أحلام الصبا أفما تلمح نوراً في ثراها ؟
ههنا بالأمس في دارتها كنت مثل النسر حراً في ذراها
أتلقّى الوحي عن بلبلها وهو ولهان يغني لرباها
وتحس الوحيَ روحي هابطاً من سماها في ضحاها ومساها

ذهبَتْ عشرون في فرقتها
ليتها فيها انقضت لا في سواها
كم جلسنا تحت صفصافتها
اشتكي وجدي وتشكو لي هواها

والسواقي استترت إلاّ غناها والروابي هجعت إلا شذاها
والصدى في الغاب لم ننبس معاً نبسةً إلا وعاها وحكاها
نتناجى ويدي في يدها فاذا لاح خيالٌ نتلاهى
أنا دنيا من شبابٍ وهوى وهي كالروضة قد تمت حلاها
أحسن الأيام في العصر انقضت آه لو ينشرها من قد طواها

صرت في نيويورك طيفاً شارداً
مع طيوفٍ حائراتٍ في سراها
طرحت عنها رؤاها ومضت تنشد المجد الذي فيه شقاها
كنعاجٍ عميَت أبصارها ووهت في طلب العشب قواها
كلما جدّت لكي تدركه وجدته صار في الأرض وراها
أين في نفسي رؤى تسعدها ؟
سرقت نيويورك من نفسي رؤاها
في يدي أمري ولا أملكه ومعي ذاتي وأخشى ان أراها !
هذه « ام القرى » قف في حماها
تسترحْ نفسيَ من بعض جواها
ههنا الإنسان يلقى ذاته ههنا لا يحجب المالُ الإلها
لا تقل لي جئتها عاريةً فقرها عندي جميل كغناها

لم يزل للصيف فيهـا عبقٌ وسماء الصيف ما زالت سماها

لا يزال الحبّ في شلاّلهـا وبواديهـا حديثـاً وانتباها

لم يجردها الشتا من وشيهـا بل كساها روعة فوق بهاهـا

فهي في ديباجةٍ من صبغه ما رآها أحدٌ إلا اشتهاهـا

«من اشتهى الخمر فليزرع دَوَاليها»

خذ ما استطعت من الدنيا وأهليهـا
لكن تعلّم قليلاً كيف تعطيهـا
كن وردةً طيبُها حتى لسارقهـا
لا دمنة خبثهـا حتى لساقيهـا
أكان في الكون نور تستضيء به
لو السماء طوت عنـا دراريهـا

أو كان في الأرض أزهار لها أرج
لو كانت الأرض لا تبدي أقاحيها
إن الطيور الدمى سيان في نظري
والوُرق ان حبَسَت هذي أغانيها
ان كانت النفس لا تبدو محاسنها
في اليسر صار غناها من مخازيها

★

يا عابد المال قل لي هل وجدت به
روحاً تؤاسيك أو روحاً تؤاسيها
حتى م يا صاحِ تخفيه وتطمره
كأنما هو سوءات تواريها ؟
وتحرم النفس لذاتٍ لها خُلقت
ولم تصاحبك يا هذا لتؤذيها

أنظر إلى الماء ان البذل شيمته
يأتي الحقول فيرويها ويحييها

فما تعكّر الا وهو منحبس
والنفس كالماء تحكيه ويحكيها

السجن للماء يؤذيه ويفسده
والسجن للنفس يؤذيها ويضنيها

وانظر إلى النار ان الفتك عادتها
لكن عادتها الشنعاء ترديها

تفني القرى والمغاني وهي ضاحكة
لجهلها ان ما تفنيه يفنيها

أرسلت قولي تمثيلاً وتشبيهاً
لعلّ في القول تذكيراً وتنبيها

لا شيء يُدرَك في الدنيا بلا تعبٍ
من اشتهى الخمر فليزرع دواليها

ستعود دنيانا أحب وأجملا

لم أنس حين مشت إليّ تلـومني
لمـا رأتني باسماً متهلـــلاً
قالت ـ اتطرب والمنـايا حُوّم
في الأرض كيف رمت أصابت مقتلا
انظر فقد خلت البيوت من الشباب
ولا جمال لمنزل منهم خـــلا

فسألتها — أو ليس من أجل العلى
وهناتنا خاضوا الوغى قالت — بلى
يا هـذه أإذا بكيت لبعـدهم
يتبسّمون ؟ أجابت الحسناء — لا
كفي الملام اذن فما أنا جاهل
ما تعلمين وكيف لي أن أجهلا
لكن بعثت الفكر في آثارهـم
في البحر في الأجواء في عرض الفلا
فرأيت نور المجـد فوق بنودهم
ورأيتهم يمشون من نصر إلى ...
سدوا على الباغي المسالك كلهـا
فالموت ان ولى وان هو اقبـلا

فاذا شممتِ اليوم رائحة الدماء

وطالعت عينــاك آ ثـــار البلى

فاستبشري فغداً إذا النقع انجلى

ستعود دنيانا أحبّ وأجمــلا

رؤيـا

رؤيا منام.. ربّ حلم في الكرى فيه تلوح حقائق الأشـياء
اني حلمتُ كأنما أنا سائرٌ في روضةٍ خلاّبة غناء
النور مفروش على طرقاتهـا والعطر في النسمات والأفياء
والعشب فيها سندس متموجٌ والجو اضواءٌ على أضـواء
وإذا بصوت كالهرير يطنّ في اذني وانيابٌ تصرّ ورائي
فأدرت طرفي باحثاً متعجباً مما سمعت . ولست في بيداء

فإذا ورائي في الحديقة نابحٌ ضاري المحاجر ضامر الأحشاء
كادت تطل عروقه من جلده وتطل معها شهوة لدمائي
أشفقتُ يعلق نابه بردائي فرفسته غضباً فطار حذائي
فطوى نواجذه عليه كأنما عضّت نواجذه على العنقاء
ومضى به لرفاقه فتهلّلوا وتقاسموه فكان خير عشاء
لا يعجبنْ أحدٌ رآني حافياً أبلت نعالي ألسنُ السفهاء ..

رؤيا ثانية

وحلمتُ ثانيةً ، وكان الكون لم
تبرح عليه كلاكل الظلماء
أني رأيت جرادةً مطروحة
في سبخة منهوكة الأعضاء
ترنو إلى الأفق البعيد بمقلة
كلمى ، وتشتم انجم الجوزاء

فسألتها ماذا عراكِ فلم تجب
فسألتُ عنها زمرة الرفقاء
قالوا – رفيقتنا شهيدة هزئها
بنصائح العقلاء والحكماء
كانت إذا جاعت فحبة خردل
تكفي ، وان عطشت فنقطة ماء
سمعت بنهرٍ في السماء وجنةٍ
ليست لتصويحٍ ولا لفناء
العطر في أثمارها ، والشهد في
انهارها ، والسحر في الانداء
فاستنكفت ان تستمر حياتها
في الأرض جائمة على الاقذاء

فمضت تحلّق في الفضاء ولم تزل

حتّى وهت فهوت إلى الغـبراء

رجعت إلى الدنيا التي خُلقت لهـا

لم تخلـق الحشرات للأجـواء

هذي حكايتها وفيهـا عـبرة

للطائشين كهـذه الحمقـاء

أيلول الشاعر

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي
مر بها في طريقه إلى مونتريال .

الحسن حولكَ في الوهاد وفي الذرى
فانظر ، ألست ترى الجمالَ كما أرى
« ايلول » يمشي في الحقول وفي الربى
والأرض في أيلول أحسن منظرا

شهرٌ يوزّع في الطبيعــة فنــه
شجراً يصفّق أو سناً متفجّــرا
فالنور سحرٌ دافق ، والمــاء شعر
رائق ، والعطر انفــاس الــثّرى
لا تحسبِ الأنهــار مــاء راقصــاً
هذي أغــانيه استحالت انهــرا
وانظر إلى الأشجار تخلع اخضراً
عنهــا وتلبس أحمراً أو أصفرا
تعرى وتُكسى في أوانٍ واحــد
والفن في مــا ترتديه وفي العرا
فكأنمــا نار هنــاك خفيـــة
تنحلّ حــين تهمّ أن تستشعرا

وتذوب أصباغاً كألوان الضحى
وتموج الحاناً وتسري عنبرا
صور وأطياف تلوح خفيفة
وكأنها صور نراها في الكرى
لله من « أيلول » شهرٍ ساحر
سبَق الشهور وان اتى متأخرا
من ذا يدبّج أو يحوك كوشْيه
أو من يصوّر مثلما قد صورا ؟
لمست أصابعه السماء ، فوجهُها
ضاحٍ ومرّ على الترّاب فنوّرا
رد الجلال إلى الحياة وردني
من أرض نيويورك إلى أم القرى

يا رِفاقي

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة .

جعتُ والخبزُ وفيرٌ في وطابي   والسنا حولي وروحي في ضبابِ
وشربتُ الماء عذباً سائغاً   وكأني لم اذق غير سرابِ

حيرةٌ ليس لها مثلٌ سوى حيرة الزورق في طاغي العبابِ
ليس بي داءٌ ولكني امرؤٌ لست في أرضي ولا بين صحابي
مرّت الأعوام تتلو بعضهـــا
للورى ضحكي ولي وحدي اكتئابي
كلما استولدت نفسي أملاً مدت الدنيا له كف اغتصاب
افلتت مني حلاوات الرؤى عندما افلت من كفي شبابي
بتُّ لا الألهام بابٌ مشرعٌ لي ولا الأحلام تمشي في ركابي
اشتهي الخمر وكأسي في يدي واحس الروح تعرى في ثيابي
يا رفاقي حطّموا أقداحكم ليس في دَنيَ خمرٌ لانسكابِ
جفّ ضرع الشعر عندي وذوى ولكم عاش لمريٍ واحتلاب

★

أيها السائل عنّي مــن أنـا أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي

لغــة الفولاذ هــاضت لغـــتي
لا يعيش الشدو في دنيا اصطخابِ
لست اشكو ان شكا غيري النوى
غربةُ الأجسام ليست باغترابِ
أنا كالكرمة لو لم تغـــترب
ما حواها الناس خمراً في الخوابِ
أنا كالسوسن لو لم ينتقل لم يتوّج زهره رأس كعابِ
أنــا في نيويورك بالجسم
وبالروح في الشرق على تلك الهضاب
في ابتسام الفجر ، في صمت الدجى
في اسى تشرين ، في لوعة آبِ
أنا في الغوطة زهرٌ وندى أنا في «لبنان» نجوى وتصابي

ربِّ هبني لبلادي عودةً وليكن للغير في الأخرى ثوابي

★

أيها الآتون من ذاك الحمى يا دعاة الخير يا رمز الشباب
كم هششنا وهششتم للمنى وبكيتم وبكينا في مصاب
واشتركنا في جهادٍ أو عذابِ والتقينا في حديثٍ أو كتابِ
وعرفتم وعرفنا مثلكم انما الحق لذي ظفرٍ ونابِ
كل أرضٍ نام عنها أهلها فهي أرضٌ لاغتصابٍ وانتهاب
انني ألمح في أوجهكم دفقة النور على تلك الروابي
وأرى اشباح أعوامٍ مضت في كفاحٍ ونضال ووثابِ
وأرى أطياف عصر زاهر
طالعٍ كالشمس من خلف الحجابِ
ليتهُ يسرعُ كي ابصره قبل ان أغدو تراباً في الترابِ

لوس انجيلوس

القصيدة التي ألقاها الشاعر في « الحفلة التكريمية » التي أقيمت على شرفه في لوس انجيلوس برعاية الجمعية السورية اللبنانية في فندق امباسادور .

أنا لست في دنيا الخيال ولا الكرى
وكأنني فيهــا لروعة مــا أرى

يا قوم هل هذي حقائق أم رؤى

وأنا ؟ أصاحٍ أم شربتُ مخدّرا

لا تعجبوا من دهشتي وتحيّري وتعجبوا ان لم اكن متحيرا

كيف التفتّ رأيت آية شاعر لبقٍ تعمد ان يجيد ليبهرا

مسحت بأصبعها الحياة جفونه فرأى المحاسن فانتقى وتخيرا

ما « لوس انجلوس » سوى أنشودة

الله غناها فجُنّ لها الورى

خلع الزمان شبابه في أرضها

فهو اخضرار في السفوح وفي الذرى

أخذت من المدن العواصم مجدها

وجلالها وحوت حلاوات القرى

هي واحة للمتعبين ، وجنة للعاشقين ، وملعب لذوي الثرا

كفّنت في نيويورك أحلام الصبا وطويتها . وحسبتها لن تُنشرا
لكنني لما لمحت زهورها شاهدت أحلامي تطل من الثرى

تتنفس الهضبات في رأد الضحى
تبراً وفي الآصال مسكاً اذفرا
فالسحر في ضحك الندى مترقرقاً
كالسحر في رقص الضياء معطرا
قل للأُلى وصفوا الجنان وأطنبوا
ليست جنان الخلد أعجب منظرا

كل الفصول هنا ربيع ضاحك فاذا ترى شهراً رأيت الأشهرا

ان كنت تجهل ما حكايات الهوى
فانصت لوشوشة النسيم إذا سرى

وانظر إلى الغبراء تنبت سندساً وتأمل الغدران تجري كوثرا

واشرب بعينيك الجمال فـــانه خمر بغير يد الهوى لن تعصرا
حاولت وصْف جمالها فكأنني ولد بأنمله يحوش الأبحـــرا
واستنجدتْ روحي الخيال فخانني
وكبـا جواد فصـــاحتي وتعثرا
أدركت تقصيري وضعفي عندمــا
أبصرت ما صنع الإله وصورا
إني شهدت الحسن غير مزيف بئس الجمال مزيفاً ومزوّرا
أحببت حتى الشوك في صحرائها وعشقت حتى نخلها المتكبرا
اللابس الورق اليبيس تنسكـاً والمشمخر إلى السماء تجبرا
هو آدم الأشجار أدركه الحيا لمـــا تبدى عريه فتسترا
ابن الصحارى قد تحضّر وارتقى يا حسنه متبدّياً متحضــرا
وبدت غياض البرتقال فأشبهت جلباب خودٍ بالنضار مزرّرا

من فوقها انتشر الضياء ملاءة   من فوقه جوٌّ صفا وتبلورا
وكأنما تلك القصور على الربى   عقدٌ لغانية هوى وتبعثرا
لما تراءت من بعيد خلتها
سفناً وخلت الأرض بحراً أخضرا
نفض الصباح سناه في جدرانها
وأتى الدجى فرأى منائر للسرى
متألقات كابتسامات الرضى   تنسيك رؤيتها الزمان الأعسرا
أنا شاعر ما لاح طيف ملاحة   إلاّ وهلل للجمال وكبرا
وزعت نفسي في النفوس محبة   لا شاكياً ألماً ولا متضجرا
ومشيت في الدنيا بقلب يابس   حتى لقيت احبتي فاخضوضرا
قد كنت أحسبني كياناً ضائعاً   فاذا أنا شخص يعيش مكررا
فكأنني ماء الغمام إذا انطوى   في الأرض ردته نباتاً مثمرا

ما أكرم الأشجار في هذا الحمى

فيهـا لقاصدهـا البشاشة والقِـــرى

تقري الفقير على خصاصة حاله   كرماً كما تقري الغنيّ الموسرا
البذل ديدنها سواء جئتهــــا   متقدماً أم جئتها متـــأخرا
فكأنها منكم تعلمت الندى   كيما تغيث الناس ان خطبٌ عرا

عصر الشبيبة

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت بكاليفورنيا .

يا ليتما رجع الزمان الأولُ   زمن الشباب الضاحك المتهللُ
عهد ترحلت البشاشة إذ مضى   وأتى الأسى فأقام لا يترحل
ولّى الصبا وتبددت أحلامه   أدى به وبها قضاء حُوّل

حصدت انامـله المنى فتساقطت

صرعى كما حصد السنابل منجلُ

فالروح قيثار وهت وتقطعت أوتاره ، والقلب قفرٌ ممحل

والشيب يضحك برقه في لمـّتي

هذي الضواحك يا فؤادي أنصل

أشتاق عصرك يا شبيبة مثلما يشتاق للمـاء النمير الأيـّل

إذ كانت الدنيا بعيني هيكلاً فيه الإلاهات الجمال ترتـل

من كل حسناء كأن حديثها السلوى أو الوحي الطهور المنزّل

وأنا وصحبي لا نفكر في غد فكأن ليس غد ولا مستقبل

نلهو ونلعب لا نبالي ضمـّنـا كوخ حقير أم حوانا منـزل

نتوهم الدنيا لفرط غرورنـا كملت بنا وبغيرنا لا تكمـل

ونخال ان البدر يطلع في الدجى كيما يسامرنا فـلا نتملمـل

ونظن ان الروض ينشر عطره   من أجلنا . ولنا يغني البلبل
فكأنما الأزهار سرب كواعب   وكأنما هو شاعر يتغزل
في كل منظور نراه ملاحة   وسعادة في كل ما نتخيل

لا شيء يزعج في الحياة نفوسنا
لا طارئ   لا عارض لا مشكل

فكأننا في عالم غير الذي   تتزاحم الأيدي به والأرجل

وكأننا رهط الكواكب في الفضا
مهما جرى في الأرض لا تتزلزل

الناس في طلب المعاش وهمّنا
كأس مشعشعة وطرْف أكحل

كم عنّفونا في الهوى واسترسلوا
لو انهم عرفوا الهوى لم يعذلوا

ولو انهم ذاقوا كما ذقنا الرؤى　　شبعت نفوسهم وان لم يأكلوا
زعموا تبذّلنا ولم يتبذلوا　　ان الحقيقة كلنا متبذّل
حُرموا لذاذات الهيام وفاتنا
درك الحطام . فأينا هو أجهل ؟
اني تأملت الانام فراعني　　كيف الحياة بهم تجدّ وتهزل
لا يضبطون مع الصروف قيادهم
إلا كما ضبط المياه المنخُل
بينا الفتى ملء النواظر والنهى　　فاذا به رقم خفيّ مهمل
يا صاحبي والعمر ظل زائل　　ان كنت تأمل فيه أو لا تأمل
الذكْر أثمن ما اقتنيتَ وتقتني　　والحب أنفس ما بذلت وتبذل
قيل اغتنى زيد فليتك مثله
أنا مثله ، ان لم أقل ، أنا أفضل

الشمس لي وله . ولألاء الضحى
والنيّرات ومثلنـــا المتســوّلُ

أما النضار فإنه يا صاحبــي عرض يزول وسلعة تتنقل
مادمت في صحبي ودام وفاؤهم فأنا الغني الحق لا المتمــول
أنالست أعدل بالمناجم واحداً وأبيع من عقلوا بما لا يعقلُ

عطش الأرواح

زحزحت عن صدرها الغيم السماء
وأطل النور من كهف الشتاء

فالروابي حلل من سندس   والسواقي ثرثرات وغناء
رجع الصيف ابتساماً وشذى   فمتى يرجع للدنيا الصفاء
فأرى الفردوس في كل حمى   وأرى الناس جميعاً سعداء
زالت الحرب وولت انمــا   ليس للذعر من الحرب انقضاء

إن صحونا فأحاديث الوغى
في الحمى الآهل والأرض العراء

وإذا نمنا تراءت في الكرى صور الهول وأشباح الفناء
فهي في الأوراق حبر هائج وعلى «الراديو» فحيح الكهرباء
نتقي في يومنا شر غدٍ وإذا الصبح انطوى خفنا المساء
عجباً ! والحرب باب للردى وطريقٌ لدمار وعفاء
كيف يهواها بنو الناس فهل كرهوا في هذه الدنيا البقاء ؟
ان يكن علم الورى يُشقيهم يا الهي رد للناس الغباء
وليجئْ طوفان نوح قبلما تغرق الأرض بطوفان الدماء

واعصم الأسرار واحجب كنهها
عن ذوي العلم وأرباب الذكاء

فلقد أكثرتَ أسباب الأذى عندما اكثرتِ فينا العلماء

كم وجدنا آفة مهلكة كلما زحزحتَ عن سر غطاء
قد ترقى الخلق لكن لم تزل شرعة الغابة شرع الأقوياء
حرّم القتل ، ولكن عندهم أهونُ الأشياء قتل الضعفاء
لا تقل لي هكذا الله قضى انت لا تعرف أسرار القضاء
جاءني بالماء أروي ظمأي صاحب لي من صحابي الأوفياء
يا صديقي جنّب الماء فمي عطشُ الأرواح لا يروى بماء
انا لا أشتاق كاسات الطلا لا ولا اطلب مجداً أو ثراء
إنما شوقي إلى دنيا رضى وإلى عصر سلام وإخاء
لا تعدْني بالسما يا صاحبي السما عنديَ قرب الأصدقاء
وأراني الآن في أكنافهم فأنا الآن كأني في السماء !

بلادي

انّي مررت على الرياض الحاليه
وسمعت أنغــام الطيور الشاديه
فطربت ، لكن لم يحبّ فؤاديه
كطيور أرضي أو زهور بلادي

وشربت ماء النيل شيخ الأنهرِ
فكأنني قــد ذقت مــاء الكوثر

نهر تبارك من قـــديم الأعصر
عذب ، ولكن لا كماء بلادي

وقرأت أوصاف المروءة في السيَرْ
فظننتها شيئاً تلاشى وانـــــدثر
أو انها كالغول ليس لهـــا أثر
فاذا المروءة في رجال بلادي

ورسمت يوماً صورة في خـــاطري
للحسن ، إن الحسن رب الشاعر
وذهبت أنشدها فأعيى خاطري
حتى نظرت إلى بنات بلادي

قالوا : أليس الحسن في كل الدنى
فعلى م لم تمدح سواها موطنــــا
فأجبتهم إني احب الأحسنّا
أبداً ، واحسن ما رأيت بلادي

قالوا : رأيناهــا فلم نر طيبــا
ولّى صباها والجمال مع الصبا
فأجبتهم : لتكن بلادي سبسباً
قفراً ، فلست أحب غير بلادي

قالوا : تأمّل أي حــال حالهــا
صدّع القضاء صروحها فأمالهـا

ستموت .. ان الدهر شاء زوالها
أتموت ؟ كلا لن تموت بلادي

هي كالغدير إذا أتى فصل الشتا
فقد الخرير وصار يحكي الميتا
أو كالهزار حبسته .. لكن متى
يَعُدِ الربيع يَعُدْ إلى الانشاد

الكوكب الوضاح يبقى كوكبا
ولئن تستّر بالدجى وتنقّبا
ليس الضباب بسالبٍ حسنَ الربى
والبؤس لا يمحو جمال بلادي

لا عزّ إلا بالشباب الراقي
النـاهض العزمـات والأخـلاق
الثـائر المتفجر الدفّـاق
لولاه لم تشمخ جبال بلادي

رَوْعة العيد

يا شاعر الحسن هذي روعة العيد

فاستنجد الوحي واهتف بالأناشيدِ

هذا النعيم الذي قد كنت تنشده

لا تلهُ عنه بشيءٍ غيرِ موجودِ

محاسن الصيف في سهلٍ وفي جبلٍ

ونشوة الصيف حتى في الجلاميدِ

ولست تبصر وجهاً غير مؤتلق
ولست تسمع إلاّ صوت غرّيدِ
قم حدّث الناس عن لبنان كيف نجا
من الطغاة العتاة البيض والسود
وكيف هشّت دمشق بعد محنتهـا
واسترجعت كل مسلوب ومفقـود

★

فاليوم لا أجنبي يستبدّ بنـا
ويستخف بنا استخفاف عربيد
يا أرز صفق ، ويا أبناءه ابتهجوا
قد أصبح السرب في أمنٍ من الصّيد

★

ما بلبلٌ كان مسجوناً فـأطلقـه
سجّانُه ، بعد تعـذيب وتنكيدِ
فراح يطوي الفضاء الرحب منطلقـاً
إلى الربى والسواقي والأمـاليدِ
إلى المروج يصلّي في مسارحهـا
إلى الكروم يغـنّي للعنـاقيدِ
مني بأسعد نفساً قـد نزلت على
قومي الصناديد أبنـاء الصناديد
سماء لبنان بِشرٌ في ملامحهـم
وفجره في ثغور الخرّد الغيـد
ان تسكنوا الطود صار الطود قبلتنـا
أو تهبطوا البيد لم نعشق سوى البيدِ

يا أنشودتي انطلقي

أنشودة في ضميري كم أواريها   وما شفائي الا ان أغنّيها
ولّى الشتاء ونفسي في كآبتها
واستضحك الصيف الا في نواحيها
كأنها زهرة في الظل نابتةٌ   لا نورَ يغمرها ، لاماء يسقيها
كأنها الحرب في قلبي زلازلها   وبعض أهلي أقوام تعانيها
حكاية أثقلتني حين اسمعها   ويأكل الحزن قلبي حين أرويها

وارحمتاه . لأوربا فما فتكت أفعى بأفعى كأهليها بأهليهـا
لم يبق غير الضواري في خلائقها ومن حضارتها الا ّ مخازيهـا
كانت تعد الدواهي في مصانعها لغيرها فأصابتها دواهيهـا
وكل طابـخ سم ّ سوف يأكله وكل حافر بئرٍ واقع فيهـا
لو دام أيمانها لم تنطلق سـقَرَ بذُوْرِها والأفاعي في مغانيها
لكن اكبّت على الآلات تعبدهـا
وتستعين بهـا من دون باريهـا
فصار مالكها عبداً لسلطتها وصار كل ضعيف من أضاحيها
وصار انسانها للحلب آونـة
والذبـح ، مثل المواشي في مراعيهـا
يا نفس سَرّي ، ويا أنشودتي انطلقي
من علّم الصمت ان الصمت يؤذيهـا

أيشرق الأفق لم يُطلع كواكبه

وتجمل الأرض لم تخرج أقاحيها

اليوم يوم القوافي تهتفين بها لا يشرب الناس خمراً لم تصبّيها

هذا هو العيد قد لاحت مواكبه

يا قلب هلّل لها ، يا شعر حيّيها

في قلبك أنتَ

مرت ليالٍ وقلبي حائر قلق
كالفلك في النهر هاج النوء مجراهُ
أو كالمسافر في قفر على ظمأ		أضنى المسير مطاياه وأضناهُ
لا أدرك الأمر أهواه وأطلبـــه		وأبلغ الأمر نفسي ليس تهواهُ
عجبت من قائلٍ اني نسيتكمُ
من كان في القلب كيف القلب ينساهُ

ان كنت بالأمس لم أهبط مرابعكم
فالطير يقعد موثوقاً جناحاه
فلا يقرّبه شوق إلى نهر وليس تنقله في الروض عيناه
وليس يشكو ولا يبكي مخافة ان
تؤذي مسامع من يهوى شكاواه
إني لأعجب منا كيف تخدعنا عن الحقائق أمثالٌ واشباهُ
إذا بنى رجل قصراً وزخرفه سقنا اليه التهاني وامتدحناه
وما بنى قصره إلا ليحجب عن أبصارنا في زواياه خطاياه
ونمدح المرء من خزٍّ ملابسه وذلك الخز لم تنسجه كفّاه
وان أتانا أخو مالٍ يكاثرنا بالتبر تيهاً رجَوناه وخفناه
وقد يكون نضار في خزائنه
دماً سفكناه أو جهداً بذلناه

لا تحسب المجد ما عيناك ابصرتا

أو ما ملكتَ هو السلطان والجـاه

المال مولاك ما أمسكته طمعـاً

فانفقه في الخير تصبح أنت مولاه

ما دام قلبك فيـه رحمـة لأخ

عانٍ ، فانت امرؤ في قلبك الله

الرأيُ الصّوابْ

يا نفس هــذا منزل الأحبــاب
فانسي عذابك في النوى وعــذابي
وتهللي كالفجر في هذا الحمى وتألقي كالخمر في الأكوابِ
ولتمسح البشرى دموعك مثلما يمحو الصباح ندى عن الأعشابِ
واسترجعي عهد البشــاشة والرضى
فالدهر عاد تضاحكــاً وتصابــي

أنا بين أصحابي الذين أحبهم ... ما أجمل الدنيا مع الأصحابِ
قد كنت مثل الطائر المحبوس في ... قفص، ومثل النجم خلف ضباب
يمتد في جنح الظلام تأوّهي ... ويطول في اذن الزمان عتابي
وأهز أقلامي فترشح حدة ... وأسىً، ويندى بالدموع كتابي
حتى لقيتكم فبتّ كأنني ... لمسرتي، استرجعت عصر شبابي
ليس التعبد ان تبيت على الطوى ... وتروح في خرق من الأثوابِ
لكنه انقاذ نفس معذبٍ ... من ربقة الآلام والأوصابِ
ليس التعبد عزلة وتنسكاً ... في الدير أو في القفر أو في الغاب
لكنه ضبطُ الهوى في عالم ... فيه الغواية جمة الأسبابِ
وحبائل الشيطان في جنباته ... والمال فيه أعظم الاربابِ
هذا هو الرأي الصواب وغيره
مهما حلا للناس غير صوابِ

ليس السر في السنوات

قل للذي أحصى السنين مفاخراً   ياصاح ليس السر في السنواتِ
لكنه في المرء كيف يعيشها   في يقظة أم في عميق سباتِ

قم عدّ آلاف السنين على الحصى
أتعدّ شبه فضيلة لحصاةِ ؟

خير من الفلوات لا حدّ لها   روض أغنّ يقاس بالخطواتِ
كن زهرةً أو نغمة في زهرة   فالمجد للأزهار والنغماتِ

تمشي الشهور على الورود ضحوكة

وتنـــام في الأشواك مكتئبـــاتِ

وتموت ذي للعقم قبل مماتهــــا وتعيش تلك الدهرَ في ساعاتِ

تُحصى على أهل الحياة دقائق والدهر لا يُحصى على الأمواتِ

العمر — الا" بالمـآثر — فارغ كالبيت مهجوراً وكالمومات

جعلَ السنين مجيدة وجميلةً ما في مطاويها من الحسنات

●●●

إليكِ عني

كم تستثير بي الصبابة والهوى
عني اليك ، فأن قلبي من حجرْ
مالي وللحسناء أغري مهجـــتي
بوصالها والشيب قـــد وخط الشَعَرَ
كم « بالجزيرة » لو يتاح لي الهوى
من غادة تحكي بطلعتهـــا القمر

ولكم بهـا من جدول وحديقــة

من صنعة الرحمن لا صنع البشر

فيها اللواتي إن رمت الحاظهـا

شلّت يد الرامي وقطّعت الوتر

قد كان لي في كل خود مطمع

ولكل رائعـة المحاسن بي وطر

أيام شعري كالدجى محلـولك

أيام عيشي لا يخالطـه كدر

★

ذرني وأشجاني ، وجسمي ، والضنى

ويدي ، وأقلامي ، وطرفي ، والسهر

أأبيت ألهو والهموم تحيــط بي

وأنام عن قومي ، وقومي في خطر

صوت المصفق موعدٌ مــا بيننا

ماذا أقول لهم ، إذا الديك استحر

دُوَدة وبُلبل

نظرت دودةٌ تدبّ على الأرض إلى بلبلٍ يطير ويصدحْ
فمضت تشتكي إلى الورَق الساقط في الحقل – انها لم تُجنّح
فأتت نملة اليهْا وقالت اقنعي واسكتّي فما لك اصلح
ما تمنيتِ إذ تمنيتِ إلا انتصيري طيراً يُصاد ويذبح
فالزمي الارض فهي أحنى على الدود
وخلي الكلام فالصمت أربح

هدية العيد

أي شيء في العيد أهدي إليكِ
يا ملاكي ، وكل شيء لديكِ
أسواراً ؟ أم دملجاً من نضار ؟
لا أحب القيود في معصميكِ
أم خموراً ؟ وليس في الارض خمر
كالتي تسكبين من لحظيكِ

أم وروداً ؟ والورد أجمله عندي
الذي قد نشقتُ من خدّيك
أم عقيقاً كمهجتي يتلظى
والعقيق الثمين في شفتيك
ليس عندي شيء أعز من الروح
وروحي مرهونة في يديك

إن الحياة قصيدة !

ما للقبور كأنما لا ساكن ... فيها وقد حوت العصور الماضيه*
طوت الملايينَ الكثيرة قبلنا ... ولسوف تطوينا وتبقى خاليه
أين المها وعيونها وفتونها ... أين الجبابر والملوك العاتيه
زالوا من الدنيا كأنْ لم يولدوا ... سحقتهم كف القضاء القاسيه
ان الحياة قصيدة أعمارنا ... أبياتها ، والموت فيها القافيه
متّع لحاظك في النجوم وحسنها ... فلسوف تمضي والكواكب باقيه

ليالي بوسطن

ان اغبْ يا صحب عن ذاك الحمى
لم أزل معكم كما أنتم معـي

فاذا الانجم شعّت في السما قلت هذي أنتمُ في مجمعِ
وإذا الشادي بلحنٍ رنمـا خلته أصواتكم في مسمعي

★

آه لو يغني خيال عن عيانِ   كان كالمنهل ، رسم المنهلِ
ولعاش المرء في دنيا الأماني   يقطع الدنيـــا ولم ينتقـــل
وسلونا عن مـــكان بمكان   ولأغنى آخرٌ عن أوّل

★

ولنابتْ عن نجوم نيّــرات   صور مطبوعةٌ في الـــورق
واكتفينا بخرير الساقيـــات   في الدجى عن مائها المندفق

★

يا ليالي « بوسطن » هل ترجعينْ
فـــأرى صحبي الـــكرام البرَرَه
ويزول الهم عن قلبي الحزين   بالوجوه المشرقات النضِره

إنه يسألني في كل حـــين أين تلك الجنة المختصرة

★

ذهبت يا قلب إلا ذكريـات كبروق ضحكت في الغسق
تأنس العين بها في الظلمـات وهي تفنى في رحاب الأفق
يا ليالي بوسطن ليت الحيـــاة عدلتْ فينـــا فلم نفترق

صوتٌ من سورية

صوت سوريا الجميله ۝ صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميله ۝ لاعب مثل النسيم

★

يا أخا الورقاء غنِّ ۝ فالغنا شعر السماء
فهو في الغصن تثنٍّ ۝ وهو في النجم بهاء

صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم

ضاحك مثل الخميله
لاعبٌ مثل النسيمْ

★

غنّنا حتى نميلا مثل أغصان الاراكْ
كم بنا صبا عليلا لا يداويه سواك
صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميله
لاعبٌ مثل النسيم

★

أيها المحزون هيّا واسمع اليوم الكنارْ
ساجعاً سجعاً شجيا ذاكراً تلك الديار

صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثل الخميله
لاعبٌ مثل النسيم

★

ليتنا كنــا طيــوراً حول عينٍ أو غــديرْ
نرشف المــاء نمــيراً نلقط الحب النثيرْ

صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثــل الخميله
لاعب مثــل النسيمْ

★

موطن نهوى سـهوله ْ مثلما نهوى ربـاه
الصّبـا فيـه عليـله تتـداوى بنـداه

★

كم بدا البدر ضحوكـا راقصـاً فوق الكروم ْ
واستوى الليـل مليـكا لابساً تـاج النجـوم

صوت سوريا الجميله
صوتك العذب الرخيم
ضاحك مثـل الجميله
لاعبٌ مثـل النسيم

حكمة المتنبي

جلست أناجي روح أحمد في الدجى
وللهمّ حولي كالظـــلام ســـدول
أفكر في الدنيا وأبحث في الورى
وعينيَ مـــا بين النجـــوم تجول
طويلاً ، إلى ان نال من خاطري الونى
وران على طرفي الكليل ذبول

فأطرقت أمشي في سطور كتابهِ
بطرفي ، فألفيت السطور تقول
« سوى وجع الحساد داوِ فـانه
إذا حلّ في قلب فليس يحول »
« فلا تطمعنْ من حاسد في مودة
وان كنت تبديهـا له وتنيل »

أنفس العُشّاق

بالأمس بادرني صديق حائر يستفهم
أجهنمٌ نارٌ ؟ كما زعم الهداة وعلّموا ؟
أم زمهرير قارس قاسٍ وكون مظلمُ ؟
فأجبته ، ما الزمهرير وما اللظى المتضرم
بجهنم !.. لكنّما أنْ لا تحب جهنم
يا صاحبي ان الخواء هو العذاب الأعظم

القلب إلاّ بالمحبـــة منزل مـتردّم

هي للجراحة مرهم ، هي للسعادة سلّم

هي في النجوم تألقّ ، هي في الحياة ترنّم

هي أنفس العشاق في غسَق الدجى تتبسّم

روحي فداك

لما رأيت الورد في خديكِ
وشقائق النعمانِ في شفتيكِ
وعلى جبينك مثل قطرات الندى
والنرجس الوسنان في عينيك
ونشقت من فوديكِ ندّاً عاطراً
لما مشت كفّاكِ في فوديكِ

ورأيت رأسكِ بالأقاح متوّجاً

والفُلّ طاقات على نهديكِ

وسمعت حولك همس نسمات الصبا

عند الصباح تهزّ من عطفيك

أيقنتُ انكِ جنة خلابــة

فحننت من بعد المشيب اليك

ولذاك قد صيّرت قلبي نحلة

يا جنتي حتى يحوم عليكِ

روحي فداؤك انها لو لم تكن

في راحتيكِ هوت على قدميك ..

لَوْ

لو أنني يا هند بدر السما نزلتُ من أفقي إلى مخدعك
وصرت عقداً لكِ أو خاتماً في جيدك الناصع أو اصبعك
أو بلبل الروض ومـا لذّ لي الانشاد ان لم يكُ في مسمعك

ولو أكون الأرج الذاكي
لمـا هجرت الروض لولاكِ
ومـا حواني غـير مغناكِ

ولم أفُـح حتّى تكوني معي

★

فيك وفي الوردة سر الصبا   وفي الصبا سر الهوى والجمال

فان تريني واجماً باهتـــاً   حيالها أخشى عليهـا زوال

فانني شاهدت طيف الردى   ينسل كالسارق بين الظـلال

ولاح لي في الورق النـــامي

منطرحاً في الأرض قـدّامي

أشباح آمـــالي وأحـــلامي

أحلام مَن ؟ أحلام مضناك

مُقلتان

رأيت في عينيك سحر الهـوى
مندفقـاً كالنور مـن نجمتين

فبتّ لا أقوى علـى دفعـه
مَن رَدّ عنه عارضـاً باليدين

يا جنـة الحب ودنيـا المنى
ما خيلتني ألقـاك في مقلتين

فردوسي

بنيت فردوسي وزخرفته
حتى إذا ما تم ضيّعته
أجريت في أنهاره كوثراً
فذاقه الناس وما ذقته

ثقيل

وثقيلٍ كأنه برد كانو ... ن قليل الحياء جمّ الكلامِ
ليس يدري بأنه ليس يدري ... ان بعض الأنام كالانعامِ
يتمنى يا بُعد ما يتمنى ... لو جرى ذكره على الاقلام
والذي أطمع اللئيم وأغراه ... بسببّ الكرام حلمُ الكرام
والذي صيّر الكريم حليماً ... كرهه ان يُعدّ صنو الطغام
منع البومَ ان يصاد ويرمى ... كونه غير صالح للطعامِ

وَداع

ذهب الربيع ففي الخمائل وحشة
مثل الكـآبة من فراقك فينـــا
لو دمت لم تحزن عليه قلوبنـــا
ولئن أضعنـــا الورد والنسرينا
فلقد وجـــدنا في خلالك زهـره
المفترّ والمـاءَ الـــذي يروينا

ونسيمه الساري كأنفاس الرضى
وشعاعه يغشى المروج فتونا
حزتِ المحاسن في الربيع وفقته
إذ ليس عندك عوسج يدمينا

★

يا أشهراً مرت سراعاً كالمنى
لو استطيع جعلتكنّ سنينا
وأمرت أن يقف الزمان عن السرى
كيلا نمر بساعة تبكينا
ونمد أيدينا فترجع لم تصب
وتعود فوق قلوبنا أيدينا

خوفـاً عليهـا أن تساقط حسرة
أو ان تفيض لواعجـاً وشجونا
قد كنت خلت الدهر حطّم قوسه
حتى رأيت سـهامه تصمينـا
فكأنمـا قـد ساءه وأمضّـه
أنّا تمتعنـا بقربـك حينـا

تحية الشعر

قالها في بعض الشعراء وأهل
الفكر في الوطن والمهجر.

في يوبيل شكيب أرسلان

امنحيني يا نجومُ الألقـا وهبيني يا زهور العبقـا
ابعث الشعر إلى الدنيا هوى وضياءً وغناءً شيّقـا
فاذا خامر نفسـاً طربت وإذا لامس قلبـاً خفقـا
وإذا يُتلى لمشتـاق سـلا وإذا يُروى لباكٍ صفّقـا
فمن الشعر لقوم حكمـةٌ ومن الشعر لأقوامٍ رُقى

أنا لا أستعذب الشعر إذا لم أجده روضة أو أفقا

★

حبّذا ليلتنا من ليلة يُكرم الاحرارُ حرّاً لبقا

شاعر ما ان جرى في حلبة أبداً الاّ وكان الأسبقا

كاتب لا بل سحاب هتنٌ

كم روى الارواح خمراً وسقى

قل لمن حاول ان يلحقه ان هذا عارضٌ لن يُلحقا

قلم يهمي على أمته رحمةً إذ تمطر الدنيا شقا

وإذا ما أوذيتْ أو ظُلمتْ أمطر الدنيا شواظاً محرقا

ودوّتْ زعقاتُه كابن الشرى

ريح في عريّسه أو ضُويقا

هو للحقّ إلى أن ينجلي وعلى الباطل حتّى يزهقا

انفق العمر على خدمتهـا آه ما أغلى الذي قد انفقا
قل لمن أرجف كي يقلقه في حماه انـه لن يقلقـا
ولمن حـاول أن يُغضبه انـه اعلى واسمى خلقـا
ألأمـير تنقبـه دولـةٌ يتوقى كاشحاً مختلقا ؟
وهو مثل الشمس لن يبلغها صاعدٌ مهما تعالى وارتقـى
ان يوبيلك يوبيـل النُهـى هنـأت بغداد فيه جلقا

أخو الوقار

رسالة إلى الشاعر القروي ألقيت في الحفلة الوداعية التي أقيمت في ولاية تكساس وقد تعذر على الشاعر حضورها.

لله من عبث القضاء وسخره　　　بالناس والحالات والاشياء
كم درة في التاج الفٌ مثلها　　　في القاع لم تخرج من الظلماء
ولكم تعثّر بالغبار سميذعٌ　　　واندلحت الأطواد للجبناء

ولكم جنى علمٌ على اربابه   وجنى الهناء جماعة الجهلاء
أرأيت اعجب حالة من حالنا   ازف الرحيل ولم نفز بلقاء !
عاشت شهوراً بالرجاء قلوبنا   وبلحظةٍ أمست بغير رجاء
ماتت أمانينا الحسانُ اجنّةً   لم تكتحل أجفانها بضيـــاء
فكأنها برقٌ تألق وانطوى   في الليل لم تلمحه مقلة راءِ
وكأننا كنا نحلّق في القضـــا   صُعداً لنلمس منكب الجوزاءِ

حتّى إذا حان الوصول .. رمت بنا
نكبـاء عــاتيةٌ إلى الغـــبراءِ !
وكأن « تكسس » وهي في هذا الحمى
صقعٌ « كسانبول » قصيٌّ ناءِ

طوبى لها ، ان كان يعلم أهلها   ان النزيل بها اخو الورقاءِ

كانت مسارح « للرعاة » فأصبحت
لمـــا اتاهـــا ، كعبـــة الشعراءِ

هو بلبل عبّق النبوّة في اغا نيه وفيهــا نكهة الصهباء

وجلال لبنانٍ وقد غمر المسا هضباتهِ ، وانسال في الأوداء

غنّى ، ففـي النسمات والاوراق والـ

غــدران أعراس بــلا ضوضاء

وبكى ، فشاع الحزن في الازهــار

والأظــلال والألوان والأضواء

هو نفحةٌ قدسية هبطت إلى هذا الثرى من عالم اللألاءِ

لو عاد للدنيا البراق وحزتـه ما كان إلا نحوه إسرائي

أشكو البعاد وليس لي أن أشتكي

فسماؤه موصولـــة بسمائـــي

ما حال بين نفوسنا — ما حال بين جسومنا من أجـبُلٍ وفضاءِ

فلكم نظرت إلى الربى فلمحتـــه
في الاقحوان الخيّر المعطـــاءِ
وسمعت ساقيةً تئنّ فخلتني لبكائه أوطـــانه اصغائي
وإذا تلوح لي الجبال ذكرته فالشاعرُ القرويّ طود ابـاءِ
من كان يحلم بالغدير فانــه يبدو له في كل قطرة ماءِ
ان كنت لم أره فقـــد شاهدتـــه
بعيون أصحابي ، وذاك عزائي

★

أفتى القوافي كالشواظ على العدى
وعلى قلوب الصحب كالأنـداء
سارت اليـك تحيتي ولو انـني
خـُيـّرت ، كنت تحيتي ودعائي

شاعر الدير

ألقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة

عادت رياض القوافي وهي حــالية
وكان صوّح فيهــا الزهر والعشُب
واسترجعت دولة الاقلام نخوتهــا
وكان أدركهــا الإعياء والتعب
بشاعر عبقــري في قصــائده
عطر وخمر وسحر رائق عجب

فاشرب بروحك خمراً كلها أرَج
وانشقْ بروحك عطراً كلّه طرب
وامرح بدنيا جمال من تصوّره فإنهـا السحر الا انه أدب
والبس مطارف حاكتهـا يراعتـه
تبقى عليك ويبلى الخزّ والقصب
كم درة يتمنى البحر لو نُسبت اليه باتت إلى مسعود تنتسب
لو أنها فيه لم تهتجْ غواربـه لكنها لسواه فهو يصطخب
فلا جناح إذا ما قال شـاعرنـا
للبحر – يا بحرُ أغلى الدر ما أهب !

★

يا شاعر « الدير » (١) كم هلهلتَ قافية
غنى الرواة بهـا واختالت الكتب

---

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماحة .

طلاقة الفجر فيها وهو منبثق ورقة الماء فيها وهو منسكب
مرت على هضبات الدير هـائمة
فكاد يورق فيها الصخر والحطب
إذا تساقى الندامى الراح صافيـة
كانت قوافيك في الراح الـتي شربوا
فأنت في ألسن الاشياخ ان نطقوا
وانت في همم الشبان ان وثبوا

★

مسعود عيدك والشهر الجميل (١) معـاً
قد اقبلا وانا في الارض اضطرب
يحز نفسي اني اليـوم مبتعـد
وانت من حولك الانصار والصحب

---

(١) شهر أيار ١٩٣٩ .

البيد « والناس » مـا بيني وبينكم
ليت المهامه تُطوى لي فأقترب
ما كان اسعدني لو كنت بينكم
كيما يؤدي لساني بعض ما يجب
لصاحبٍ انا تيّاهٌ بصحبتـه وشاعر طالما تاهت به العرب

لا يُدركُ الهرمُ النجوم

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر
المرحوم مسعود سماحة .

يا شاعراً حلوَ المودّة في الحضور وفي الغيابْ
شهدٌ ولاؤك والأنام ولاؤهم شهدٌ وصابْ
انا ان شكوت اليكَ منك وسال في كتبي العتابْ

فحكايتي كحكاية الظمآن في قفرٍ يباب ْ
لم يروهِ لمع السراب فراح يستسقي السحاب ْ
فهمي فكان الخير فيه للأباطح والهضاب ْ
« مسعود » أهونْ بالمشيب فما امّحى الا الخضاب ْ
ماذا عليكَ من الثلوجِ وفي ضلوعك حرّ آب
الكأس أجمل في النواظر إذ يرصّعها الحباب ْ
ان شابَ منك المفرقان فما أظنّ القلبَ شاب ْ
لا تزعمنّ له المتـابَ فأنّ توبته كِذاب ْ
ما زال يخفق بالهوى ، ويفيض بالسحر العجاب ْ
ويُريك دنيا لا تحدّ ومن ورائك الفَ باب ْ
دنيا من اللذّات والأفراح في دنيا عذاب ْ

ويريك جنّاتِ الجمال وأنت في الطللِ الخرابْ

★

أفَتى القوافي الشاديات كأنّها أطيارُ غـابْ

إن قيل انك صرت شيخاً قلْ : أجل، شيخُ الشباب

أترى إذا العنوان ضاع يضيع مضمون الكتابْ

السيف ليس يعيبه مشي الخلوقة في القرابْ

والخمر خمرٌ في اناءٍ من بلجين أو ترابْ

وحياة مثلك ليس تدخل في قياسٍ أو حسابْ

فغدٌ زمانك مثل أمس وان مضى عصر الشبابْ

لا يدرك الهرم النجومَ وانت في الدنيا شهابْ

وإذا يعاب على المشيب فتى فمن ذا لا يعابْ

أو كان يُمدح بالسواد فمن ترى مدحَ الغراب

★

يا نفحةً من شاعرٍ أرِجَ الكتاب بها وطابْ

الفجر أهدى لي السنا والروض اهدى لي الملابْ

بنتُ القفر

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكمية من البن الفاخر .

ادرْهـا قهوةً كعصيرِ بكرٍ
تجلّت في الكؤوس بكف بكرِ

كأنّ المسك يغلي حين تغلي ويجري في الأواني حين تجري

تعيد إلى الضعيف قوىً وتهدي
إليه غبطةً وصفاء فكرِ

تَعشّقها الشعوب فكل شعبٍ   اعدّ لها الثغورَ وكل قطرِ
تُلوّحَ حبّها في كل كوخٍ   ولاح حبابها في كل قصرِ
يضوع عبيرها برمال نجدٍ   ويعبق عطرها بقصور مصرِ
تمشّى عنبراً في كل انفٍ   وتنزل قرقفاً في كل ثغرِ
ويُزري طعمها حلواً ومراً   بما في الارض من حلو ومرِّ

★

وسمراء إذا زارت صباحاً
أحبّ إليّ من بيضٍ وسمرِ
يحوك لها البخار رداء ندٍ   ويكسوها الحباب وشاح درِّ

كسرت الدن من عهدٍ بعيدٍ فامستْ بعد خمرِ الدنّ خمري

فان حلّت قواك جيوش ضعفٍ

وهالكَ عبء همٍّ مسبطرِّ

عليكَ بقهوةٍ رقت وراقت كشعرك لا يجارى أو كشعري

(مسعود)

فأجابهُ بالقصيدة التالية :

شربناهـا على سرّ القوافي وسرّ الشاعرِ السمح الأبرِّ
سقانا قهوتين « بغير منٍّ » عصير شجيرةٍ وعصير فكرِ
فنحن اثنان سكرانٌ لحـينٍ على أمنٍ ، وسكرانٌ لدهرِ
فمن أمسى يهيم ببنت قصرٍ فانّا هائمون ببنت قفرِ
إذا حضرتْ فذلك يوم سعـدٍ وان غابت فذلك يوم قهرِ
لهـا من ذاتهـا سترٌ رقيـقٌ كما صبغ الحياء جبين بكرِ
إذا دارت عـلى الجلاّس هشّوا
كأن كؤوسها اخبـــار نصرِ
ونرشفها فنرشف ريق خـودٍ وننشقها فننشق ريحَ عطرِ
ولا نخشى من الحكام حـداً وعند الله لم نوصمْ بـوزرِ
فما في شربها اثمٌ ونكـرٌ وشرب الخمر نكرٌ أيّ نكرِ

وليست تستخفّ أخـا وقارٍ وبنت الدّنِّ بالأحلام تزري
وتحفظ سر صاحبها مصوناً وبنت الكرم تفضح كل سرِّ
وللصهباء أوقاتٌ ، وهـذي شراب الناس في حرّ وقرِّ
وتصلح ان يطاف بها مساء وتحسن ان تكون شراب ظهرِ
فلو عرفت مزاياها الغوانـي لعُلّق حبّها في كل نحرِ
كأن حبوبها خضراً وصفـراً فصوص زمرّدٍ وشذور تبرِ
كأن الجن قد نفثت رؤاها على أوراقها في ضوء فجرِ
ألست ترى اليها كيف تطغـى وكيف تثور ان مسّت بجمرِ
كأن نخيل مصر قد حساها والا ما اهتزاز نخيل مصر ؟
جلوت بهـا من الأكـدار ذهنـي
كما اني غسلت هموم صـدري
وما هي قهوة تُطهى وتحسى ولكن نفحةٌ من روح حرِّ

حوى في شعره عبث ابن هاني وزاد عليـه فلسفة المعـرّي
فيا لك شاعراً لبقـاً لعوبـاً كأن يراعـه انبوب سحرٍ
يفيض سلاسةً في كل لفظٍ ويجري رقةً في كل سطـرٍ
حوت دار « السمير » هديتـيه وتحوي هذه الأوراق شكري

تلك المنازل

ألقاها في حفلة تكريم الاستاذ كمال جنبلاط

تلك المنازل .. كيف حال مقيمها
انّا قنعنا بعدهـا .. برسومهـا
تمشي على صور الطيور لحاظنا
نشوى ، كمن يصغي إلى ترنيمهـا
ونكاد نعشق في الأزاهير الدمـى
ازهارهـا ونحس نفـح شميمها

نشتاقها في بؤسنا ونعيمنا
ونحبها ، في بؤسها ونعيمها
لولا الخيال يعين أنفسنا لما
سكنتْ ولم يهدأ صراخ كلومها
ولكان شهد الارض في أفواهنا
وهو اللذيذ أمرّ من زقّومها
يا حاملاً في نفسه وحديثه
أحلام أرزّتها ولطف نسيمها
حدّث بنيها شيخهم وفتاهمو
عن ليث غابتها وظبي صريمها
خبّرهمُ ان الكواكب لم تزل
تحنو على العشاق بين كرومها

ما زال بلبلها يغني للربى
والسحر تنفثه لواحظ ريمها
والريح تلتقط الشذى وتذيعه
من شيحها طوراً ومن قيصومها
وهضابها يلبسن عسجد شمسها
حيناً وأحياناً يُلجِنَ نجومها
والفجر يرقص في السهول وفي الذرى
متمهلاً فتهش بعد وجومها
ان بُدّلَت منها التخوم فانها
ما بُدلت والله غير تخومها
حدّثتُهم عن ليلها ونجومها
وعن الهوى في ليلها ونجومها

وعن الشطوط الحالمات بعودةٍ
للغائبين ، ورجعة لنعيمها
وعن الروابي الشاخصات إلى السما
العالقات رؤوسها بغيومها
فكأنها سحب هوت من حالق
ورست على وجه الثرى بهمومها
وعن الحياة جميلها وقبيحها
وعن النفوس صحيحها وسقيمها
وعن الألى ملكوا فلم يتورعوا
عن سلب أعزلها وظلم يتيمها
وعن الثعابين التي في أرضها
وعن الذئاب العصل خلف تخومها

الجاهلية ، آه من أصنامهــا
بوركتَ يا من جدّ في تحطيمها
والطـائفية أنت أول معــول
في سورها ، ثابرٌ على تهديمهــا
حتى تعود وواحــد اقنومهــا
ويحــلّ روح الله في أقنومهــا
قــل للشبيبة ان تبين وجودهــا
وتُعزّ أنفسها بهونِ جسومهــا
كم ذا تشع ولا تضيء علومها
سرج الظلام اذن جليلُ علومهـا
يا واحــداً منهــا يحمّل نفسه
آلام عانيهــا وليــل سليمها
ان اكرمتك نفوسنا في ليـــلة
فلكَم قضيت العمر في تكريمها

دمعة الشاعر

مراث يتفجع فيها صاحب الديوان على
الراحلين من زملائه الشعراء .

الشاعر

إلى روح خليل مطران

عندما أبدع هذا الكون ربُّ العالمينــا
ورأى كل الذي فيه جميـلاً وثمينــاً
خلق الشاعر .....
كي يخلق للنـــاس عيونا
تُبصر الحسن .....
وتهواه حراكـاً وسكونـا

وزماناً ، ومكاناً ، وشخوصاً وشؤونــا
فارتقى الخلق .....
وكانوا قبـله لا يرتقونـا
واستمر الحسن في الدنيا
ودام الحب فينـــا

★

انه روح كريم لبس الطينَ المهينا
وصبي بهر الخلق ومـا أعلن دينـــا
يلمح النجم خفياً ، ويرى العطر دفينـا
ويرينا الطُّهر حتى في الجنـاة الآثمينا
ويحس الفرحَ الأسمى جريحاً أو طعينا

كلما شاعت دماه أملا في البائسينــا

★

مَـن سواه ثائر فيه وقــار الناسكينــا

من سواه عــابد فيه جنون الثــائرينا

من سواه عـانقَ الله يقينا لا ظنونا

من ترى إلاّه يحيــا نغماتٍ ولحونــا

من ترى إلاه يفني ذاته ...

في الآخرينـا

★

لو أبى الله علينا وعليــه ان يكونـــا

عادت الأرض وهاداً شاحباتٍ وحزونا
ترتدي الوحشة والهول ضباباً ودجـونـا
وأقاحيهـا هشيماً لا أريجـاً وفتـونـا
وسواقيهـا سراباً هـازئاً بالظـامئينـا
وشواديهـا دمى خرساء تؤذي الناظرينا
واستفاق الجدول الحالم غيظـاً وجنونـا
واستوى النهر على وجه الثرى جرحاً ثخينا
وانطوت دنيا الرؤى فيها ...
ومات الحالمونـا

★

أي وربي لو مضى الشاعر عنا لشقينـا
ولعشنا بعده في غصص لا ينتهينـا

ولأمسى الله مثل الناس مغموماً حزينا !

★

زعموا ولّى ولن يرجع .. ويح الجاهلينا
لم يمت من كان لله خليلا وخدينـــا
عاش حيناً وسيحيا بعدما غاب قرونا

مازال في الأرض حيّاً

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه
نبأ وفاة صديقه الأديب الكبير الخالد
أمين الريحاني وقد تأثر بالنبأ المفاجيء

أي خطب دها فبات المهجرْ مثل حقل مرّت عليه صرصرْ
ضربت عقد زهره فتبعثر ومشت فوق عشبه فتنكر
بعد ان كان عبهرياً نديّا

★

قد سمعنا يا ليتنا لم نسمعْ نبأ زعزع القلوب وضعضع
فجزعنا وحقّنا ان نجـــزع لفراق الفتى الاديب الألمع
وذرفنا دمعاً سخيناً سخيّـــا

★

قد بكينا كما بكى لبنـــان وحنتنـــا كأرزه الأحزان
ليس بعد الامين ثمّ مكان غير مستوحش ولا انسان
ذو وفاءٍ لم يبكِ ذاك الوفيّا

★

ألمعيّ قد غاب تحت الرغامِ انما لم يغب عن الافهـامِ
فهو باقٍ فينـا مدى الايام فعليه تحيّـتي وسلامـي
عاش حراً ومات حراً أبيّـــا

★

لم يعفر جبينه في الـتراب   لم يوارب في موقف ، لم يحاب
لم يبع قومه من الاغـراب   لم يسر في سوى طريق الصوابِ
لم يكن خائنـاً ولا امعيّـا

★

عاش في الارض مثل زهر البنفسَجْ
كلمـا زاد فركُـه يتـأرَّج
وكنجم في برجه يتوهج   لا يبـالي احبه من ادلج
أم أحب الليل البهيم الدجيّا

★

فابسمي فوق قبره يا نجـومُ   وترنم من حوله يا نسيم
فالدفين الذي هنـاك يقيم   بطلٌ مصلح وروح كريم
ولسانٌ تخـاله نبويّـاً

وتنصّتْ إذا رأيت الأقاحي جاثياتٍ في هيكل الأرواح
قائلاتٍ بلهجة النصّاح أيها الناس، بعض هذا النواحِ
« فأمين » ما زال في الأرض حيّا

يا قائد القوم

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد
وقد ألقاها في الحفلة التأبينية .

يا أيها الشعر أسعفني فأرثيه ويا دموع أعينيني فأبكيه
بحثت لي عن معزّ يوم مصرعه فلم أجد غير محزون أعزّيه
وما سألت امرءاً فيما تفجّعه
إلا وجاوب — « اني من محبيه »

كأنما كل انسان اضاع اخـــاً	أو انطوت فجأة دنيا أمـــانيه
لذا أساه لهيب في أضالعـــه	وذا اساه دموع في مآقيـه

فهل درى أي سهم في القلوب رمى
لمـــا نعـاه إلى الاسماع ناعيه ؟

★

يا شاعر الحسن هذا الروض قد طلعت
فيه الرياحين وافترّت أقـــاحيـــه
وشاع « ايار » عطراً في جوانبـــه
ونضرة واخضراراً في روابيـــه
فأين شعرك يسري مع نسائمه ؟
وأين سحرك يجري في سواقيه ؟
هجرته فامّحت منه بشاشته	مات الهوى فيه لما مات شاديه

أغنى عن الدر في القيعان مختبئاً   درٌّ يساقطه الحدّاد من فيه
وكان للسحر تأثير فـأبطله   بالسحر يجري حلالا في قوافيه
بلاغـة « المتنبي » في مدائحـه
ودمع « خنساء صخرٍ » في مراثيـه
لا يعذب الشعر إلا حين ينظمه   أو حين ينشده أو حين يرويه
ويا طبيباً يداوي النـاس من علـل
داء الاسى اليوم فيهم من يداويه ! ؟
أمسى الذي كان يشجينا ويطربنـا
لا شيء يطربه . لا شيء يشجيـه
لقد تساوى لديه شدو ساجعـة   وصوت نائحة في الحي تبكيـه
صارت لياليه نوماً غير منقطعٍ   ولم تكن هكذا قبلاً لياليه
قد كان نبراسنا في المعضلات إذا
ما ليلها جنّ واربدّت نواصيـه

فمن لنا في غدٍ انْ ازمة عرضت

وليس فينا اخو حزمٍ يضـاهيه

نْ للحزين يواسيه ويسعده   وللمريض يداويه فيشفيـــه

يا قائد القوم إن تسأل فـــانهـم

باتوا حيارى كاسرائيلَ في التيــه

لما رأوك مسجّى بينهم علمــوا

مــا العيش غير اخاييل وتمويه

يا رزق قلبــي عليك اليوم منفطر

وكل قلبٍ كقلبي في تشظّيــه

لم يحوِ نعشك جسماً لا حراك به

بل انت آمالنـــا موضوعة فيــه

غداً يواريك عن أبصارنا جـــدثٌ

لكن فضلك لا شيءٌ يواريــه

ليتهم عرفوه !

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب
مجلة الأخلاق .

يا نفس قـد ذهب الرفيق الألمعي
فتجلّدي لفراقــه أو فــاجزعي
هذي النهــاية لا نهاية غيرهـــا
للحي إن يسرع وإن لم يسرع

للموت مَنْ مَلَكَ البسيطةَ كلها
أو حاز من دنياه بضعة أذرع
فازرع طريقك بالورود وبالسّنا
لا يحصد الانسان ان لم يــزرع
واعمل لكي تمضي وتبقى رقـــةً
في مبسم ، أو نغمة في مسمع
أو صورة مثـل الربيع جميــلة
في خــاطرٍ أو ناظر مستمتــع

★

يا صحبَ يعقوب ويا عشراءه
من منكمو أبكي ولا يبكي معي

إنّا تساوينـــا فبـــين ضلوعكم
نارٌ ومثـــل سعيرها في أضلعـــي

★

لبنان ، هذا من رياضك زهرة
ذهبت كأنْ في الأرض لم تتضوع
لبنان هذا من سمائـــك كوكب
غرّبتــه حتى انطوى في بلقـــع
لبنان هـــذا من مروجك قطعـــة
فيـــه بشاشـــة كل مرج ممـــرع
قل للبنفسج في سفوحـــك والربـى
ولّى شبيهكَ في الوداعـة فاخشع

وأمرْ طيورك أن تنوح على فتى
قد كان يهواهــا وان لم تسجــع
قد عــاش مثلك للمروءة والعلى
متعففــاً كالزاهــد المتــورع
مترفعــاً في قولــه وفعـــاله
عمن غوى وهوى ولم يــترفع
كم حرّضته النفس في نزواتهــا
ليكون صاحب حيلة أو مطمــع
فأجابها : يا نفس لا تتورطي
صدأُ النفوس هي المطامع فاقنعي
ليس المحارب في الوغى بأشدّ بــأ
ساً من محارب نفسه أو اشجــع

★

يا صاحبي اضنكتَ جسمك فاسترح
وأطلتَ يا يعقوب سهدك فاهجع

حدّثت قومك حقبةً فتسمعوا
والآن دور حديثهم فتسمّع

هجروا الكلام إلى الدموع لأنهم
وجدوا البلاغة كلها في الأدمع

كيف التفتُّ وسرت لا ألقى سوى
متوجع يشكو إلى متوجع

حتّى الألى نفثوا عليك سمومهم
حزّ الأسى أكبادهم كالمبضع

عرفوا مكانك بعد ما فارقتهم
يا ليتهم عرفوه قبل المصرع

ولكنهم تمنوا لو تعود اليهم
انت الشباب إذا مضى لم يرجع

★

حنوا إلى أرج الازاهر بعدما
عبثت بها ايدي الرياح الأربع
واستعذبوا الماء المسلسل بعد ما
نضب الغدير وجف ماء المشرع
يا لوعة الاحباب حين تساءلوا
عنه وصادوا بالجواب الموجع
ان الذي قد كان معكم قد مضى
من موضع أدنى لأرفع موضع

من عـــالمٍ متكلّــف متصنــعٍ
تشقــى نفوسٌ فيــه لم تتصنعِ
للعالم الاسمى الطهور ، ومن مُجا
ورة الانام إلى جــوار المبــدعِ

سكت الشادي وبُحّ الوتر !

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد
وقد فاجأته المنية في حفلة عرس .

لا تسل اين الهوى والكـــوثر   سكت الشادي وبُـحّ الوتـر
فجأةً .. وانقلب العرس إلى مأتمٍ .. ماذا جرى ؟.. ما الخبر ؟
ماجت الدار بمن فيها ، كما   ماج نهر ثـــائر منكـــدر
كلهم مستفسرٌ صاحبَــه   كلهم يؤذيه من يستفسر

همس الموت بهم همسته ان همس الموت ريح صرصر
فاذ الحيرة في أحداقهم كيفما مالوا وأنى نظروا
عاموا .. يا ليتهم ما علموا ان دنيا من رؤى تحتضر !
والذي أطربهم عن قدرة بات لا يقوى ولا يقتدر
يبس الضحك على أفواههم فهو كالسخر وإن لم يسخروا
واذا الآسي .. يد مخذولة ومحيا .. اليأس فيه أصفر

شاع في الدار الأسى حتى شكت
أرضها وطأته والجدر

فعلى الأضواء منه فترة وعلى الألوان منه أثر
والقناني صور باهتة والاغاني عالم مندثر
المنا أفلت من أيديهم والاماني ...؟... انها تنتحر
ذبحت أفراحهم في لمحة قوة تجني ولا تعتذر

تقلع النبت الذي تغرسه		والشذى فيه . وفيه الثمر
اعبثي ما شئت يا دنيا بنا		وتحكّمْ ما تشا يا قدَر
ان نكن زهراً فما امجادنا		أو نكن شوكاً فهذا الخطر
فلنعش في الأرض زهراً وليطل
أجَلُ الشوك الذي لا يزهر

★

رحل الشاعر عن دار الأذى		وانقضت معْه الليالي الغرر
كم حوته وحواها ملكاً		دولة الروح التي لا تقهر
عاش لا ينكر إلا ذاته		ان حبّ الذات شيء منكر
شاعرٌ اعجبُ معنىً صاغه		للبرايا .. موته المبتكر
الجمال الحق ما يعبده		والجمال الزور ما لا يبصر
والحديث الصفو ما ينشره		والحديث السوء ما يختصر

انه كان ملاكـاً بشراً فمضى عنـا الملاك البشر
ونفوس الخلق إمـا طينـة لا سنا فيها وإمـا جوهر

★

يا رفيقي ! مـا بلغتَ المنتهـى
ليست الحـدّ الاخير الحُفَر
فـاعبر النهـر إلى ذاك الحمى
حيث « جبران » العميـد الأكبر
« ورشيد » نغمـة شاديـةٌ « ونسيب » نغمٌ مستبشر
« وجميـل » فكـرةٌ هـائمـة
« وأمين » أمـلٌ مخضوضر (١)

(١) هم رشيد أيوب ونسيب عريضه وجميل حلوه وأمين الريحاني .

قل لهم إنا غدونا بعدهم لا حديثٌ طيبٌ لا سمر
كسماءٍ ليس فيها أنجمٌ أو كروضٍ ليس فيه زهر
كلنا منتظرٌ ساعته والمصيرَ الحقَّ ما ننتظر

لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه

لم يبرح الروض فيه الماء والزهر
ولم يزل في السماء الشمس والقمر
لكنها الآن في أذهاننــا صور
شوهاء ، لا القلب يهواها ولا النظــر
قد انطوى حسنها لما انطوى الشاعرْ

★

قل للمغني الذي قد غصّ بالنغمِ
إني نظيرك قد خان الكلام فمي
ومثلُ ما بك بي من شدة الألم
أما العزاء فشيء زال كالحلم
كيف السبيل إلى خمرٍ ولا عاصرْ !

★

مضى الذي كان في البلوى يعزّينا
وكان يحيي — إذا ماتت — أمانينا
ويسكب السحرْ أنغاماً ويسقينا
مضى « نسيب » النبيّ المصطفى فينا
وصار جسماً رميماً في يد القابرْ

★

كم جاءنا في الليـالي السود بالألقِ
وبالندى من حواشي القفر والعبـق
وبالأغاني ومـا من صادحٍ لبـق
وإنمـا هو سحر الحبر والورق
السحر باقٍ ولكن قد مضى الساحرْ !

★

كالشمس يسترها عند المسا الغسقُ
ونورها في رحـاب الأرض منطلق
تذوي الورود ويبقى بعدهـا العبق
حتى لمن قطفوا منهـا ومن سرقوا
كم عالمَ غابرٍ في عالمٍ حـاضرْ

★

ان كان مات « نسيبٌ » كالملايين

من العبيـــد المـــوالي والسلاطين

فالحيّ في هذه الدنيـا إلى حين

لكن نسيبٌ إلى كل الاحـايين

وان نأى وسما للعـالم الطاهرْ

★

لسوف يرجع عطراً في الرياحـــين

أو نسمة تتهـــادى في البساتـين

أو بسمةً في ثغور الخرّد العِـين

فالموت ما هدّ إلا هيكل الطـينِ

لا تحزنوا ، فنسيبٌ غائبٌ حاضرْ

ريحُ الرّدى

عصفت ريح الردى بالمشعل

فخبـــا

★

أيها النـائم عنـا والعيون

في سهر

نحن من بعدك اسرى للشجون

والكدر

تشتكي أرواحنا ظلم المنــون

والقــدر

للسما . للّيل . للفجر الجلي

للربــى

★

للاقــاحي الذابلات الذاويه

كالأمــاني

للسواقي النائحات البا كيــه

كالغوانـــي

سلبَ الدهر حلاها الغــاليه

في ثوانٍ

وبشاشات الزمـان الاول
والصبـا

★

يا ربيعاً من وفـاء وكرم
في بدن
من رأى قبلك دنيا في شيم
في كفـن
خلصت روحك من سجن الألم
والشجن
ومضى للبحر ماء الجـدول
طربـا

★

يا كريم الاصل قد زانك فعلُك
وصفـــاتـك
عشت للناس كأن الكل اهلاك
ولذاتك
لهمُ كل الذي تحوي وتملـك
وحياتك !
كنت في دنيا الضباب المسدل
كوكبــا
★
عصفت، ريـح الردى بالمشعل
فخبـــا
فـــاذا كل قصور الامـل
كالهبـــا

الشاعر في حفلات تكريمه

الماهدون في المهجر

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها المجلس الملي في مونتريال ، كندا ، لمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه .

الأربعون لو انها تتكلـــم   لروت لنا قصص العظائم عنكم
ولحدثتنا كيف عن اعشاشكم   طرتم باجنحة المنى إذ طرتم
يوم الفراق كظمتم آلامكم   واخفتم من ألم الفراق جهنم

وبكى الأحبة حولكم وجفونكم

تعصي البكا . حزنُ الجبابر ابكم

أيدٍ تودع موطنـاً وعشـيرة ومطامح خلف البحار تسلّم

ضاقت على أحلامهم تلك القـرى

فاخترتم الدنيـا الوساع لتحلموا

وغزوتم الافاق لا زاد لكـم الا الصبـا المتوثّب المتضرم

كالليث ليس له سلاح في السرى

إلا مخـالبه الـتي لا تثـلم

تتخيلون البحر شُق لتعبروا وانداح بين الشاطين لتسلموا

والدر مخبوءاً لكم في قاعـه كي تخرجوه وتغنموا ما شئتم

والموج إذ يطغى ويهدر حولكم

جوقـاً لطرد همومكم يسـترنم

وإذا النجوم تألقت تحت الدجى
خيلتم لأجلكم تضيء الانجم
وحسبتم شُم الجبال سلالماً
نُصبت لكم كي تصعدوا فصعدتم
والشمس منجم عسجدٍ متكشّفٍ
لذوي الطموح وأنتمُ انتمْ هم
ولكم تلثمت الحقائق بالرؤى
كالارض يغشاها السراب الموهِم
لتطلّ من أرواحنا أشواقها
فنطوف حول خدورها ونحوّم
لم تقنعوا كالحالمين بأنسكم
لكنّمْ شراب في الحياة ومطعم

لو ان تكون حيـاتكم كحياتهم

عبثـا يموت بـه الوقـار ويعدم

وتأففـاً في الليل وهو منـور وتبرماً في الصبح وهو تبسّم

لو ان يكون تراثكم كتراثهـم / قصر عفا أو هيكل متردم

وحديث اسلاف قـد التحفوا الفنـا

فهم سواء في القيـاس وجُرْهُمُ

من يقتربْ من امس يبعدْ عن غد

ويعشْ مع الموتى ويصبحْ منهم !

وكرهتم ان تنقضي أيامـكم

شكوى لمن يرثي ومن لا يرحم

أو أن يبيت على الحضيض مقامكم

والدود يزحف فوقـه والأرقم

فنفرتمُ كالنحل ، ما من زهرة

فيها جنى ، إلا وفيها مغنم

في كل شط مارد ، في كل طود

قشعم . في كل واد ضيغم

المجد مطلبكم وانتم سهَّد والمجد حلمكمُ وانتم نوَّم

لا شيء صعب عندكم حتى الردى

الصعب عند نفوسكم ان تحجموا

يا بضعة من أمة . هي أمة

في ذاتها . ولها طراز مُعلَمُ

فيكم جميع صفاتها وخلالها والروض يحويه عطوراً قمقم

ان الألى عابوا الجهاد عليكم

علكوا مداركهم ولم يستطعموا ..

طلبوا السلامة في القعود ففاتهم

درك الثراء وبعد ذا لم يسلموا !

أولاء دود القز أحسن منهم وأجلّ في نظر الحياة وافهَم

قالوا كهول قد تصرم عصرهم

ليت الشباب من الكهول تعلموا

ان لم تشيدوا كالاوائل « تدمراً »

أو « بعلبكّ » فانكم لم تهدموا

ولكُم غد وجماله وبهاؤه

ولكم من الامس النفيس القيّم

★

حدثت نفسي والقطار يخبّ بي

عجلان يخترق الدجى ويدمدم

فسألتهـا مستفهماً ، ولربمـا سأل العليم سواه عما يعلم

ما احسن الايام ؟ قالت : يومكم !

والناس ؟ فابتدرت وقالت : انتم

والدور ؟ قالت : دوركم . والمال ؟

قالت : ان احسنه الذي أنفقتم

والحسن ؟ قالت : كل مـا أحببتم

والارض ؟ قالت : أينما استوطنتم

ما كان أكمل يومكم وأتمـه

لو لم يكن في مهـد عيسى مـأتم

وكذا الحيـاة قديمهـا وحديثهـا

ذكرى نُسرّ بهـا وذكرى تؤلم

قِفْ يا قِطارُنا

ألقاها في المـأدبة الكبرى التي أقامتها
مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو

منذ افترقنا لم أذق وسَـنا ... لله مـا صنع الفراق بنـا
قل للخليّين الهنـاءُ لكـم ... الحب قد خلق العذاب لنا
لم أنس قولتها الـتي ملأت ... نفسي أسى وجوانحي شجنا
ماذا جنينا كي تفـارقنـا ... املّتنـا وسئمت صحبتنـا

فأجبتها بلسان معتذرٍ   لم تجنِ انت ولا مللت انا
لكن رأيت الماء منطلقاً   رياً ، فان هو لم يسرْ أسِنا
والسيف ان طال الثواء به   يصدأ ويصبح حده خشنا
والسحب ان وقفت وما هطلت
لم تروِ أوديةً ولا قننا
ان الحياة مع الجمود قذى   ومع الحراك بشاشةٌ وهنا
لا تعذليني فالقُرى أربي   حيث الحياة رغائب ومنى
حيث النجوم تلوح سافرة   لم تلتحف ستراً ولا كفنا
والفجر ملء جيوبه أرَج   والطير يملأ شدوها الوكُنا
وعلى الربى الاظلال راقصة
ويد النسيم تداعب الغصنا
ويح المدائن ان ساكنها   كالميت لم يُطمر ولا دفنا

كم رحت استسقي سحائبهـا		فتهمتُ ولكن محنةً وضنى
ولكم سهرت فلم أجد قمـراً		ولكم شدوت فلم أجـد أُذنا
لو كان يألف بلبـل غردٌ		قفصاً ، أحبَّ الشاعر المدنا
كره الورى طول المقام بهـا		فاستنبطوا العجلات والسفنـا
ولقد ظفرت بمركبٍ لجـبٍ
فخرجت أُطـوي السهل والحزَنـا
والشوق يدفعـه ويدفعني		حتى بلغت المنزل الحسَنا

★

قف يا قطار على ربوعهـم		إن الأحبة يا قطار .. هنـا
هذي منازلهم تهش لنـا		اخطأت .. بل هذي منازلنـا
ما حلّ منهم موضعاً أحـد		إلا وصـار لكلّنا وطنـا

« سورية » في « كانتن » نغمٌ
عذب ، « ولبنانٌ » شذى وسنا
ان تنطفئ زهر النجوم ففي
هذي الوجوه عن النجوم غنى
وإذا الحياة طوت محاسنها عني وصار نعيمها محنا
مثّلتهم في خاطري فاذا دنياي فيها للسرور دنى

★

يا قوم هذا اليوم يومكمو من ينتهزه ينلْ رضى وثنا
فلتنبسط ايديكمو كرماً السحب انفعها الذي هتنا
أنا لا أرى مثل البخيل فتى يضوى و يهزل كلما سمنا
من لا يشيد بماله اثراً أو يستفيد بماله مننا

ويعيش مثل العنكبوت يعش

في الناس مذموماً وممتهنا

فابنوا وشيدوا تكرموا رجلا

كم قد سعى من أجلكم وبنى

وطنٌ واهل لائذون بكم

افتخذلون الاهل والوطنا ؟

« قَطَنا » بنوكِ اليوم قد نهضوا

فتمجدي ببنيكِ يا « قَطَنا »

«ميامي فلوريدا»

ألقاها في المأدبة التي أقامها النادي
السوري اللبناني الاميركي في
ميامي فلوريدا تكريماً له .

ما طائر كان في بيداء موحشة ٍ   فساقه قدرٌ نحو البساتينِ
فبات تسعده فيها بلابلهـــا   حيناً ويسعدها بعض الأحايينِ
مني بأسعدَ حظاً مذ نزلت بكم   يا معشر الساد . الغر الميامينِ

فررت مـن برد كانون فقـابلني

في أرضكم بالأقاحي شهر كانون

انسام « ايار » تسري في أصائلها

وفي عشياتهـا أنفـاس « تشرين »

توزع السحر شطراً في مغارسها — وآخر في لحاظ الخرّد العين

كل الشتاء ربيعٌ في شواطئها — وكل أيامهـا عيد الشعانين

لكن «ميامي» وان جلّت مفاتنها — لولا وجودكم ليست لتغريني

اني لأشهد دنيا من عواطفكم — أحبُّ عنديَ من دنيا الرياحين

وكلما سمعتْ نجواكم أذني — ظننت انيَ في دنيا تلاحين

لأنتم النور لي والنور منطمس — وانتم الماء اذ لا ماء يرويني

أحببتكم حب إنسان لإخوته — إذ ليس بينكمُ فوقي ولا دوني

ان كان فيكم قويٌّ لا يقـاهرني

أو كان فيكم ضعيف لا يداجيني

قل لامرئٍ مثل قارون بثروته

انّي امرؤٌ بصحابي فوق قارون

من يكتسب صاحباً تبقى مودته فهوَ الغنيّ به لا ذو الملايين

فاخترْ صحابك وانظر في اختيارهم

إلى الطبائع قبل اللون والدين

ليس الوداد الذي يبقى إلى أبد مثل الوداد الذي يبقى إلى حين

والمرء في هذه الدنيا عواطفه

إن تندرس فهو بيتٌ غير مسكون

وان عاطفةً هذي مظاهرها من عالم الروح لا من عالم الطين

لو فاتني كل ما في الارض من ذهب

ولم تفتني فاني غير مغبون

لو القوافي تؤاتيني شكرتكمُ كما أريد ، ولكن لا تؤاتيني

لا يمدح الورد انسانٌ يقول لـه   يا ورد انك ذو عطرٍ وتلويـن

فاستنطقوا القلب عني فهو يخبركم

فالحب والقلب مكنـون بمكنون

لولا المحبـة صـار الكون أجمعه

طوبى الأفاعي وفردوس السراحـين

اني سأحفظ في قلبـي جميلكـم

وسوف أذكره في العسر واللّـين

خضرة جلّق

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها
له الجالية في مونتريال .

لا تقلقي يوم النوى أو فاقلقي　　　يا نفس كل تجمّع لتفرّقِ
الله قدّر ان تمس يد الاسى　　　أرواحنا كيما ترقّ وترتقي

أوفى على الشهب الدجى فتألقت
لولا اعتكار الليـــل لم تتـــألقِ

والفحم ليس يضيء ان لم يضطرم

والندّ ليس يضوع ان لم يُحرقِ

لا أضرب الامثال مدحاً للنوى   ليت الفراق ويومه لم يُخلقِ

ما في الوداع سوى تلعثم ألسن   وذهول أرواح وهمٍّ مطبق

★

عنّفت قلبي حين طال خفوقه   فأجاب – بل لمني إذا لم اخفق

انا طائرٌ قد كان يمرح في الربى

وعلى ضفاف الجدول المترقرق

فطوى الفضاء، مروجه وفضاءه   ليزجّ في قفص الحديد الضيق

لا . بل انا ملكٌ صحوت. فلم أجدْ

عرشي ولا تاجي ولا إستبرقي

★

هانت معاذيري وضاعت حكمتي
لمّا سمعت حكاية القلب الشقي
لو تعدل الدنيا بنا لم ينتثر شملٌ نظمناه ولم نتفرقِ

★

لله مونتريالكم ذات الحلى ومدينة الطود الأشمّ الابلق
كم وقفةٍ لي عند شاطئ نهرها لا أستقي منه ، وروحي تستقي
متعلماً منه التواضع والندى
والصفح عن عبث الجهول الاحمق
اعطى الحقولَ حياتها ومضى كأنْ
لم يعطها شيئاً ولم يتصدّق
من كان لا يدري فيقظة زرعها من فضل هذا الهاجع المستغرق
ضيّعت عند الواعظين سعادتي ووجدتها في واعظٍ لم ينطق

ملءُ المدائن والقرى آلاؤه — وهباته ويعيش عيشَ المملقِ
لولاه لم يخضرّ قاع مجدبٌ — لولاكمُ شجرُ المنى لم يورق
عرضت محاسنها الحياة عليكم — فاخذتم بأحبّهـا والأليقِ
أنا منكم في روضة معطارةٍ — من مونقٍ فيها اللحاظ لمونـق
العطر يعبق من جميع ورودها — ما ان مررت بزهرة لم تعبـق

★

لله مونتريال كم وجلالها — هي رومة الصغرى وضرّة جلّق
رقت عليّ نجومها وتواضعت — حتى لكدت أحسها في مفرقي
فكأنما هي انتم وكأنمـا — أرواحكم من نورها المتدفق
رجع الشباب إليّ حين هبطتها — واليوم اخرجُ من شبابي الريق
سأطير عنها في غدٍ بحشاشة — مكلومةٍ وبناظر مغرورق
ويغيب عنّي طودها وقبابها — وقصورها خلف الفضاء الأزرق
وتظلّ صورتها تلوح لخاطري — بعضُ الرؤى سلوى وان لم تصدق

الشبابُ أبو المعجزات

سلام عليكم رجال الوفـاءِ   والف سلام على الوافيـاتْ
ويا فرّح القلب بالناشئين   ففي هؤلاء جمال الحيـاة
هم الزهر في الارض إذ لا زهور
وشهبٌ إذِ الشهب مستخفيـات
إذا أنا أكبرت شأن الشباب   فأن الشباب ابو المعجز
حصون البـلاد وأسوارهـا   إذا نام حراسها والحمـ

غدٌ لهمُ وغــدٌ فيهــمُ		فيا امسُ فاخرْ بما هو آت
ويا حبذا الامهات اللواتــي		يلــدن النوابــغ والنابغـات
فكم خلدت امّــة بيراع		وكم نشأت أمة في دواة

★

أنا شــاعر أبــداً تائــق		إلى الحسن في الناس والكائنات
أحب الزهور وأهوى الطيور		واعشــق ثرثرة الساقيــات
ورقْص َ الاشعة فوق الروابي		وضحك الجداول والقهقهات
تطالع عينــاي في ذا المكان		روائع فــاتنــة ساحرات
كأن الفضاء وفيه الطيــور		بحورٌ بها سفُنٌ سابحــات
كأن الزهور ترقرق فيهــا		سقيط الندى أعين باكيات
ومن بلبــل ساجع لمُغنّ ٍ		ومن زهرةٍ غضــةٍ لفتــاة

★

فما أجمل الصيف في الخلوات وأروع آياتــه البينـات
نضا الستر عن حسنات الوجود وكانت كأسراره المضمرَات
وأحيــا رغائبنا الذابــلات فعاشت وكانت كأرض موات

ففي الارض سحر ، وفي الجو عطر
فيا للــكريم ويــا للهبــــات
أمامكمُ العيش حرّ رغيــــد
ألا فاغنموا العيش قبــل الفوات

فهرس ديوان الجداول

فهرس ديوان الخمائل

فهرس ديوان

تبر وتراب